العلم الحديث في القرآن الكريم:

بإشارة خاصة إلى علم البحر

بحث جامعي قدم إلى جامعة جوهرلال نهرو نيو دلهي لنيل شهادة الدكتوراه

تقديم

عبد الله نجيب يم

مركز الدراسات العربية والإفريقية

مدرسة الدراسات اللغة والأدب والثقافة

جامعة جوهولال نهرو، نيو دلهي – 110067

2017

مركز الدراسات العربية والإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi - 110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067
Gram: JAYENU Tel : 26704253 Fax : 91-11-2671 7525

Declaration

I declare that the thesis "Modern Science in the Holy Quran: with special reference to Oceanography" is in partial fulfillment of the requirement of the award of the degree of Doctor of Philosophy of this university. The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Abdulla Najeeb M

(Research Scholar)

Prof. Riswanur Rahman

(Chairperson)

Chairperson
Centre of Arabic and African Studies
SLL&CS, Annex Building
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

Prof. A. Basheer Ahmad

(Supervisor)

Dr. A. Basheer Ahmad
Professor
Centre of Arabic & African Studies
SLL&CS
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067, India

كلمة الشكر والتقدير

أشكر الله تعالى على ما أتاحني التوفيق لهذه الخدمة المتواضعة، وأسأله التوفيق والسداد فيما قدر لي من البقاء في هذه الدنيا الدنية. ولا أدري كيف أعبر عما في سويداء قلبي من الشكر والتقدير لمشرفي وأستاذي التبرفيسر بشير أحمد الجمالي – حفظه الله ورعاه – وهو الذي أرشدني في جميع مراحل البحث، ونبتهي على المزالق والزلات، وأشكره شكرا جزيلا. وأرفع غاية التقدير والإحترام إلى أبي الشيخ الدكتور عبد الرزاق السلمي الذي أجازني لاختيار هذا الموضوع وشجعني بنصره، وأشكره شكرا جزيلا بالدعاء. وأشكر أساتذتي في كلية سلم السلام الذين قضيت في تربيتي طوال خمس سنوات ومهدوا لي الصراط المستقيم، وأخص منهم بتقديم الشكر الجزيل إلى الأستاذ محمد طيب السلمي، والأستاذ ين وي محمد زكريا السلمي، والدكتور بي محمد الصلاحي، والأستاذ آي بي عارف زين الدين، والدكتور سي يج عبد الغفور، والشيخ الأستاذ ين وي عبد الرحمن، الدكتور عبد الرزاق السلمي بي كى الذين استفدت كثيرا من إرشاداتهم القيمة وعلومهم النيرة – جزاهم الله عني خيرا.

ولا يفوتني أن أرفع الشكر والتقدير إلى زملائي الذين أمدوا إلى يد العون والمساعدة لتكميل هذا البحث لا سيما الأخ مجيب بي، محمد علي الوافي، عبد الكريم الهدوي، محمد بي يم، وعنيفة – كلهم باحثون بجامعة جوهرلال نهرو – نيو دلهي.

وأقدم الشكر بكل الإحترام إلى والدي الحنونين السعيدين الفرحين في كل سعاداتي، حفظهم الله جميعا.

المحتويات

مقدمة 6

الباب الأول: مواضيع علمية في القرآن الكريم: الفلكي، الأحياء، الفيزياوي، الجغرافي والجوي

- الفصل الأول: القرآن الكريم وأسلوبه العلمية 11
- الفصل الثاني : الآيات الفلكية في القرآن الكريم والعلم الحديث 23
- الفصل االثالث : علم الأحياء في القرآن والعلم الحديث 41
- الفصل الرابع : علم الفيزياء في القرآن والعلم الحديث 58
- الفصل الخامس :العلم الجغرافي والجوي في القرآن والعلم الحديث 63

الباب الثاني: تحليل أدبي للمصطلحات البحرية في القرآن الكريم

- الفصل الأول: النظام اللغوي في القرآن الكريم 74
- الفصل الثاني: أسلوب القرآن في تبيين الآيات العلمية 84
- الفصل الثالث : الآيات البحرية في القرآن الكريم 93
- الفصل االرابع : التفسير البلاغي للمصطلحات البحرية 103

الباب الثالث: تحليل علمي للآيات القرآنية عن علم البحر

- الفصل الأول: تحليل علمي للآيات القرآنية عن علم البحر 125

- الفصل الثاني : العلماء وآراءهم عن الآيات البحرية في القرآن الكريم 159

الباب الرابع: دراسة مقارنة للفهم التقليدي والحديث لعلم البحر في تفاسير القرآن الكريم

- الفصل الأول: التفاسير المختلفة للقرآن الكريم وأسلوبها في قرون مختلفة 168
- الفصل الثاني : الآيات في علم البحر وتفسيرها عبر القرون 190
- الفصل الثالث : المقارنة بين الدراسات التقليدية والحديثة عن علم البحر في تفاسير القرآن الكريم 205

الخاتمة 211

المصادر والمراجع 216

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه الغر الميامين وعلى التابعين لهم بإحسان الى يوم الدين، أما بعد :

يعد القرآن الكريم أرقى الكتب وأبلغها من حيث قيمته اللغوية ومكانية الأدبية، وذلك لما يجمعه من البلاغة والبيان والفصاحة، وللقرآن أثر بليغ في توحيد وتطوير اللغة العربية وآدابها وعلومها الصرفية والنحوية. وقد وحد القرآن الكريم اللغة العربية توحيدا كاملا وحفظها من التلاشى والانتقراض، كما حدث مع العديد من اللغات السامية الأخرى.

إن الإشارات العلمية الواردة في القرآن الكريم كانت ولا تزال سببا إلى اعتناق كثير من العلماء البارزين المتقدمين والمعاصرين بالإسلام، وذلك بأنهم اعتقدوا بأن هذه الحقائق العلمية التي لم يكشفها علم الإنسان إلا مؤخرا. وأما الإشارات العلمية التي وردت في القرآن بيد رجل أمي قبل أربعة عشر قرن، فلس له أسباب مادية إلا الوحي الإلهي.

لقد اهتم القرآن بالعقل الإنساني اهتماما كبيرا باعتباره مركز التفكير والتأمل والتدبر، وقد بين أن العقل نعمة كبرى وجعل له مكانة عالية، لا بد من استخدامه واللجوء إلى حكمه. فيقول تعالى في أواخر كثير من الآيات "إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون" (سورة النحل: 2)، "قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون" (سورة الحديد: 17) وغيرها من الآيات التي يضيق المقام باستقصائها. ورفع به الإنسان عن مرتبة الحيوان، وقد فضل الإسلام أولي الألباب والنهى على غيرهم وبهذا يظهر أن الإسلام دين العقل والنهى.

لا يصطدم القرآن الكريم مع العلم الذي يعرف بكلمة إنجليزية Science، هو الذي جاء باكتشافات عجيبة عن الكائنات. رغم ذلك أن القرآن لا يعتبرها علوما قطعية لأن أساسها خيالات وظنون واعتبارات يصل إليها الإنسان الباحث على سبيل البحث والاجتهاد، فلذا يلاحظ أن الاكتشافات العلمية لا تزال تتجدد وتتبدل عكسا للعلوم القرآنية وهي كلها علوم قطعية تحدث بها الخالق الله عالم السر والنجوى.

وقد حملني على اختيار هذه الأطروحة رغبتي في الدراسة القرآنية والكشف عن آياتها مقارنا بالعلم الحديث وما بها من إعجاز علمي ظهر في عصرنا الراهن مصداقا لقوله تعالى: ‘سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق’ (سورة فصلت: 53)، ولبيان مصداقية رسالة الإسلام وعموميتها وعالميتها. وليس لي سبب آخر يدعوني إلى اختيار هذا الموضوع للبحث إلا طموحي لخدمة كتاب الله تعالى راجيا، قدر ما استطعت وأن أعارض وأصحح تهمات المفترين.

وقد تناولت في هذا البحث قدر إمكاني وسعيت مع وقاية لازمة وعناية فائقة لتمنعني من الخطأ راجيا من الله التوفيق. وقد كنت حريصا على إتمام هذه الرسالة ومررت بمراحل كلها راجيا ثواب الله الخالد، ووقفت عندها وقوفا طويلا لإدراك أسرار الآيات القرآنية.

وقد بحثت واستفدت من كتب التفاسير التراثية والعصرية واستقيت منها آراءهم القيمة وحاولت مقارنتها بآراء العباقرة من علماء علم الحديث.

واخترت الموضوع ‘العلم الحديث في القرآن الكريم بإشارة خاصة إلى علم البحر’ للبحث، وذلك للنظر في الأحوال البحرية وما اكتشف علم الحديث فيها بمساعدة الأجهزة الحديثة والتقنية الدقيقة، وما ذكره تعالى في القرآن الكريم. البحر كما نعلم خلق من خلائق الله تعالى له شأن كبير في كتاب الله فهو تارة جند من جنود الله يمتثل أوامره يوالى أولياءه ويكرمهم

ويعادي أعداءه فيغرقهم وتارة يحمل الخير والنفع وهو دائما مضرب المثل لسعة علم الله ورحمته وأحيانا هو محل لإختبار الله عباده وفي الجملة وهو مأوى العجائب وكنز الدخائر.

وقد قسمت هذا البحث إلى أربعة أبواب وفي كل باب فصول تشتمل أنواعا عديدة من المعلومات المتعلقة بها.

الباب الأول يناقش عن المواضيع العلمية في القرآن الكريم: الفلكي والبيولوجي، والفيزياوي، والجغرافي والجوي. يتحدث هذا الباب عن اللمحات الحديثة التي كشفها العلم في القرن العشرين والحادي والعشرين. وفي هذا الباب خمسة فصول، الفصل الأول: القرآن الكريم وأسلوبه العلمية، الفصل الثاني: الآيات الفلكية في القرآن الكريم والعلم الحديث، والفصل الثالث: علم البيولوجيا في القرآن الكريم والعلم الحديث، الفصل الرابع: علم الفيزياء في القرآن الكريم والعلم الحديث، الفصل الخامس: العلم الجغرافي والجوي في القرآن الكريم والعلم الحديث.

والباب الثاني يدور حول دراسة لغوية للآيات البحرية في القرآن الكريم، وفيه تحليل أدبي للمصطلحات البحرية في القرآن الكريم. وفي هذا الباب أربعة فصول، الفصل الأول: النظام اللغوي للقرآن الكريم، والفصل الثاني: أسلوب القرآن في تبيين الآيات العلمية، والفصل الثالث: الآيات البحرية في القرآن الكريم، والفصل الرابع: التفسير البلاغي للمصطلحات البحرية.

والباب الثالث يتحدث عن الآيات البحرية دراسة علمية وتحليلية بين الآيات والعلم الحديث. وفيه فصلان، الفصل الأول: تحليل علمي للآيات القرآنية في علم البحر، والفصل الثاني: العلماء وآراءهم عن الآيات البحرية في القرآن الكريم.

والباب الرابع هو دراسة مقارنة للفهم التقليدي والحديث لعلم البحر في تفاسير القرآن الكريم. وفي هذا الباب ثلاثة فصول، الفصل الأول: التفاسير المختلفة للقرآن الكريم وأسلوبها

في القرون المختلفة، والفصل الثاني: الآيات في علم البحر وتفسيرها عبر القرون، والفصل الثالث: المقارنة بين الدراسات التقليدية والحديثة عن علم البحر في تفاسير القرآن الكريم.

وأنا مسرور جدا لما وفقني الله بحوله وقوته لإتمام هذا البحث، وأشكره شكرا جزيلا لا نهاية له وأتمنى أن يجعل الله تعالى هذا ذا حيوية وقيمة بإذنه، وأقدمه إلى طلبة العلم راجيا من الله التوفيق. وأسأل الله المولى القدير أن يتقبل منا هذا العمل، إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

الباب الأول

مواضيع علمية في القرآن الكريم: الفلكي، الأحياء، الفيزياوي، الجغرافي والجوي

الفصل الأول – القرآن الكريم وأسلوبه

الفصل الثاني – الآيات الفلكية في القرآن الكريم والعلم الحديث

الفصل الثالث – علم البيولوجيا في القرآن والعلم الحديث

الفصل االرابع – علم الفيزياء في القرآن والعلم الحديث

الفصل الخامس – العلم الجغرافي والجوي في القرآن والعلم الحديث

الفصل الأول

القرآن الكريم وأسلوبه

القرآن الكريم: لغة واصطلاحا

القرآن في اللغة: "هو مصدر مرادف للقرآن ومنه قوله تعالى: "إن علينا جمعه وقرءانه، فإذا قرأناه فاتبع قرءانه" (سورة القيامة: 17،18)، ثم نقل من هذا المعنى المصدري، وجعل إسما للكلام المعجز، ثم أتى إليه علماء اللغة. وقيل أنه وصف القرء بمعنى الجمع أو أنه مشتق من القرائن، أو أنه مشتق من قرنت الشيئ بالشيئ، أو أنه موضوع أي مرتجل من أول الأمر علما على الكلام المعجز المنزل.

وفي الإصطلاح: كلام الله سبحانه وتعالى المنزل على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته. فكلام الله جنس يخرج به سائر أنواع الكلام، والمنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فصل يخرج به ما أنزل من كلامه تعالى على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الكتب والصحف، والمتعبد بتلاوته فصل آخر يخرج به الأحاديث القدسية، لأنها لم توحى إليه صلى الله عليه وسلم لأن يتعبد بقراءتها، بل أوحيت إليه صلى الله عليه وسلم غاية إلى معانيها مثل الأحاديث النبوية بخلاف القرآن، فإن من مقاصده الأصلية العظيمة قراءته على صورة تعبد.

القرآن هو كتاب الله العزيز الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم هدى ورحمة وموعظة ودعوة إلى خير الدنيا والآخرة. هو أساس الإسلام وفيه نجد كل تفاصيل للحياة

الإسلامية. اختص القرآن الكريم بخصائص كثيرة، ولعل هذه الخصائص سبب الإختلاف في تعريف القرآن الكريم بين العلماء، فكل تعريف يذكر خاصية للقرآن يعرفه بها لا يذكرها الآخر، ولهذا تعددت التعريفات. أنزل الله تعالى هذا القرآن على رسوله بطريقة الوحي منجما لينشئ الأمة العربية لإصلاحها ولتبليغ رسالة توحيد الله على العالم، وتم نزول القرآن في ثلاث وعشرين سنة. والسور والآية التي نزلت في اثناء اقامته بمكة تسمى المكية والسور والآية التي نزلت في اثناء المدة بعد الهجرة واقامته بالمدينة تسمى المدنية. ومجموع القرآن اربع عشرة ومائة سورة.

عندما نفكر عن موضوعات السور والآية التي نزلت بمكة نجد أنها الدعوة الى عبادة الله وحده لا شريك له والى ترك عبادة الاصنام التي لا تنفع ولا تضر والى الإيمان بحياة اخوية بد الحياة الدنيوية في يوم يبعث فيه الناس. يقرر القرآن كل ذلك في صور شتى واساليب مختلفة وهي تشتمل على موعظة حسنة، وحكمة بالغة وعلى دعوة إلى الفضيلة المكرمة وعلى عبرة من قصص والأمم الطاغية أو على عاقبة الأمم الباغية وعلى سيرة المسلين وعلى الاستدلال بخلق السماوات والأرض كما تحتوي على اجوبة للمستهزئين والكافرين والجاهلين.

والسور كانت في أول الإسلام قصيرة بليغة، وذلك لأن اهم ما قصد اليه الإسلام في أول أمره بيان منزلة العبد من مولاه وخالقه وما اعده له على طاعته أو معصيته من ثواب او عقاب. وكان هذا أمر السور والآيات في القرآن التي نزلت قبل الهجرة. ولكن بعد الهجرة قوي الإسلام ونرى أن موضوعات سور القرآن التي نزلت في هذه الفترة كانت مختلفة مثل نظام العبادة والفرائض والحلال والحرام ونظام الأسرة ونظام الجماعة ونظام معاملة أمة المسلمين لغيرها من الأمم في الحرب والسلم وغيرها.

وجملة القول أن القرآن كتاب هداية إلى مكارم الأخلاق والآداب وإلى توحيد الله وعبادته وكتاب شريعة لحقوق الأسرة والأمة. ومعلوم أن القرآن كلام الله ما في ذلك ريب، ومعلوم أيضا أن الإنسان له كلام قد يراد به المعنى المصدري أي التكلم وقد يراد به المعنى الحاصل بالمصدر أي المتكلم به. وهناك إطلاق آخر للقرآن يقول به المتكلمون أيضا لكن يشاركهم فيه الأصوليون والفقهاء وعلماء العربية.

ذلك أنه هو: اللفظ المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس الممتاز بخصائصه المختلفة المتنوعة، فهو مظاهر وصور لتلك الكلمات الحكمية الأزلية. إطلاق القرآن على الكل وعلى أبعاضه: لا شك أن القرآن يطلق على الكل وعلى أبعاضه. فيقال لمن قرأ اللفظ المنزل كله إنه قرأ قرآنا. وكذلك يقال لمن قرأ ولو آية منه: إنه قرأ قرآنا. لكنهم اختلفوا، فقيل، إن لفظ قرآن حقيقة في كل منهما وإذا يكون مشتركا لفظيا. وقيل: هو موضوع للقدر المشترك بينهما وإذا يكون مشتركا معنويا ويكون مدلوله حينئذ كليا.

وقد يقال: إن إطلاقه على الكل حقيقة وعلى البعض مجاز. والتحقيق أنه مشترك لفظي بدليل التبادر عند إطلاق اللفظ على الكل وعلى البعض كليهما والتبادر أمارة الحقيقة. والقول بعلمية الشخص فيه كما حققنا آنفا يمنع أنه مشترك معنوي فتعين أن يكون مشتركا لفظيا. وهو ما يفهم من كلام الفقهاء إذ قالوا مثلا: "يحرم قراءة القرآن على الجنب فإنهم يقصدون حرمة قراءته كله أوبعضه على السواء"[1].

[1] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، ج: 1، ص 18-19

أسلوب القرآن الكريم

الأسلوب قي الغة: يطلق الأسلوب في لغة العربي إطلاقات مختلفة فيقال للطريق بين الأشجار وللفن واللوجه وللمذهب وللشموخ بالانف ولعنق الأسد لطريقة المتكلم في كلامه. الأسلوب في الإصطلاح: تواضيع المتأدبون وعلماء العربية على أن الأسلوب هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه أو فنه الذي انفرد به المتلكم كذلك.

لقد اتفق العلماء على أن الأسلوب هو: الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، أو هو: المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه، أو هو: طابع الكلام، أو هو: فن الكلام الذي انفرد به المتكلم.

وإذا، فأسلوب القرآن الكريم هو: طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه، واختيار ألفاظه، ولا غرابة أن يكون للقرآن الكريم أسلوب خاص به، فإن لكل كلام إلهي أو بشري أسلوب الخاص به، وأساليب المتكلمين وطرائقهم في عرض كلامهم من شعر أو نثر تتعدد بتعدد أشخاصهم بل تتعدد في الشخص الواحد بتعدد الموضوعات التي يتناولها والفنون التي يعالجها.

خصائص الأسلوب القرآني تعطي الدارس منهجا لطرائق الخطاب في الدعوة إلى الله بما يناسب نقسية المخاطب، ولكل مرحلة من مراحل الدعوة موضوعاتها وأساليب الخطاب فيها، كما يختلف الخطاب باختلاف أنماط الناس ومعتقداتهم، وأحوال بيئتهم، ويبدو هذا واضحا جليا بأساليب القرآن المختلفة في مخاطبة المؤمنين والمشركين والمنافقين وأهل الكتاب.

اصطفى الله من ألفاظ اللغة العربية أفصحها وأيسرها على اللسان، وأسهلها على الأفهام، وأمتعها للآذان، وأقواها تأثيرا على القلوب، وأوفاها تأدية للمعاني، ثم ركبها تركيبا محكم البنيان،

لا يدانيه في نسجه كلام البشر من قريب ولا بعيد، وذلك لما يمكن في ألفاظه من الإيحاءات التي تعبر إلى خلجات النفس.

ومع جمال التعبير تكون دقة التصوير، وهي نوع آخر من أنواع الجمال الفني المعجز، فيه عقول البلغاء في كل زمان ومكان. فالقرآن الكريم يبرز المعاني المعقولة في صور محسة منتزعة من الواقع المشاهد، مؤتلفة ائتلافا عجيبا في قوالب كلية متحركة، تشعر فيها بالأصوات والألوان والحركات، مما يجعلك تعيش مع الواقع الذي تصوره لك هذه التشبيهات والاستعارات والكنايات المسبوكة سبكا فريدا يأخذ بمجامع القلوب، ويملك على الإنسان حسه ومشاعره، فلا يحتاج إلى مزيد تصوير للحقائق التي يذكرها القرآن في ثنايا هذه اللوحات البارعة البديعة في عناصرها، وانسجامها مع معانيها ومراميها[2].

خصائص أسلوب القرآن

انفرد القرآن الكريم بطريقة سويّة في تأديه المعاني وإبرازها في قوالب لغوية لا تنافُرَ بين ألفاظها ولا بين حروفها. إنها طريقة مستقيمة لا عوج فيها، ولا تناقض ولا اختلاف، تسلك بالناس مسالك الهدى من غير تكلُّف ولا اعتساف، وتأخذ بتلابيب عقولهم إلى التأمُّل والنظر في الحجج الساطعة التي يأتي بها الواقع المشاهَد، بحيث لا يسع أحد إنكاره أو المراء فيه، إلّا من سفه نفسه، وألغى عقله، وتخلى عن فطرته التي فطره الله عليها.

ولهذا الأسلوب القرآني خصائصه الفنية، وسماته البلاغية، ولطائفه اللغوية، وسوانحه العقلية، وتأثيره الخاص في النفوس السوية، وفي النفوس الجامحة أيضا. وله جمال يعرف ولا

[2] محمد بكر إسماعيل، دراسة في علوم القرآن، ج 1، ص 332، الناشر، دار المنار.

يوصف، فمهما قيل فيه فهو أرفع من أن تحيط بكنهه العقول، أو تعبِّر عنه ألسنة المتكلِّمين أو أقلام الكاتبين.

الإعجاز القرآني كان ولا يزال جديراً بأن يثير في التفكير الإسلامي مباحث على جانب عظيم من الأهمية، يتصدّى لها العلماء للكشف عن وجوه التحدّي القرآني، وكان التحدي القرآني بادئ الأمر لغوياً تحدّى العرب في أخصّ ما عرفوا به من فصاحةٍ وبيان، فقد أعجز فصحاء العرب فاستكانوا أمام إعجازه وأعلنوا عجزهم عن تقليده أو الإتيان بآية من مثله فهو يعلو ولا يعلى وما هو بقول البشر، وهذا ما أعلنه الوليد بن المغيرة عندما وقف دهشاً أمام إعجازه اللغوي.

أن القرآن الكريم ليس كتاب لغةٍ فحسب بل كتاب تشريع ومنهج حياة ولا تنقضي عجائبه العلمية، لذا لم يقف العلماء جيلاً بعد جيل عند حدّ الإعجاز القرآني اللغوي أو التشريعي، بل اتجهوا إلى الإعجاز العلمي الذي جعل آلاف العلماء يدينون بهذا الدين الحق، عندما أيقنوا أن الحقائق العلمية اليقينية توافق ما في القرآن، ولعل من أهم مناحي الإعجاز العلمي، الإعجاز الجغرافي الذي لفت القرآن الإنسان إليه عن طريق الأدلة الجغرافية الطبيعية والكونية، فالآيات القرآنية خاطبت عقول الناس ونفوسهم وفطرتهم ودعتهم إلى التفكر والتدبر والتبصّر في آيات الكون المنتشرة وآيات الخلق والمخلوقات المتعددة ليكون ذلك سبيلاً إلى الوحدانية[3].

[3] الدكتور محمد مختار عرفات، إعجاز القرآن في علوم الجغرافية، 2011.

أسلوب القرآن الكريم في العلم

العلم: هو معرفة الشيء على حقيقته، وهذه الحقيقة لا يتمّ إدراكها إلّا بالمعرفة، والعلم يتطوّر في شتّى المجالات فقد يطلق العلم على معانٍ كثيرة، مثل: علم العقائد، والرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، وعلم الأرض، وغيرها، وهو أي علم يجتهد فيه الإنسان ويمكن الاستفادة منه للناس، وهناك علوم أخرى ظهرت في العصر الحديث وسمّيت بالعلم الحديث، مثل: علم الحاسوب، والمحاسبة، والإدارة، والاقتصاد، وغيرها ويشمل أيّ علمٍ قد تمّ ظهوره ما بين قرن العشرين والواحد والعشرين.

لقد جاءت كلمة العلم ومشتقاتها في كتاب الله كثيرا، ومما يبين اهتمام القرآن بالعلم أن أول آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتعبد في غار حراء قوله تعالى: ‘اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم’ (سورة العلق: 1-5)، وأنه أقسم بالقلم في قوله تعالى: ‘ن والقلم وما يسطرون’(سورة القلم: 1)، وقد جعل الله للعلماء منزلة رفيعة، حتى جعلهم من الشهداء على وحدانيته، قال تعالى: "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط.."(سورة آل عمران: 18)، وقد خصهم الله بالدرجات العليا في الجنة، قال تعالى: "يرفع الله الذين منكم والذين أوتوا العلم درجات.."(سورة المجادلة: 11).

وهكذا يتضح من خلال الآيات مكانة العلماء في القرآن الكريم، وأنه قد أولاهم منزلة وقدرا ليست لسائر البشر، مما يدلنا على مدى اهتمام القرآن بالعلم وأهله، مع الإشارة إلى ‘أن مفهوم العلم ليس في كثرة التحصيل والدرس فحسب، فأنما العلم الصادق هو الذي ينتفع به الناس، كما أنه الذي يسبغ على صاحبه الحكمة، فيصبح بدون تكلف طابعا ملازما له في

سلوكه الأخلاقي، ونورا يضيئ له سبيل الرشد والخير'، "... ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا..." (سورة البقرة: 269)[4].

إن القرآن قد دعا إلى علوم الدين وعلوم الدنيا معا فكل علم يدفع الجهل ويورث المعرفة هو من العلم المطلوب شرعا. فالعلم الطبيعية وعلم النفس وعلم التاريخ والجغرافيا والإجتماع وعلم النبات والحيوان والفلك وغيرها قد حض الله المسلمين على تعلمها بجانب العلوم الدينية ليكونوا أبصر بعظمة الله وقدرته المتجلية في خلقه، ولما يترتب على هذه العلوم من منافع مادية ناتجة عن استخدام حقائق العلم في شئون الحياة.

ومثلا للآيات التي تشجع الدراسات العلوم، فمن الآيات الدالة على تعلم العلوم الطبيعية قوله تعالى: "ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين" (سورة الروم: 22). ومن قوله تعالى أيضا: "ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء..."(سورة فاطر: 27،28)، فموضوع هذه الآيات هو نفس موضوع العلم الطبيعي، من حيث إنه يبحث عن الأشياء الكونية وطبائعها وخواصها والعلاقات التي بينها.

إن هذا النوع من التفسير لبعض الآيات الكونية والطبيعية وغيرها ذات الطابع العلمى منهج جديد ومحاولة موفقة إن شاء الله تعالى لاظهار ما في القرآن من إعجاز علمى أو تشريعى لم يعرفه المفسرون القدامى المعرفة التامة، ولم يكن ذلك عن إغفال لشأنها وإنما كان ذلك منهم لانهم نظروا إليها نظرة تأمل وإجلال وتقديس باعتبارها مظهر لقدرة الله العظيمة في خلق هذا الكون وروعة حكمته وتدابيره لجميع ما فيه من كائنات ومخلوقات.

---

[4] د/ حسين الشرقاوي، نحو منهج علمي إسلامي، ص 19

ولكن عندما تقدم العلم واتسعت آفاقه مع تطور المدنية والحضارة أخذت أنظار العلماء تتجه إلى ما جاء به القرآن من حقائق علمية سبقت نهضة الانسان العلمية بعدة قرون. فمن المعلوم أن القرآن نزل على النبى صلى الله عليه وسلم خلال القرن السادس الميلادى أى قبل عصر نهضة أوروبا التى بدأت طلائعها في القرن الرابع عشر الميلادى.

واستمرت في نمو وإزدهار وحققت نتائج قيمة من الكشوف العلمية في مختلف العلوم والفنون والآداب التى حررت العقول من الجهل والخرافات التى كانت سائدة ومسيطرة في العصور الوسطى ومما يذكره التاريخ من قضايا هذا العصر الوسيط أنه قامت بين رجال الدين المسيحى وبين رجال العلم مخاصمات ومنازعات خطيرة في أمور علمية، اعتبرها رجال الدين خروجا على ما في الكتب المقدسة من نصوص لم يفهموها وحرفوها وغيروا وبدلوا فيها، تبعا لاهوائهم وتحقيقا لمصالحهم ومنافعهم الخاصة.

أهمية العلم في الإسلام

العلوم جمع علم، والعلم نقيض الجهل، وهومصدر مرادف للفهم والمعرفة، ويراد به إدراك الشيئ بحقيقته أو اليقين، أو هو نور يقذفه الله في القلب. ويطلق العلم على مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة، مثل علم النحو، وعلم الطب، وعلم الكيمياء. ويجمع على علوم، وقد يسمى به المباحث التي تتناول موضوعا واحدا مثل: علوم العربية، والعلوم الطبيعية، والعلوم التجريبية.

يعتبر العلم أحد الأسلحة القويّة الّتي يمكن من خلالها أن يقوم الشخص بعمل أيّ شيءٍ يخطر له؛ فالعقل بشكلٍ عام هو الميّزة الّتي تميّز الإنسان عن باقي المخلوقات الّتي خلقها الله

عزّ وجل في الكون، وهو القدرة الكبرى له وبه يكمن سرّه، ولكن لا يمكن لهذا العقل أن يعمل بالشّكل الصحيح من دون أن يتسلّح بالعلم والمعرفة، فهو من دون هذين الأمرين يعتبر كالقدر الفارغ والّذي لا تُرجى منه أيّ فائدة على الإطلاق، بل إنّ عدم وجوده من دون العلم والمعرفة يُعتبر في كثيرٍ من الأحيان أفضل من وجوده، لأنّ استخدامه سيكون استخداماً خاطئاً. وقد ذكر القرآن العقل باسمه وأفعاله زهاء خمسين مرة، وكذلك جاءت كلمة أولو الألباب، أي أصحاب العقول ست عشرة مرة[5]، وكذلك جاءت كلمة أولو النهى في موضعين، وكلاهما في سورة طه.

وقد بين القرآن أم العقل نعمة كبرى، لا بد استخدامه واللجوء إلى حكمه فيقول تعالى في كثير من فواصل الآيات القرآنية: "إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون"(سورة الرعد 4)، قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون(سورة الحديد: 17)، وغيرها. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي يضيق المقام باستقصائهما، مما يؤكد مكانة العقل وضرورة إعماله ومما يدفع أي تناف أو تعارض بين النقل والعقل.

وهكذا فقد جعل الإسلام للعقل مكانته الرفيعة، ورفع الإنسان به عن مرتبة الحيوان وجعله الميزان الذي يزن به المرء أعماله وأموره، وقد فضل الإسلام ذوي العقول والأحلام والنهى والألباب على من لا عقول لهم وجعل لهم التقدم والصدارة، وبهذا يظهر لنا أن الإسلام هو دين العقل[6].

"إن الإسلام لا يطلب الإيمان بدون استعمال العقل، بل يأمر أهله بالتفكير في الآيات الت تدل على الخالق كالنظر في السماوات والأرض وفي إبداء الصنع لكل شيئ، فهو لا يقيد

[5] محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص 644

[6] د/ صلاح الدين المنجد، الإسلام والعقل على ضوء القرآن الكريم والحديث النبوي، ص 59

العقل، ولا يقبل التحجر والتعفن، ولا يجير الإنقياد الأعمى، لأن ذلك يجرد الأنسان من أهم خاصة زوده الله بها، وهي نعمة العقل، وهو يربأ بالإنسان أن يتقاعس وأن يخلد إلى الأرض، وأن يرضى بالقليل، ويهيب بالناس أن ينظروا وبتدبروا وبتفكروا ويتعلموا ليعرفوا آيات الله ويدركوا سرها، بل يتحدى الجهل، ويعيريهم بعدم التعلم وضيق معلوماتهم"[7].

وهكذا نجد الإسلام في حرصه على حرية التفكير من حيث جوهر وحرية التعبير من حيث هي أداة للإعلان عن هذا الجوهر، يبتغي في النهاية أن يجيء العقل حرا وأن تكون حرية العقل هذه الأداة لتجويه وانتقاء أفضله وأنفغه، لأن الإنسان القويم لا يختار من الأفعال إلا ما يوافق ملكاته ومواهبه ومصلحته[8].

يقول مصطفى صادق الرافعي: غير أننا نوثق الكلمة في أن القرآن الكريم كان سببا العلوم الإسلامية ومرجعها كلها، بأنه ما من علم إلا وقد نظر أهله في القرآن، وأخذوا منه مادة علمهم أو مادة الحياة له، فقد كانت سطوة الناس في الأجيال الأولى من العامة وأشباه العامة شديدة على أهل العلوم النظرية، إلا أن يجعلوا بينها وبين القرآن نسبا من التأويل والإستشهاد والنظر، أو يبتغوا بها مقصدا من مقاصده، أو يريغوا معنى من معني من معني التفقه في الدين والنظر في آثار الله، إلى ما يشبه ذلك مما يكون في نفسه صلة طبيعية بين أهل العقول والبحث وأهل القلوب والتسليم[9].

وهكذا فقد أدركنا إحاطة القرآن بمخترعات العصر، واختراقه لحجب المستقبل، وأن هذا القرآن قد دعا وشدد في طلب جميع العلوم الدينية والطبيعية، ولذلك لا بد من الإطلاع على

---

[7] د/ حسين الهراوي، النظريات العلمية في القرآن الكريم، ص 13

[8] د/ محمد ظفر الله خان، الإسلام والإنسان المعاصر، ص 239

[9] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبيوية، ص 122، 123

معطيات العلم الحديث، وتوجيه أنظار الأمة لما في القرآن من إعجاز علمي، تيسيرا للدعوة إلى دين الله في هذا العصر، وليعلم الجميع أن هذا الدين قائم على العلم، وأن آيات القرآن تتفق مع معطيات العلم الحديث واكتشافاته فيما توصل إليه من حقائق ثابتة.

الفصل الثاني

الآيات الفلكية في القرآن الكريم والعلم الحديث

إن علم الفلك دراسة عن الكواكب والنجوم والمجرّات، أصبح هذا العلم علما متعارفا من القرن السابع عشر مع اكتشاف المرصد. وقد تطور علم الفلك تطورا واسعا في القرنين التاسع عشر والعشرين مع اختراعات الكيمياء والفيزياء الحديثة. أما علم الكون فهدفه دراسة نشأة وتطور وتركيب الكون، وهو علم ناشئ لم يتجاوز عمره عشرات السنين

أما في القرآن المجيد فإننا نجد مئات الآيات الكريمة التي تتعلق بعلم الفلك والكون، وهذه الآيات بصورة منهجية تشكّل ما نسمّيه بعلم الكون والفلك القرآني، بمعنى أن بعض الخطوط الرئيسية لهذين العلمين كما نعرفهما اليوم مرسومة من خلالها. فكثير من الآيات الكريمة التي أسميناها بالثوابت العلمية القرآنية هي، كما أسلفنا، قواعد أساسية يعتمدها علماء الكون والفلك كما سنبيّن من خلال التعليق العلمي المطوّل على كل آية كريمة تطرقت في مضامينها إلى هذين العلمين.

شاء الله أن يجعل هذا الكون العجيب كتابا مفتوحا يقرؤه كل من يتأمله بعين العقل والفكر والوجدان، ليتضح أمام بصيرته ما فيه من روعة وجمال وبهاء، وما أودعه الله في نظامه الدقيق من قوانين ونواميس تحكمه وتنظمه، وقد جاءت آيات قرآنية فيها إشارات إلى هذا العلوم الفلكية، وقد استطاع أولو الألباب من العلماء أن يلمسوا الصلة الوثيقة بين ما أوحى الله به وما كشف عنه العلم الحديث بعد عدة قرون من نزول القرآن. وهناك آيات قرآنية كونية تتعلق بنشأة هذا الكون من سماء وأرض وما فيها من نواميس علمية، يكشف عنها العلم الحديث، يثبت مصداقيتها كحقائق علمية ثابتة.

الآيات الفلكية القرآنية أو الآيات الكونية القرآنية هى عدد من الآيات القرآنية الشريفة تتضمن مادة فلكية سماوية صريحة أو على شكل إشارات أو لمحات. وعادة ماتكون مجملة دون الدخول في المادة الفلكية التفصيلية منسجمة مع الهدف القرآنى العام وهو الهداية وإخراج الناس من ظلمات الجهل الى نور العلم والحياة الكريمة وضمن سياقات قرآنية مختلفة.

"قول علماء الكون بأن الفيزياء الحديثة قد توصلت لمعرفة تفاصيل النشأة الأولى للكون كما كانت بعد جزء من مليارات المليارات من الثانية وتحديدا بعد الرقم ٤٣ . ١٠ من الثانية من نقطة الصفر من بدء هذه النشأة. أما نقطة الصفر في خلق الجبلة الأولى التي نشأت منها المخلوقات جميعها فتبقى مجهولة في حدود العلم الحاضر، إلا إذا استطاع العلم تخطّي وقت بلانك Planck de Temps، وهو الرقم ٤٣ . ١٠ من الثانية فيصل عندها إلى نقطة الصفر في معرفة كيفية بدء الكون وكيفية ظهوره من العدم. مسلّمة خلق الكون من العدم على يد قوة عظيمة هي الله والتي يعتمدها المفكّرون المؤمنون لا تتعارض مع العلم اليوم بل تجد لها سندا في علم الفيزياء الحديثة كما كتب مؤخرا عالم الفلك والكونية ترن تيان Trinh Thuan[10]. إن المادة يمكن أن تظهر من الفراغ إذا حقنت فيها كمية كبيرة من الطاقة. الفراغ مصدر كل شيء: المجرات، والنجوم، والشجر، والأزها، وأنت، وأنا. إن فكرة النشوء من العدم والتي كانت بالأمس حكرا على علماء الدين تجد لها اليوم سندا علميّا في علم الكونية"[11].

ذلك أن العلم الصحيح في هذا الدين رديف الوحي في تثبيت الهدى، تحقيقاً لوعد الرب جل وعلا بجعل آياته في الآفاق والأنفس عاملاً من عوامل بيان الحق، وترسيخ اليقين:

---

[10] هو ترن تيان عالم مشهور في علم الفلك، ولد في ويت نام في سنة 1948، ويعمل في جامعة ورجينيا بجنسية أمريكية، وشهرته في بحث تشكيل المجرة.

[11] الدكتور عدنان الشريف، من علم الفلك القرآني، ص 19،20، الناشر دار العلم للملائين.

"سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ"(سورة الأنبياء: 53). وإن من أهم هذه العلوم الخادمة للكتاب والسنة: علم 'الفلك' أو علم 'الهيئة' كما كان يسميه الأقدمون.

الشمس والنجوم في القرآن الكريم

تصف الآيات القرآنية الشمس آية من آيات الله سبحانه وتعالى، وأن الله تبارك وتعالى خلقها بتقدير دقيق وجعل لنا من انضباط حركاتهما واسطة دقيقة لحساب التأريخ والزمن للأحداث، وأنها ضياء أي مصدر للضوء وأنها سراج أي مشتعل، متقد، مضيء بذاته، وأنها سراج وهاج، وأنهما والنجوم مسخرات بأمر الله، وأن هذا التسخير لأجل مسمى ينتهي بعده كل هذا الكون، وأن بداية تهدم الكون الحالي تشبه في بداية تكور الشمس والنجوم. الوصف الأول : ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر (سورة فصلت: 38)، روى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولكن الله تعالى يخوف بهما عباده"[12].

الشمس احد السيارات التي تدور في فلكها مع الكواكب الأخرى المحيطة بها، وهي نجم صغير من بين مئات المليارات من النجوم التي تؤلف مجموعة المجرات، ترسل حرارة شديدة. والشمس من آيات ربنا الكبرى ونعمة من نعماته تعلق بها من المنافع العظيمة حتى لا بقاء لنا ولا حياة بدونها. فإن كل شيئ في هذا العلم من نبات وحيوان وإنسان وجوده وبقاءه مرتبط بالشمس.

[12] محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الكسوف، وقم الحديث 993.

والآية المتعلقة بالشمس منها: والشمس مصدر الضوء، كما قال تعالى: وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا (سورة نوح: 16)، تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا (سورة الفرقان: 61). والسراج الوهاج، هو الشمس ثم قال تعالى: هو الذي جعل الشمس ضياءا والقمر نورا (يونس: 5). والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم (سورة الصافات: 38). الشمس تجري وهذا بينه القرآن الكريم مفصلا تفصيلا دقيقا على حين ظل العلم إلى عهد قريب يتحسس طريقه بالإفتراض، إن الشمس ثابتة في مكانها بعد أن أقام الحجة على الأرض تدور حول نفسها محدثة عن حركتها الليل والنهار.

وذلك لأن الحضارة الإسلامية، التي تعد بمثابة الإفراز الطبيعي لهذا الدين الخالد، قد اهتمت منذ اللحظات التاريخية الأولى لانبثاقها من رحم التاريخ، بسائر العلوم بوجه عام، وعلم الفلك بوجه خاص. فرأينا المسلمين يتحدثون عن الكون المخلوق القرآن التكويني، وعن الكون المكتوب القرآن التدويني. وما من كتاب مقدس في مختلف الأديان تكرر فيه ذكر آيات الله المتجلية في النظام الطبيعي مثل ما تكررت في القرآن الشريف، ما عدا استثناء ممكن فيما يخص كتاب الفيدا وهو أيضًا انعكاس مباشر للوحي الفطري[13].

يؤكد الفريق العلمي أن التفسير الوحيد لوجود هذه الغازات هو أن النجم ابتلع مجموعة أو مجموعتين من كواكبه، ويعتبر هذا النجم شبيهاً جداً بالشمس، ولكنه أكبر منها قليلاً وأكثر إشعاعاً، ويقع على بعد ثماني وسبعين سنة ضوئية مما يجعله قريباً نسبياً من كوكب الأرض. وللنجم كوكبان يدوران حوله، أحدهم تبلغ كثافته ضعف كوكب المشتري، والآخر أقل منه بقليل.

[13] د. سيد حسين نصر: العلوم في الإسلام، ترجمة: مختار الجوهري، دار الجنوب للنشر، تونس 1398هـ = 1978م، ص 85.

وقد حيرت النجوم خارج مجموعتنا الشمسية عدداً من الفلكيين منذ اكتشافهم لها عام اثنين وتسعين لأنها تدور في فلك قريب جداً من النجوم التي انبثقت عنها.

"ولا يعرف الفلكيون ما إذا كان اكتشافهم هذا له علاقة بكون النظم الشبيهة بنظامنا الشمسي هي نادرة حقاً أو هي مشكلة بسيطة متعلقة بالتكنولوجيا الحديثة المتوفرة لدينا القادرة على التقاط النظم الغريبة. وتشير الدراسات إلى وجود عدد كبير من النجوم التي تحوم في فلكها بقايا عناصر فضائية. وبينت دراسة لأكثر من 450 نجماً شبيهاً بالشمس احتواءها على عنصر الحديد في الجزيئات المحيطة بها أو على سطوحها، مما يدل على أن تلك النجوم قد أتخمت نفسها بابتلاع العناصر الفضائية."[14]

"الشمس كما رآها العلماء من خلال المرصد Solar Dynamics Observatory's Atmospheric Imaging Assembly AIA الخاص بوكالة ناسا بتاريخ February 11, 2010 هذه النجم عندما تموت لن تتحول إلى ثقب أسود لأن كتلتها لا تكفي لذلك، إنما ستتكور على نفسها ويخبو ضوؤها وتتحول لعملاق أحمر بحيث تبلغ حدودها مدار القمر وربما تبتلعه في النتيجة. حقيقة سقوط نجم في أعماق ثقب أسود أشار إليها القرآن بقوله تعالى: وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَى"(سورة النجم: 1). وكلمة هوى بمعنى سقط وهوى باتجاه جسم آخر، وكذلك تتضمن معنى لطيفاً وهو أن النجم يهوي على نفسه وتتساقط مادته لمركز جاذبيته"[15].

[14] الدكتور عبد الدائم الكحيل، شموس تبتلع كواكبها، موقع عبد الدائم الكحيل للإعجاز العلمي.

[15] الدكتور عبد الدائم الكحيل، المقابر الكونية، موقع عبد الدائم الكحيل للإعجاز العلمي.

الثقب الأسود هو مقبر كوني يبتعد وينظف الكون بسبب تجاذبه الفائق الذي لا يسمح للضوء بمغاده وبالتالي فهو مخبوء لا يوجد أبدا، وهذا النجم أشار إليه القرآن القريم، ومن قوله: فلا أقسم بالخنس، الجوار الكنس (سورة التكوير: 15، 16). أشار القرآن الكريم عن حقيقة موت وولادة النجم، إن الله يقول: وأنه هو أمات وأحيا (سورة النجم: 44)، المفهوم هنا الموت ليس للبشر فقط، بل لكل كائنات حية ونجم وكلها تفني، ولا يبقي إلا الله سبحانه وتعالى. ومع ذلك أشار الله عن تكوير أو انخفاض ضوء الشمس: بقوله تعالى: "إذا الشمس كورت" (سورة التكوير: 1). وأشار الله في القرآن الكريم إلى تحرك الشمس، وكان العلماء في قديم الزمان يعتقدون أنها ثابتة في مكانها وكتلها وحجمها، والباقية كلها تتحرك حولها، لكن الشمس تتحرك وتجر، كما قال تعالى: "والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم" (سورة يس: 38)

الشمس سراج والقمر منير

ومن قول الله تعالى: "تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا" (سورة الفرقان: 61)، سراج يعني الشمس، تجمع النور الحرارة ولذا سماها سراجا، ولكن القمر ليس لها حرارة يبعث بضياء، لذا سمي منيرا. إن الشمس سراج بإضاءتها، وإن القمر نور بمجرد انعكاسها.

ومن هنا يمكن القول بأنه كان هناك عاملان حيويان، حرّكا علم الفلك بدفعة قوية منذ بداية الحضارة الإسلامية هما: أن الآيات القرآنية التي تشير إلى الطبيعة تتعلق في معظمها بالسماء. ويعد هذا بمثابة تأكيد من قبل أقدس المصادر الإسلامية على مدى أهمية علم الفلك في حياة الإنسان المسلم. يضاف إلى ذلك ميل العرب الرّحّل، الطبيعي إلى النظر في السماء أثناء تجوالهم في مغاور الصحراء بمساعدة النجوم. وبالتالي أصبح لهذا العلم وما يلحق به من

العلوم العقلية . مكانة رفيعة في الفضاء الثقافي الإسلامي؛ حتى إن الفقهاء وعلماء الدين المعارضين لبعض هذه العلوم استثنوا علم الفلك، بل إن الأمر بلغ ببعضهم إلى أن أحلوه مكانًا رفيعًا[16].

وكذلك أقسم الله بنجوم عظيمة، في قوله تعالى: "والسماء والطارق، وما أدراك ما الطارق، النجم الثاقب" (سورة الطارق: 1–3)، ويعتقد هذه نجوم نابضة، يؤكد العالم ريشارد روتشيلد[17] من جامعة كاليفورنيا، أن النجوم النابضة تعتبر الأشد وهي تعمل مثل المطرقة التي تطرق.

ورد القرآن الكريم كلمة 'فلك' في موضعين: الأول، "وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون" (سورة الأنبياء: 33)، والثاني، "وءاية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون، والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا اليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون" (سورة يس: 37–40).

"فمعنى نسلخ: نفصل منه فيذهب النهار ويقبل الليل، أي أن الليل والنهار في الأصل شيء واحد أمكن قسمه، بإذن الله، على قسمين متضادين بسبب طبيعة الحركة الدورانية حول محور الأرض إزاء الشمس، ثم تبدأ مشكلة تحليل إعجاز: وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا إذ ذهب المفسرون إلى المعنى الدال في مستقر مذهبين مكانياً: تحت 'العرش' وفيه أحاديث، وزمانياً وهو مذهبان أيضاً: إلى يوم القيامة حيث غاية الوجود أو في مطالعها الصيفية تبقى تنتقل إلى

---

[16] د. سيد حسين نصر: المرجع السابق، ص 86.

[17] هو الدكتور ريشارد رودسشيلد Richard Rothschild عالم مشهور في علم الفلك وعضو في هيئة ناسا، أستاذ في جامعة كاليفورنيا، له مقالات ومحاضرات في موضوع علم الفلك.

مدة لا تزيد عليها ثم تنتقل في مطلع الشتاء إلى مدة لا تزيد عليها أيضاً، و المفسرون يحولون الكلمة تجري إلى معنى تتحرك أو تدور وجملة لمستقر لها إلى معنى لنظام لها وهو ليس بخطأ أبداً، أما مآلها المؤقت في اليوم الواحد، ومآلها الأخير في المستقبل السحيق فعلمها عند الله من دون تحديد لطبيعة النهاية الغيبية. تتحرك الشمس وتدور وتجري حول مركز مجرة درب التبانة بسرعة مدارية 255 ك/ثانية و بمدة 250 مليون سنة تقريباً، والجريان للشمس هنا لا يعني دوران الشمس حول المجرة بشكل منتظم"[18].

شمسنا هي نجم متواضع من مائة مليار نجم تؤلف 'المجرة اللبنية' التي يتبع لها نظامنا الشمسي، ومن نعم المولى علينا أن موقع الشمس بالنسبة إلى مركز المجرة اللبنية هو على أطرافها، إذ يبعد عن مركزها مسافة ثلاثين ألف سنة ضوئية، وقد اكتشف حديثاً في مركز 'المجرة اللبنية' شيء هائل غير منظور هو الثقب الأسود الذي أسموه بمقبرة النجوم أو بالوعة النجوم، وله من قوة الجاذبية ما يمكّنه من أن يبلع آلاف النجوم يومياً؛ لأن الثقل النوعي لكتلته يعادل الثقل النوعي لكتلة الشمس أربعة ملايين مرة ، ولو لم تكن شمسنا في موقع بعيد جدّاً عن موقع هذا الغول الملقب بالثقب الأسود؛ لأصبحت لقمة سهلة الابتلاع. والثقب الأسود موجود على ما يبدو في قلب أكثر المجرات، ويعتقد علماء الفلك أن الكازارات أي أشباه النجوم تستمد طاقتها من الثقوب السوداء المتلازمة معها في أكثر المواقع التي اكتشفت فيها حتى الآن.

[18] الدكتور حميد محول النعيمي، الشمس والقمر في القرآن الكريم ومدلولهما الفيزيائي الفلكي، الجليج، 2016/06/22

النجوم في القرآن الكريم

ومن قوله تعالى: "فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم" (سورة الواقعة: 75، 76)، إن هذا القسم يشير عن عظمة النجم في القرآن الكريم، والمعلومات الفلكية تعطي عن مواقعه فكرة مبسطة عن عظمة مواقع النجوم وأهميتها العالية في النظاما الكوني.

ومن أبرز تلك المخلوقات التي لفتت انتباه الإنسان وأخذت حيزاً من تفكيره، النجوم وما فيها من جمال وضياء، فأخذ يراقبها ويتعرف على أهم ما يميزها عن غيرها، ومن خلال تلك التأملات وجد أنه يستطيع تحديد الاتجاهات بواسطة تلك النجوم، لكن الذي لم يستطع الإنسان التوصل إليه أو حتى تخيله هي تلك المسافات الهائلة التي بيننا وبين النجوم، وبين بعضها البعض.

لقد اكتشف العلم الحديث كثيراً من الأسرار المتعلقة بالنجوم، والتي كانت غائبة عن أنظار الناس وبعيدة عن إدراك عقولهم، مما جعل حقائقها تتجلى واحدة تلو الأخرى. توصل إليها العلم الحديث قريباً، ومن خلالها سنتعرض لسبق القرآن الكريم في تجلية هذه الحقيقة وذكرها قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة، في عصرٍ خلت معارف أهله عن أبسط وسائل الرصد الفلكي، هذه الحقيقة هي ما يتعلق بمواقع النجوم.

يقول الله تعالى: "فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيم" وفي هذه الآية قسم إلهي بمواقع النجوم، وقد صُدر القسم بلا النافية، وهي هنا حرف زائد يفيد التوكيد، أي توكيد القسم[19].

[19] الكشاف للزمخشري 1/ 1223، ومختصر ابن كثير 3/ 469.

ما كان الإنسان يستطيع قياس الأبعاد التي بينه وبين النجوم، في الوقت الذي كان يستخدم فيه مقاييس بسيطة تعرف بالفراسخ أو الأميال، وعلى أشد الأحوال قياس تلك المسافات وتقديرها بالأيام، لكن لما جاء العلماء في العصر الحديث وأخذوا يدرسون النجوم والأجرام السماوية الأخرى، وجدوا أن السماء تتكون من تجمعات هائلة من النجوم والكواكب والأجرام الأخرى، وأسموا كل تجمع من تلك التجمعات بالمجرة.

يقول زغلول النجار: "والمجرات هي نظم كونية شاسعة الاتساع تتكون من التجمعات النجمية والغازات والغبار الكونيين 'الدخان الكوني' بتركيز يتفاوت من موقع لآخر في داخل المجرة، وهذه التجمعات النجمية تضم عشرات البلايين إلى بلايين البلايين من النجوم في المجرة الواحدة، وتختلف نجوم المجرة في أحجامها، ودرجات حرارتها، ودرجات لمعانها، وفي غير ذلك من صفاتها الطبيعية والكيميائية، وفي مراحل دورات حياتها، وأعمارها"[20].

"ولاحظ العلماء أن هذه النجوم تبعد عنا مسافات شاسعة لا يمكن قياس أبعادها بالمقاييس التقليدية، فاتفق العلماء على وحدة قياس كونية تعرف باسم السنة الضوئية، وهي المسافة التي يقطعها الضوء بسرعته المقدرة بحوالي الثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية في سنة من سنينا، وهي مسافة مهولة تقدر بحوالي9.5 مليون مليون كيلو متر"[21].

من خلال ما سبق علمنا أن الله تعالى أقسم في كتابه بمواقع النجوم، وهذا القسم يدل على عظم المقسم به، وقد توصل العلم الحديث إلى أن للنجوم مواقع بعيدة جداً، ولا يمكن للعقل أن يتصورها أو حتى يتخيل تلك المسافات الشاسعة، ووصل العلماء إلى اكتشاف حقيقة أخرى

[20] مواقع النجوم للدكتور زغلول النجار، نقلاً عن موقع.www.55a.net :

[21] مواقع النجوم للدكتور زغلول النجار، نقلاً عن موقع.www.55a.net :

وهي أن هذه النجوم تتحرك بسرعات هائلة جداً منتقلة من موقعها الحالي إلى موقع جديد وهكذا باستمرار، مما يجعل هذا الأمر مثيراً للدهشة.

يقول زغلول النجار: ومواقع النجوم هي الأماكن التي تمر بها في جريها عبر السماء وهي محتفظة بعلاقاتها المحددة بغيرها من الأجرام في المجرة الواحدة، وبسرعات جريها ودورانها، وبالأبعاد الفاصلة بينها، وبقوى الجاذبية الرابطة بينها، واللفظة مواقع جمع موقع يقال: وقع الشيء موقعه، من الوقوع بمعنى السقوط. والمسافات بين النجوم مذهلة للغاية لضخامة أبعادها، وحركات النجوم عديدة وخاطفة، وكل ذلك منوط بالجاذبية، وهي قوة لا تُري، تحكم الكتل الهائلة للنجوم، والمسافات الشاسعة التي تفصل بينها، والحركات المتعددة التي تتحركها من دوران حول محاورها وجري في مداراتها المتعددة، وغير ذلك من العوامل التي نعلم منها القليل.[22]

وفي هذا دلالة على السبق القرآني بالإشارة إلى إحدى الحقائق الكونية العظيمة، وقد علمنا أن الإنسان من على سطح الأرض لا يرى النجوم أبدا، ولكنه يري مواقع مرت بها النجوم ثم غادرتها، أو أنه يرى مواقع لنجوم تلاشت واندثرت من أزمنة مديدة تتجاوز ملايين السنين، والضوء الذي انبثق منها في عدد من المواقع التي مرت بها لا يزال يتلألأ في ظلمة السماء في كل ليلة من ليالي الأرض إلى يومنا هذا.

مع العلم بأن هذا السبق القرآني جاء في وقت سادت فيه الخرافة وكثير من التصورات المغلوطة بشأن الكون وموقع الأرض من الكون، فقيل إن الأرض هي مركز الكون، وقيل إن الشمس ثابتة لا تتحرك.

---

[22] نفس المرجع

كان العربيون يعتقدون في أوائل القرن الثامن عشر بأن النجوم مثبتات بالسماء، ولكن النجوم تتحرك كطعة واحدة حول الأرض، ولكن الكون ثابت.

فجاء هذا اللفظ القرآني المعجز على لسان رسول أميّ قبل ألف وأربعمائة عام ليكشف عن عِظم مواقع النجوم وبديع صنع الله فيها، في وقت خلت فيه معارف الناس عن أبسط هذه العلوم، مما يدل بلا شك ولا ريب أن هذا القرآن هو كلام الخالق المبدع لهذا الكون، العليم بدقائقه وأسراره، وقد أنزله مشتملاً على علمه، على نبيه محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم؛ ليكون شاهداً برسالته عليه أفضل الصلاة والسلام.

الإنفجار العظيم

قد أشار القرآن الكريم إشارة واضحة إلى لإنفجار العظيم، كما قال تعالى: "كانتا رتقا وفتقناهما" (سورة الأنبياء: 30)، يقول بعض العلماء، تتحدث هذه الآية عن الإنفجار العظيم، وهذا بداية من الوهلة الأولى، وحدث الفتق يشير إلى بعد بأن هذا ما حدث. يقول العلم الحديث هذه الأشياء، كالإنفجار العظيم: إن الكون في الماضي في قضية حارة عالية شديدة الكثافة فتمتد، فكان الكون جزءا واحدا. ثم انفجرت منها انفجارا عظيما، يشيع العلم الفيزيائي إلى هذه العلوم في هذا العصر فقط.

السماء والسماوات في القرآن الكريم

من الجهة الاخرى، علينا توضيح بعض المسميات التي وردت في القرآن الكريم، فكثيراً ما يخلط الناس بين "السماء" وبين "السماوات والأرض". فقد ذكرت السماء ما يقارب 120 مرّة

في القرآن الكريم، أما "السموات والأرض"، فقد ورد ذكرها ما يقارب 189 مرّة ووصف تعالى نفسه "بديع السماوات والأرض"، فهل "السماوات والأرض" أكبر من السماء، أم أن السماوات والأرض شيء صغير من مكونات السماء.

وصفت السماء في القرآن على انه حبكة بالنجوم، ذات البروج؛ ففيها البروج المعروفة تجمعات النجوم التي نراها بالعين المجردة، وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ(51: 43) الأيد تعني القوّة، فالمجرات خارج المجموعة المحلية في تباعد عنّا كما لاحظ العلماء من خلال الانحياز الى اللون الأحمر، السماء تحدث بها انشقاقات بسبب انفجار النجوم، فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ(55: 37)، تدبير الأمر من السماء الى الارض يحدث في فترة تعادل 1000 سنة من سنين الأرض، يُدَبِّرُ ٱلأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّون(32: 5)، السماء مرفوعة عن الأرض وهي في حالة استقرار، وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ(55: 7)، خلق السماء أشد من خلق الانسان، ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَاهَا، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (79: 27)، الغاية من رفع السماء هو حفظ ما تحتها: وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (21: 32)

سنستنتج مما سبق بأن "السموات والأرض" هي من مكونات السماء، وهي كالحاضنة، تمت هندستها بدقة لتوفير بيئة صالحة للحياة. فبينما تنص النظرية على أن الكون كان في حالة حرارة شديدة بمساحة متناهية الصغر، ولم يكن هناك شيء قبلها، أخبرنا تعالى بأنه خلق الأرض وبارك فيها في الأيام الأربعة الأولى، ومن ثمّ خلق "السموات السبع" في اليومين التاليين، وقد كانت "السماء" قبل كل ذلك في حالة دخان "ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ..."، أي أن السماء وكذلك الأرض كانتا موجودتين قبل خلق السموات السبع! كما وأن مرحلة الفتق حصلت في اليومين الخامس والسادس يومين أي بعد 5\7 من

عمر الأرض المفترض، بينما تقول النظرية بأن الانفجار هو أول ما حصل وفي جزء صغير جداً من الثانية الأولى.

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ، تشير القياسات الحديثة أن معدل تمتد الكون في تزايد ويعزي العلماء هذا التزايد إلى المادة المظلمة التي تظهر في النموذج النظري على صورة الثابت الكوني، أصبحنا في استطاعتنا حديثا قياس تسارع تمدد الكون، وتعتقد النظرية أن تمدد الكون في الماضي كان "تباطئيًا، كابحًا" تحت تأثير قوة جاذبية بين المادة التي نشأت في الكون .

القمر في القرآن الكريم

تشير علماء الفضاء ناسا أن القمر كان مشتعلا ثم انطفأ، يتوافق مع الآية من القرآن الكريم: "وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة" (سورة الإسراء: 12)، يفسر ابن عباس لهذه الآية: كان القمر يضيء كما تضيء الشمس وهو آية الليل فمحى فالسواد الذي في القمر أثر ذلك المحو.

ومن الآية القرآنية عن القمر أيضا: "اقتربت الساعة وانشق القمر" (سورة القمر: 1)، اكتشف العلماء قبل سنوات قليلة ثلاثة أنواع من الشقوق على سطح القمر، تختلف حسب صورتها النوع الأول من صورته فهم بأنه نتج عن تدفق الحمم على سطح القمر، ولم يكتشف منها النوعين الأخيرين فلم يلاحظ الباحثون الأسباب وراء ظهيرها، وبعض من العلماء المسلمين يعتقدون أن هذا من الإعجاء العلمي.

مواقع بعض النجوم بالنسبة للأرض

هناك إشارات صريحة لمواقع النجم للأرض، ومن اكتشافات الحديثة "تبعد الشمس عنّا ثماني دقائق ضوئية أي مسافة مائة وخمسين مليون كم تقريباً، أما أقرب نجم إلينا بعد الشمس فيبعد أربع سنوات ضوئية، أي أربعين ألف مليار كم تقريباً، وأما أشباه النجوم وهي الكازارات، فبعضها يتطلب ضوؤه كي يصل إلينا أربعة عشر مليار سنة ضوئية، فالمسافات بين النجوم تذهل، وكذلك أحجامها وسرعتها وتعدادها وتكوينها وطريقة عملها"[23].

نظرا لبعدها الساحق عنّا تبدو النجوم وكأنها ثابتة إلا أنها في الحقيقة ليست كذلك، فالمسافات بين مواقعها تتزايد في كل ثانية، والكون –كما سبق شرحه– في توسع دائم فكدس كوكبة العذراء يبتعد عن مجرتنا اللبنية 1200 كم في كل ثانية، وكدس العدار يبتعد عنا 60 ألف كم في كل ثانية. الكدس أو الكوكبة: هو مجموعة مجرات يصل تعدادها إلى ألفي مجرة. ويشبّه علماء الفلك: إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (37: 10)، صورة لشهاب قطعة متساقطة من الكواكب كما ظهر خلال ليلة من ليالي شهر آب 1978 م في سماء 'فنلندا' حيث بلغ عدد النيازك والشهب عشرين شهاباً ونيزكاً في الساعة خلال ثلاث ليالٍ.

مجموعات النجوم والمجرات بتباعدها عن بعضها بعضاً بغيمة هائلة من الدخان يبدّدها الهواء ويباعد بين ذرّاتها في جميع الاتجاهات والكون أشبه ببالون هائل تنتشر على سطحه النجوم والكواكب والمجرات، وهذا البالون ينتفخ تدريجيّاً مع مرور الوقت وسيظل يتوسع إلى أن يطويه المولى – جلّت قدرته – يوم القيامة كطيّ السجلّ للكتب ويعيده كما بدأ كتلة بدائية كما جاء في قوله تعالى: يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ

[23] الدكتور عدنان الشريف،

وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى و وَالْفَجْرِ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ ووَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى... يشير ذلك إلى أن كل ظاهرة لها صلة بظهور وأو غياب الشمس وأو القمر على نحو مباشر أو غير مباشر. إذاً، فإن كيفية صياغة القسم تأخذ بعين الاعتبار نظام الحركة الفيزيائية للكواكب حول النجوم تحت أثر قوى الجذب المعروفة أي: الأرض حول الشمس، والقمر حول الأرض والشمس فينتج من تلك الحركة توالد الليل والنهار تدريجياً على شكل منحنى للظلام ومثله للضوء، أي أن حلكة الظلام مقابل شدة الضوء تمثل قمماً في المنحنيين، وكل قمة ناشئة من حالة حركية دورانية معينة، في وقت محدد بالنسبة إلى موضع ثابت، وإن خلق هذا النظام بمادته وحركته، مهما صارت تسميته، لهو أكبر من خلق أي شيء آخر في عالم البيولوجيا التي يتربع الإنسان فوق هامتها، نذكر قوله تعالى: لَخَلْقُ السماوات وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ.

في تحديد مدلول الصفات والأسماء والأفعال المتزامنة مع الظواهر الفلكية ثمة ملاحظات ذات أهمية ينبغي التفكر حيالها مليا، ففي الآية أعلاه في والشمس وضحاها فإن ضحاها قد يفسرها البعض بالضوء أو الضياء، وهو تفسير صحيح، إلا أن الضحى هنا معلوم: وقت من النهار باكر.

وفي الآية: كلا والقمر، وإن فهم الآية الكريمة، يؤول نحو «لَخَلْقُ السماوات وَالأَرْضِ» ابتداءً أكبر من خلق الناس مرة ثانية بعد الموت، وهي الإعادة «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» حسب سياق الآيات في سورة غافر، على أن هذا التحديد في المضمون لا يُلغي ما ذهبنا إليه في آخر أعلاه بل هو جزء منه، إذ إن خلق الإنسان ابتداء وبعد الموت بإحيائه وبعثه يوم القيامة معاً يبقيان دون إعجاز «خَلْقِ السماوات وَالأَرْضِ» بما كشف عنه العلم من خفايا تزيل غموضاً ثم تفضي إلى غموض أكبر وهكذا، وعلى الرغم من أن الشيء نفسه يحدث في

بيولوجيا الإنسان فإن تعقيد الكون صار أكبر من تعقيد الجسم البشري في التعامل والبحث، وكلاهما آية كبرى.

المقابر الكون

اكتشف العلماء دليلاً على سقوط نجم أو كوكب داخل ثقب أسود في داخل مجرتنا. ويقول العلماء إن هذا الثقب القريب من مركز مجرتنا يجذب إليه مادة النجم بشدة ويبتلعه حيث يقوم بشفطه كما تفعل المكنسة الكهربائية التي تشفط الغبار.

لاحظ العلماء تدفق مفاجئ لتيار من الغاز ينطلق من النجم باتجاه مجهول ويشكل دوامة تلتف حول الثقب الأسود، مع العلم أن الثقب الأسود لا يمكن رؤيته، ولكن العلماء رأوا الدوامة المتشكلة حوله نتيجة ابتلاعه للنجم.

وهناك نعمة أخرى أيضاً، وهي أن الله برحمته جعل النظام الشمسي مستقراً، على عكس الكثير من الأنظمة النجمية، فكل شيء يدور بنظام، لا تصادم، ولا انفجارات، ولا انحراف عن المسار الذي قدَّره الله لكل كوكب من كواكب مجموعتنا الشمسية، ولذلك يقول تعالى: لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ. ويقول أيضاً متحدثاً عن نعمة عظيمة وهي أن السماء المحيطة بنا تحفظنا، وهي محفوظة بأمر الله تعالى من الانهيار أو أن تتصادم أجزاؤها، يقول عز من قائل: وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آَيَاتِهَا مُعْرِضُونَ.

لقد وضع الله هذه الأمور كلها ليكون علما إلى رحمته عندما فهمنا على هذا الأرض، بل إن الله سبحانه تعالى منح لنا الأرض بعديد من الطبقات مغنطيسية بها الجبال المغنطيسي

وغيرها للأرض لحفظ الأرض من شر الشمس، ومن قول الله سبحانة وتعالى: أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون" (سورة النمل: 61)، ومن هذه الآية نفهم أن الله هيأ هذه كلها ليكون صالحا للحياة، لو كانت الشمس قريبا من الأرض أو بعيدا من مكانها، فماتت بكل مخلوقات بحرارتها وبرودها.

الفصل االثالث

علم الأحياء في القرآن والعلم الحديث

علم الجنين في القرآن الكريم

علم الجنين هو من أهم العلوم الطبية الحديثة، وهذا العلم بعد ما وقع عليه البحث من بدائع وروائع يجد في كتاب الله اهتماما وتذكيرا مستمرا، وحثا للناظر في الآية، والتفكير بالعقل بديعا عن الأهوال، وأنه من أهم الأبحاث العلمية ومن أدق الحقائق.

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وكرمه غاية التكريم فقال عز من قائل: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً(17: 70) زينّه بالعقل، وشرفه بالتكليف، وجعله خليفة في الأرض واستعمره فيها، وأكرمه بحمل رسالته التي تنسجم مع فطرته بل هي الفطرة بعينها لقوله سبحانه: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ(30: 30).

وقد حرص الإسلام على الحفاظ على فطرة الإنسان سوية من خلال المحافظة على المقاصد الكلية الخمسة: الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وصونها من كل تغيير يفسدها، سواء من حيث السبب أم النتيجة، يدل على ذلك الحديث القدسي الذي أورده القرطبي من رواية القاضي إسماعيل: "إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإن الشياطين أتتهم فاجتالتهم عن دينهم.. – إلى قوله: – وأمرتهم أن يغيروا خلقي[24]. وقد علم الله الإنسان ما لم يكن يعلم، وأمره بالبحث والنظر والتفكر والتدبر مخاطباً إياه في آيات عديدة: أَفَلا يَرَوْنَ، أَفَلا يَنظُرُونَ، أَوَلَمْ يَرَ

[24] إمام القرطبي، "، تفسير القرطبي 389/5

الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُون، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ، اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. نجد في القرآن الكريم آيات متعددة تتحدث عن أطوار نمو الإنسان من ذلك قوله تعالى: ما لكم لا ترجون لله وقارا، وقد خلقكم أطوارا(71: 14،13)

وقال تعالى : ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين(23: 11-14) وفي آية أخرى يقول جلّ شأنه :يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا لتبلغوا أشدكم (22: 5).

هذه الآيات الكريمة معجزة من المعجزات في تناسقها وتتابع أجزائها ولا يستطيع أن يراها غير الطبيب الذي درس علم الأجنة وتفقه فيه، فهذه الآيات درس في علم الأجنة بليغ ، وتشريع دقيق، والآن لنستعرض تطور الجنين كما ورد في الآيات السابقة:

أولا: أصل الإنسان : ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين لقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من طين ثم خلق الإنسان من نسل آدم من نطفة مسلولة من مخلوق من طين، وما الطين إلاّ تراب وماء ومن الثابت علمياً أنه إذا تحلل جسم الإنسان أو الحيوان تحليلاً كيميائياً وجد أنه مركب من عناصر وأمشاج من جنس عناصر الأرض وأمشاجها.

ويقول تعالى في آية أخرى: وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا(7: 172)، إن الإعجاز في هذه الآية بين جلي حيث أن العلم الحديث وبعد تقدم علم تشريح الأجنة قدر أن يتوصل لهذه الحقيقة قبل سنوات، فأصبح

في حكم المؤكد بأن منشأ الخصيتين في الذكر والمبيضين في الأنثى، في جسم الجنين هو جزء خاص في الظهر عند أسفل الكليتين تماماً ومنه تنمو هذه الأعضاء وتبقى حتى الأشهر الأخيرة من حياة الجنين في بطن أمه ثم تنحدر إلى أسفل إلى موضعها المعتاد، وهناك من يولد وخصيته غير نازلة وباقية في مكان إنشائها في الظهر.

وفي آية ثالثة يقول عزّ وجلّ: فلينظر الإنسان مم خلق، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب إنه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر، فما له من قوة ولا ناصر (86: 1-5). يقول أغلب المفسرين القدماء: إن هذا الماء الدافق يخرج من بين صلب الرجل وهو المني وترائب المرأة أي عظام صدرها وتبارك الله أحسن الخالقين.

أما التفسير الحديث وهو ما نميل إليه فهو، كما يقول الدكتور محمد علي البار في كتابه خلق الإنسان بين الطب والقرآن: إن الخصية والمبيض إنما يتكونان في الحدبة التناسلية بين صلبه وترائبه، والصلب هو العمود الفقري، والترائب هي الأضلاع، وتتكون الخصية والمبيض في هذه المنطقة بالضبط أي بين الصلب والترائب ثم تنزل الخصية تدريجياً حتى تصل إلى كيس الصفن خارج الجسم في أواخر الشهر السابع من الحمل، وبينما ينزل المبيض إلى حوض المرأة ولا ينزل أسفل من ذلك، ومع هذا فإن تغذية الخصية والمبيض بالدماء والأعصاب واللمف تبقى من حيث أصلها، أي من بين الصلب والترائب[25].

مبدأ خلق الإنسان: ثم جعلناه نطفة في قرار مكين فسرت التفاسير النطفة بأنها ماء الرجل أو الأنثى، وهناك من يرى أن المقصود بالنطفة الحيوان المنوي في ذلك السائل ودليلهم قوله تعالى: وإنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى. حيث فرق عزّ وجل بين

[25] الدكتور محمد علي البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، الطبعة الرابعة، 1983م.

النطفة والمني وبمعنى آخر بين الحيوان المنوي والسائل، وذلك في وقت لم يكن يعرف فيه أحد أن المني شيء والنطفة شيء آخر، وإنما كان المعروف أنه سائل أو ماء.

ولم تميز النطفة من السائل إلاّ حوالي سنة 1680 م حيث اكتشفت هذه الحيوانات المنوية بالمجهر، وهذه واحدة من المعجزات التي لا تحصى في القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ومما يزيد هذا الأمر تأكيد أقوال النبي صلى الله عليه وسلم: ما من كل الماء يولد الولد، رواه مسلم. وإنما يكون الولد من جزء يسير من هذا الماء. وهذا الأمر لم يعلم إلاّ في القرن العشرين حيث عرف أن الحيوانات المنوية إنما تشكل ½ بالمائة من مجموع المني، وأن جزءً يسيراً من هذا النصف بالمائة وهو الحيوان المنوي هو الذي يجعل الله له الحظ في تكوين الولد.

ويقول تعالى: هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ، إناّ خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً(76: 1). لقد فسر معظم المفسرين النطفة الأمشاج بأنها أخلاط من مني الرجل وماء المرأة الممتزجين المختلطين، ففي اللغة مشج الشيء خلطه، وهذا ما أثبته الطب حيث أن باتحاد الحيوان المنوي للرجل مع بويضة الأنثى ينقل إليها ما فيه من صفات الذكر فينشأ الجنين حاملاً خواص الوراثة لكليهما، يشبه أبويه وأجداده جسماً وعقلاً. ويؤكد هذا التفسير قول الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سأله اليهودي: يا محمد مم يخلق الإنسان، قال : يا يهودي من كل من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة، من حديث القاسم حسنه أحمد.

أما القرار المكين الوارد في الآية فهو رحم الأم، حيث أنه حقاً لقرار مكين، متين. وعجيب في تركيبه ، متحصن قوي في موقعه ، إذ تربطه وتثبته ألياف وأربطة قوية ويحمله ويحفظه حوض من عظام متينة . كما وأنه إضافة لهذا الحصن الذي يستقر فيه ، فهو داخل

الرحم محاط بظلمات ثلاث فهو كما قال تعالى: يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث قال المفسرون إن الظلمات الثلاث هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وأغشية الجنين.

أطوار الجنين في رحم الأم

جَميعُنا قَد خلقنا مِن سُلالةِ من طين أي صفوةِ الماء وَهُوَ آدم عليهِ السلام، حيثُ قال الله تعالى : وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، فلا يوجَدُ أجمَلُ مِن هذا الوصف الذي وصفهُ الله تعالى لخلقِ الإنسان وَهُوَ فِي بطنِ أمّهِ حتّى العلماء لم يستطيعوا أن يصفوا هذا الوصف، لذلك سنقوم بذكرِ مراحل نُمُو الجنين والتطوّرات التي تحصل في كل مرحلة مختلفة.

يبدأ تكوّن الجنين في بطن المرأة الحامل من بداية تلقيح البويّضة في رحم الأم، ويستمر تكوّن الجنين ويمرّ بمراحلٍ مختلفةٍ خلال تسعة أشهر من الحمل، ولكن خلال الأشهر الأربعة الأولى من الحمل يكون الجنين في طور النّمو والتّكون، ونقصد بذلك أعضاء جسمه ما تزال غير مكتملة النّمو حتى تشعر الأم بحركة طفلها، أي خلال هذه الأشهر الأم لا تشعر بحركة الجنين، ولكن يمكن أن تشاهد حركة جنينها من خلال تصويرها بالأجهزة الموجودة عند الطّبيب، ولذلك تعتبر الحركة الأولى للجنين في الشهر الثّالث من الحمل.

هذه الأطوار في خلق الإنسان جنينا في بطن أمه توافق مع العلم الحديث تماما. الأول النطفة في كل 28 يوما تخرج من مبيض المرأة بيضاء من وقت الخروج إلى 12 يوما بعد

التلقيخ تسمى البيضة نطفة 12+ 28 = 40 يوما. هذا هو الطور الأول أو الخلق الأول هو النطفة.

وقد ذكر النطفة في القرآن الكريم اثنى عشر موضعا كما ذكرت أحيانا باسم الماء المهين والماء الدافق وتذكر أحيانا باسم المني، وليست هذه الألفاظ مترادفة متطاقبة المعنى، وهي تختلف في التفاصيل، فلفظ المني مثلا يشمل النطفة، ويزيد عليها الماء الذي يحتويها.

ورد لفظ النطفة الأمشاج في موضع واحد في سورة الإنسان، والقرآن الكريم قد ميز بين النطفة والمني، فجعل النطفة جزءا من المني في قوله تعالى "ألم يك نطفة من مني يمنى"، أما النطفة كقوله تعالى: "ثم جعلنا نطفة"، فهي الحيوان المنوي الذي ينشأ في خصية الرجل ويبلغ طوله نحو 56 ميكرونا في 62 وهو مقسم إلى أربعة أقسام: وهي الرأس، والعنق، والجسم، والذنب. والذنب الطويل من 41 إلى 51 ميكرونا. وهذا الحيوان المنوي سريع الحركة تبلغ سرعتها نحو نصف ملي متر في الثانية الواحدة. وتبلغ سرعة الحيوان أقصاها عند خروجه من الخصية مباشرة. وتتحرك هذا الحيوان بواسطة حركة ذيله الثعبانية.

ولا شك أن النطفة شيئ حقير مهين، والغرض منه أن من كان أصله من مثل هذا الشيئ الحقير فالتكبر والتجبر لا يكونان لايقين به.

عند الحديث عن حركة الجنين في بطن الحامل يجب التّفريق بين الحركة الفعليّة للجنين والحركة التي تشعر بها الأم بحركة جنينها داخل بطنها. ذكرنا أنّ الجنين يكون في طور النّمو خلال الأشهر الأولى من الحمل، ويبدأ في التّكون وظهور معالم وجهه من مقدمة الرأس والجفون، والأنف مع بداية الشّهر الثّالث، حيث يبدأ بتحريك أطرافه ويقوم بالّتثاؤب، وتحريك رأسه أيضاً؛ ولذلك الأم لا تشعر بحركة جنينها داخل بطنها لأنه الجزء السفلي لجسم الجنين غير مكتمل النّمو.

عالم الحشرات

يقول القرآن في سورة الأنبياء: وَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ(21: 1)، اليوم بعد تقدم العلم بينا نعرف ان كل مخلوق فيه خلايا وان المادة الاساسية للخلية هي السيتوبلازم وهو يتكون من 80% من ماء، ويخبرنا العلماء اليوم ان كل مخلوق حي يحتوي على 50–90% ماء.

ويقول الله في القرآن في سورة النور: والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيئ قدير(24: 45).

أكدت الأبحاث العلمية الخاصة بالحشرات على اختلافها أن الحشراتً كائنات تتمتع بقدر عالي من الذكاء وحسن التصرف في إدارة حياتها وممالكها وتربية صغارها وفي معالجة المواقف الصعبة ودرء المخاطر، بل يصح القول بشهادة العلم والبرهان إن بعضها يعتبر مُعلماً للإنسان، فمنها من تميز في بناء ممالكه ومساكنه وإدارة أنظمة المعيشة والعمل والدفاع والرعاية وخصوصاً طائفة النمل والنحل فهذان النوعان من الحشرات الضعيفة الصغيرة تمتعت بقدرات خارقة في البناء، فمساكنها كانت في غاية هندسة الفن والعمارة استخدمت فيها أفضل وسائل الراحة والآمان، فنون وقدرات عمرانية تشهد لها بتفوقها على غيرها من المخلوقات حتى الإنسان كالتفوق في علم الهندسة.

ليس ذلك فحسب بل إنها تتمتع بالمعيشة في مجتمع متحضر للغاية يفتقر إليه معظم سكان الأرض من البشر، إذ أن لها نظامها الصارم في العمل والبناء والمواصلات وتخزين

الغذاء والإنتاج ، حتى أنها برعت في حروبها – التي تشنها بعضها على بعض أو ضد الغرباء– حروب صراعية منظمة جداً، فأنك تجد في هذه الممالك القادة والجنود وتجد طاعة للأوامر من الجندي للقائد رغم أن كليمها مجتمعات إنثوية لا ذكورية في كل منها يكون الأمر والنهي للملكة لا للمك فلا ملك فيها، هذه الملكة هي الأم وهي المنتجة وهي القائدة والزعيمة واضعة للخطط موجه للاوامر.

ثبت علميا أن الحشرات لديها قدرة عالية على التمويه والخداع للهروب من الأعداء، وهذا ما جعلها تمثل 20% من الكتلة الحيوية على كوكب الأرض، لقدرتها العالية في الحفاظ على حياتها وبقائها.

النحل

يقول الله عز وجل في سورة النحل" :وأوحَى ربُّكَ إلى النحلِ أنِ اتخذي منَ الجبالِ بُيوتًا ومنَ الشجرِ ومما يَعرُشون، ثم كُلي من كلِّ الثمرات فاسلُكي سُبُلَ ربِّكِ ذللاً يخرج من بُطونِها شرابٌ مختلفٌ ألوانُهُ فِيهِ شِفَاءُ للنّاسِ إنَّ في ذلكَ لآيةٍ لِقَومٍ يَتَفَكَّرُون (16: 69).

لقد كرم الله سبحانه وتعالى النحل في كتابه الكريم أيما تكريم، وبلغ هذا التكريم منتهاه حينما خصص الله عز وجل سورة من القرآن عرفت باسم سورة النحل، وقارئ سورة النحل يجدها تبسط العقل والقلب أنواراً باهرة من المعرفة والحكمة الإلهية، ففي كل آية من آياتها دليل واضح على نعمة من نعم الله التي لا تحصى، إن آيات سورة النحل حافلة بآيات النعم وعطايا الله للإنسان على الأرض، ودليل وحجة على تيسير سبل انتفاع الإنسان بما خلق الله على الأرض وما أنزل عليها وما أودعه في البحار والأنهار وما أخفاه في التراب والجبال، فلينظر

الإنسان إلى هذه النحلة الضئيلة الجسم وليعرف نفعها وجهدها ومثابرتها وليعلم حكمة الله وآياته فيها، وفي هذا تتجلى قدرة الله تعالى.

في كل كلمة من هذه الكلمات الإلهية معجزة تستحق التفكّر، ففي كلمة أَوْحَى معجزة، فقد ثبُت أن النحل لا تتعلم صنع العسل بل هنالك غريزة وضعها الله فيها تدلّها كيف تعمل.

وفي كلمة اتَّخِذِي معجزة أيضاً فالنحلة تتخذ من الجبال أو الشجر أو العرائش بيوتاً تأوي إليها، ولو ذهبت إلى مسافة بعيدة تجدها ترجع إلى بيتها ولا تضلّ الطريق. وقد ثبُت علمياً أن أفضل أنواع العسل فائدة من الناحية الطبية، هو العسل الجبلي، يليه العسل المستخرج من الشجر، وأخيراً العسل المستخرج من العرائش التي يصنعها الناس، وهذا الترتيب موافق للترتيب القرآني: اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا، وَمِنَ الشَّجَرِ، وَمِمَّا يَعْرِشُونَ.

ثم إن هذه النحلة قد سخّر لها الله طرقاً محددة تسلكها لتقطع آلاف الكيلومترات في سبيل صنع بعض العسل. يقول تعالى: فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً فمن الذي ذلّل لها هذه الطرق وهداها إلى السير فيها فتجدها تقطع آلاف الكيلومترات في اليوم الواحد. من الذي زوّدها بمحرك تعجز عن صنع مثله كل أجهزة القرن الواحد والعشرين.

وأخيراً لا يخفى على أحد الشفاء الذي يقدمه العسل من كثير من الأمراض: يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ، والعسل يتم تصنيعه في بطون النحل، وهذه حقيقة علمية حديثة الاكتشاف لم تكن معروفة زمن نزول القرآن.

وقد ثبت أن اختلاف كل من تركيب التربة والمراعي التي يسلكها النحل يؤثر تأثيراً كبيراً في لون العسل، فالعسل الناتج من رحيق أزهار القطن مثلاً يكون قاتماً، بخلاف عسل أزهار البرسيم الذي يكون فاتح اللون، وعن عسل شجر التفاح ذي اللون الأصفر الباهت، وعن عسل

التوت الأسود ذي اللون الأبيض كالماء، وعسل أزهار النعناع العطري ذي اللون العنبري، وغير ذلك.

يقول سبحانه وتعالى: يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ، وقد أثبت العلم الحديث أن اختلاف كل من تركيب التربة والمراعي التي يسلكها النحل يؤثر تأثيراً كبيراً في لون العسل، فالعسل الناتج من رحيق أزهار القطن مثلاً يكون قاتماً، بخلاف عسل أزهار البرسيم الذي يكون فاتح اللون، وعسل شجر التفاح ذي اللون الأصفر الباهت، وعسل التوت الأسود ذي اللون الأبيض كالماء، وعسل أزهار النعناع العطري ذي اللون العنبري، وغير ذلك.

يقول د. محمد على البنبي، أستاذ علم النحل بكلية الزراعة جامعة عين شمس، في كتابه "نحل العسل في القرآن والطب": إن هذه الآية بترتيب كلماتها التي وردت فيها، وبما توصل إليه العلم الحديث، لا تدل على أن المقصود منها هو العسل فقط؛ بل إن المقصود هو كل ما يخرج من جسم النحل من: عسل، وشمع، وسم، وغذاء ملكي، وقد ثبت لكل منها فوائد علاجية من أمراض مختلفة، ويرجع الفضل في اكتشاف العديد من الحقائق عن النحل إلى القسيس الأمريكي "لنجستروث" الذي درس حياة النحل وسلوكه من عام (1851م.)، ثم صار العلاج بأشربة النحل Apitherapy أحد العلوم المعتمدَة حديثًا[26].

مما سبق بيانه علمياً من كون العسل فيه شفاء وأنه متنوع وأن تنوعه متلازم مع أصناف الزهور التي يتناولها أو كل ذلك يتطابق مع ما سبق من دلالة النص القرآني، وبملاحظة جهل الناس في عصر التنزيل بتلك الحقائق فإن ذلك يبرز وجهاً آخر من وجوه الإعجاز وبالله التوفيق.

[26] الدكتور محمد علي البنبي، عسل النحل في الطب والقرآن، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1995م.

لقد ثبت حديثاً أن كل نوع من أنواع العسل له استخدامات تختلف عن النوع الآخر وتركيب مختلف أيضاً، ولكنها جميعاً تتميز بقدرتها على الشفاء. واليوم هنالك مشافي خاصة ومعالجون وأطباء يعتمدون على العسل بشكل أساسي في علاج مئات الأمراض، وهذا يتطابق مع قوله تعالى: فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ، فهل تدعونا هذه الحقائق للتفكر بآيات الله في النحل، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ.

النمل

لقد ورد ذكر النمل مرتان، والنملة مرة واحدة في القرآن في سورة النمل والتي تقص حديث لنملة مع النبي سليمان عليه السلام، قال تعالى: حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ...، والتي تعكس الصورة الربانية العظيمة التي خلق عليها هذا المخلوق الصغير.

النمل متميز في شكله وتركيبه عن الحشرات الأخرى , الرأس يتكون من ثلاثة أجزاء مميزة. لها هيكل خارجي صلب ,وقد ذكر القرآن الكريم في إعجاز جلي للعلم بأن جسد النمل جسد صلب يتحطم، ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ. وقد بحث الكثير من علماء الغرب في هذا الوصف القرآني وثبت لهم حقيقة العلم به، مما أدى إلى إسلام عدد منهم.

يحتوي رأس النمل على العديد من الحواس، وله عيون بسيطة صغيرة ويقال أن عيون النمل لا تتمتع بقدرة عالية على الرؤيا، و لذا كان له حواس استشعارية تستخدم لنقل واستقبال الإشارات عن طريق اللمس، ويتمتع بفكين قويين تستخدم لنقل الغذاء والتعامل مع الكائنات الأخرى في القتال، وبناء الأعشاش.

للنمل ستة أرجل تتعلق على "الصدر"، ولها مخالب حساسة في نهاية كل ساق تساعده للصعود والتشبث بالسطوح. معظم الملكات والذكور لها أجنحة؛ وتتشكل أجنحة الملكات بعد الزواج، وهي السمة المميزة لهن. حياة النملة تبدأ من البيض الملقح للملكات, وتخضع إلى مراحل من التحول, من البيضة لليرقة إلى مرحلة ما قبل البلوغ أي الشرانق...

مستعمرات النمل يمكن أن تعمر طويلا. والملكات يمكن أن تعيش لمدة تصل إلى 30 سنة، ويعيش العمال الذكور من 1 إلى 3 سنوات. وينشط النمل طوال العام في المناطق الاستوائية، ولكن في المناطق الأكثر برودة فيخضع النمل إلى السكون في فصل الشتاء. ,

يقول بعض العلماء الغربيون أن النمل يتواصل بواسطة إشارات كيميائية تسمى "الفيروموناتِ " بينما يؤكد خالق النمل سبحانه أن النمل يتكلم وله لغاته وقد سجل بعض الباحثين ملاحظات مهمة حول استخدام النمل إشارات صوتية خاصة يطلقها أثناء إحساسه بالخطر، فنجد أن إحدى النملات تتولى مهمة التحذير، فتطلق نداءً تستقبله صديقاتها وتفهمه، وتستجيب له على الفور، استمع معي إلى صوت النملة وهي تحذر بقية النمل من خطر ما، وهذا صوت لنملة أثناء حياتها الطبيعية في حالة العمل والحركة وجمع الطعام.

ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ: ليس القول" ادخلن مساكنكن" فنسب للنملة المتكلمة إدراك الخطر وفهمه ورد الفعل الطبيعي بالنداء على أبناء مجتمعها، والطلب لهم دخول المساكن لتأويها خشية أن يحطمها سليمان وجنوده بلا شعور أو قصد منهم، والجديد في المعلومة الاعجازية العلمية القرآنية بهذا الشأن هو: أن الفئة المقوده أي تقودها النملة الملكة الى ميدان العمل الخارجي هم الذكور وهذا خبر لم يأت عليه العلم البشري المعاصر بعد. بدليل القول "ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ" فهو أمر موجه الى ذكور، مَسَاكِنَكُمْ، أي مملكتكم، مساكن، بصيغة الجمع توحي بأن

هناك عديد من المساكن بمعنى تجمع سكاني والتجمعات السكانية يلزمها نظام وهندسة وعليه نفهم أن ثمة فن وهندسة ونظام وقوانين في عمارة المساكن، أنها المدينة والمدنية.

والجديد في الخبر العلمي القرآني هو أن النمل لا يقيم في مسكن واحد بل عديد المساكن، مما يدل على التخصيص في المستويات أو التمييز الاجتماعي حيث تقيم المتآلفات نوعا ودرجه في مسكن يجاوز مسكن آخر لمئتلف آخر، أو لعلها مساكن تضم أعدادا محدده من السكان في كل مسكن، أو لعلها مساكن زوجيه عائلية، ذلك ما ننتظر أنت يخبرنا به العلم المختص وهو إعجاز التحدي في القرن 22م. لَا يَحْطِمَنَّكُمْ، لا يكسرنكم، لا يهشمنكم والتحطم الكسر لشيء صلب, فقد أخبرنا العلم البشري المختص بإنه عند كسر أي جزء من الهيكل أي جسم النمل تنزف محتويات الجسم جميعا وتخرج عن آخرها، ثم يصيب هذا الجسم الجفاف، وتنتهي حياته، فالكسر هنا غير قابل للجبر، ولكنه يؤدي إلى تحطيم الحشرة تماماً وموتها.

في زمن نزول القرآن لم يكن لأحد علما بشأن معنى "يحْطِمَنَّكُمْ" ولكن في العصر الحديث عصر البحث والبرهان والدرس العلمي وبعد دراسات كثيرة تأكد العلماء أن للنمل هيكل عظمي خارجي صلب جداً يسمى exoskeleton وهي مادة أشبة بالسيلكوز الذي يدخل في صناعة الزجاج , ولذلك فإن النملة لدى تعرضها لأي ضغط فإنها تتحطم، ولذلك قال تعالى على لسان النملة لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ، وبالتالي فإن كلمة يَحْطِمَنَّكُمْ دقيقة جداً من الناحية العلمية, ومن الإعجاز العلمي للقرآن.وهذا علم إعجازي قرآني لم يدركه العلم البشري إلا بعد 1300 عام على تنزيل القرآن.

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، اعتذرت النملة عن النبي سليمان عليه السلام بقولها أن هناك احتمال أن يدوس سليمان وجيوشه على النمل دون أن يشعروا وهنا إشارة واضحة لتبرئة النبي عليه السلام من قصد التحطيم للنمل لو شعر به.

خبر علمي قرآني آخر مفادة: الذهنية الأخلاقية للنمل، فالنملة الممثلة لجموع النمل المتحدثه باسمه أعلنت براءة النبي من الرغبة في الاعتداء عليهم، فقالت "وهم لا يشعرون" في بيان للفارق الهائل بين حجم القادم وحجم المتحدث، كذلك البيان لذهنية الطرفين وأخلاقياتهم فلو شعر النبي أن سيحطم النمل فلن يفعل وحين تخبر النملة جيشها عن النبي فإنها تذكر فيه علمها ومعرفتها.

العلم يثبت أن النمل يتكلم: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ(6: 38).

ساهمت تكنولوجيا صوتية متطورة في اكتشاف قدرة النمل على الثرثرة والكلام داخل وكره، وتبين أن النمل يصدر ترددات صوتية لم يكن أحد يعرفها من قبل، ولكن القرآن أشار إليها، فقد وضع فريق من العلماء مكبرات صوت صغيرة جداً داخل بيوت النمل لنقل الأصوات التي تصدرها الملكة والتي تدفع النمل إلى التركيز والانتباه. ووجدوا أنهم عندما استمعوا إلى أصوات الملكة تبين أن النمل يتوقف عن الحراك ما إن يسمع صوت الملكة، فيرفع قرون الاستشعار لساعات طويلة دون الإتيان بأي حركة، وإذا ما اقترب أحد من البيت يهاجمه النمل بسرعة. ويؤكد الباحثون حسب صحيفة تايمز أوف لندن البريطانية أن النمل لديه مفردات أكبر مما كان يظن سابقاً. فالأصوات المختلفة داخل مستعمرة النمل الواحدة يمكن أن تستفز للقيام بردات فعل مختلفة.

نشرت صحيفة التايمز البريطانية الشهيرة مقالا في عددها الصادر بتاريخ 6 فبراير 2009 تحت عنوان التلال حية بأصوات النمل وهو يتحدث مع بعضه البعض، المقال يتحدث عن اكتشافات علمية جديدة تتعلق بخاصية التخاطب وتبادل الحديث في مملكة النمل، ويذكر المقال أن الاكتشافات الحديثة قد بينت أن لغة التخاطب عند النمل متطورة ومتقدمة على نحو

كبير أكبر مما كان يعتقد قبل ذلك. وأشار المقال إلى أن التطور الحديث في مجال التكنولوجيا الصوتية قد مكن العلماء من اكتشاف أن النمل يتحدث مع بعضه البعض بصورة دورية، وأوضح المقال أنه من خلال وضع ميكروفونات وسماعات دقيقة في أعشاش النمل تمكن الباحثين من إثبات أن الملكة تصدر الأوامر للعمال.

عالم الطيور

يقول الله تعالى: أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ(67: 19)، أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ(16: 79)، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ(6: 38)

عالم الطيور مليء بالأسرار والعجائب، ففي هذا العالم نجد التعاون والمحبة والعطف والرحمة وصفات كثيرة تشبه البشر، وبالمقابل نجد في عالم الطيور الغش والكذب والخداع وفن التمويه وحتى الخيانة الزوجية، ويقول العلماء إذا أردنا أن نفهم مجتمع الطيور فيجب أن نقارنه بالمجتمعات الإنسانية.

هل يوجد في القرآن الكريم إشارة إلى مثل هذه الدراسات العلمية الحديثة، إن ملخص هذه الدراسة يقول بأن الطيور تشبه البشر في كثير من خصائصها وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً في قوله تعالى: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ(6: 38) وهذا يعني أن الطيور تشبه البشر وهو ما يؤكده العلم الحديث.

يقول بعض العلماء الذين تخصصوا في الطيور: إن عدد الطيور في الأرض يزيد عن مئة مليار طائر، البشر جميعاً خمسة مليارات تقريباً، في جو السماء ما يزيد عن مئة مليار طائر؛ له أشكال، وله أحجام، وله ألوان، وله أصوات، يحار فيها العقل البشري.

إنه يجمع المتناقضين، خفيفٌ إلى درجة انعدام الوزن، ومتينٌ إلى درجة صلابة الفولاذ، فهو خفيفٌ ومتين، وهذا سرُّ الطائرة، لا تنجح صناعة الطيران إلا أن تجمع في موادها الأولية بين المتانة وبين الخفة.

إنَّ جناح الطائر أشدُّ تحملاً ومتانةً من جناح الطائرة، بنسبة كلٍ من جسمه إلى حجمه. شيءٌ آخر: جناح الطائر قابلٌ للإصلاح، فأي خللٍ في ريشه ينبت ريشٍ مكانه من دون أن يضطر إلى أن يقعد عن الطيران هذا الذي أشارت إليه الآية السابقة.

أمّا إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ، أي هناك نظامٌ اجتماعي يفوق حدَّ التصور، تطير هذه الطيور جماعات على شكل الحرف (٧) اللاتيني، لهذا السرب قائدٌ ومساعدان، هذا معنى قوله تعالى: إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم. ولها لغةٌ تتفاهم بها، ولها عنايةٌ فائقةٌ بصغارها، هذا بعض ما كشفه الإنسان من ملامح الحياة الاجتماعية التي تحياها الطيور, لكن الشيء الذي لا يصدق؛ أنَّ دافع الطائر إلى الهجرة لا يزال لغزاً، ما الذي يدفعها في الوقت الفلاني, في الربيع، أو قبيل الشتاء، أو في الخريف أن تهاجر. وهذه الآية من أعجب الآيات، نسب الله عزَّ وجل إلى ذاته مباشرةً تسيّير الطائر، لأن الطائر يقوم برحلةٍ يعجز عن إدراكها العقل، لو غير في زاويته درجةً، لجاء في بلادٍ بعيدةٍ كلَّ البعد عن موطنه.

إذن ما الذي يدفعه إلى الهجرة، الذي يدفعه أن يخزِّن من الشحوم ما يعينه على قطع سبعة عشر ألف كيلو متر في الهواء ما الذي يعينه على أن يبقى في الجو ستةً وثمانين ساعة يطير، ما الذي يهديه في ظلمات البر والبحر، استغرق بحثٌ علمي أكثر من عشرين عاماً، قال

المشرفون على هذا البحث في نهاية المطاف: إن إيقاعاتٍ خفيةً تلقى في الطائر تدفعه إلى الهجرة، وإلى تحديد مساره، وإلى استكمال شروط رحلته.

الفصل الرابع

علم الفيزياء في القرآن والعلم الحديث

يقول البعض في هذه الأيام ليس للقرآن علم بالعلوم الطبيعية مثل الكيمياء والفيزياء والأحياء وغيرها، وإنما القرآن يختص بالأخلاق والتعاليم الدينية والتي تشير للإنسان بالدرجة الأولى بالتفضيل، وهذا صحيح، لكن الصحيح مع ذلك إن في القرآن الكريم آيات واضحة ودقيقة الى ظواهر علمية فيما يتعلق بالفيزياء والحركة والطاقة وغيرها، وقال الله هذه الآيات في سياقات مختلفة.

وجود جسميات دون الذرية

أشار القرآن الكريم إشارة واضحة للمادة أصغر من الذرة التي اكتشفها العلم الحديث في أواخر القرن العشرين، وبقول الله تعالى: .. لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.. (سورة سبأ: 3)، وفي قديم الزمان كانت هناك نظرية تدعى الذرية، وقد أتت هذه النظرية من قدماء اليونانيون، لهذه النظرية فإن الذرة اصغر جزء من المادة. وبعد تطوير العلم في مجال الفيزياء فهم العلماء أن للذرة صفات المادة ولكن أن الذرة يمكنها أن ينقسم.

أي هذا هو صحيح، إن إشارة القرآن في سورة سبإ وسورة يونس كما قال تعالى: "وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك.. (سورة يونس 61)، وضع الله الذرة وكذلك الأشياء الأصغر منها وأكبرها، هذا اكتشف العلماء في العلم الحديث، أن بعض الأشياء يكون أصغر من الذرة، فإن القرآن الكريم أشار هذه الأشياء كالذرة، والتي لم يكشفها العلماء في هذا العصر فقط.

اعتقد العالم في نظرية الذرية حتى أواخر القرن العشرين، وقد اكتشف هذه النظرية بيد الإغريقين قبل ثلاث وعشرين قرنا. وبعد ذلك اعتقد العالم أن الذرة هي الجزء الصغير لكل من مادة، اعتقد المسلمون أيضا كذلك. ولكن في العصر الحديث قد اكتشف العالم خاصة العلم الحديث أن الذرة أيضا يجزء من الذرة.

الطاقة

بين الله في القرآن الطاقة في ثلاث مرات، ومن قوله تعالى: وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين" (سورة البقرة: 184)، الطاقة يعني القدرة لأن يفعل شيئا مع الشدة والمشقة، أي

يطيقونه في هذه الآية: يتكلفونه بمشقة خارجة عن طاقتهم، وقد ورد في هذه الآية عن حاجة القوة الشديدة لطعام المساكين.

وكذلك يشير الله في القرآن الكريم: "قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده"، (سورة البقرة: 249) إشارة ثانية للطاقة، هذه من قصة بني اسرائيل التي وردت في القرآن الكريم، وفي هذه الآية أيضا يشير الله لقوة شديدة لقتال ملك طالوت، وإن الطاقة التي أنكرها اليهود على ملِكهم خلال عملية التعبئة وتحشيد القوى، هي القدرة الجسمية والجهد العضلي، لنتصور حجم القوة البدنية التي كان يمتلكها داوود عليه السلام، وكان أحد الجنود في جيش طالوت، بحيث ضربة حجر من يده قضت على قائد عسكري مهيب وعملاق.

الإشارة للطاقة الحركية من القرآن الكريم، هي الطاقة التي يملكها الجسم بسبب حركته، كما ان حركة الجسم او سكونه هي مفاهيم نسبية وليست مطلقة، وقد توصل العالم البريطاني نيوتن الى قوانين الحركة التي تعتبر من اساسيات علم الميكانيك، حيث ربط بين مفاهيم اساسية لوصف حركة الجسم وهي، سرعته والمسافة التي يقطعها والزمن المستغرق، واوضح التلازم الوثيق والحتمي بين الحركة والزمن، وقد وردت في القرآن الكريم اشارات مبهرة حول موضوع الطاقة الحركية، قال تعالى: "قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي" (سورة النمل: 40)، أي آتيك بالعرش قبل ان يرتد اليك طرفك، والمراد بالطرف: تحريك الاجفان وفتحها للنظر طرفة عين وارتداده، انضمامها، مستقرا: ثابتاً، الآية الكريمة تشير الى السرعة الفائقة التي تحدث بزمن ضئيل جدا، وقال تعالى: "إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره"، والآية الكريمة تشير الى السكون النسبي، اي انعدام الطاقة الحركية بالنسبة الى سطح الماء

الطاقة الكهربائية: يشير القرآن الكريم الى بعض الظواهر الكهربائية الجوية في عدد من آياته الكريمة واهم هذه الظواهر: البرق، الرعد، الصواعق، البرق: ظاهرة جوية كهربائية يمكن مشاهدتها على شكل وميض من الضوء، وهوعبارة عن شرارة كهربائية تحدث نتيجة التفريغ الكهربائي بين الشحنات الموجبة والشحنات السالبة الموجودة في السحب الرعدية سواء أ كانت في سحابة واحدة أم بين السحب المتجاورة، واغلب التفريغ الكهربائي يحدث بين اجزاء السحابة نفسها، وقد يحدث ايضا بين سحابة سالبة الشحنة في القاعدة وجزء من سطح الارض موجب الشحنة، وهو الذي يشكل ظاهرة الصاعقة الخطيرة والمدمرة ذات الأثر التخريبي الكبير ولخطرها الهائل على الابنية والاشجار وعلى اي شخص موجود بالقرب منها.

قال تعالى: "يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه"، وقال تعالى: "هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقال" ان شحنة السحابة تقدر بنحو 40 كولوم وفرق الجهد يصل الى 2000 مليون فولت وزمن تفريغ الشحنة يقدر بواحد من ألف من الثانية محدثا صوتاً رهيباً، وهو الذي يسمى الرعد واذا كانت شرارة البرق بين السحاب والارض فانها تكفي لحرق الشجر وقتل البشر.

وقد أشار القرآن الكريم لطاقة الرياح، الرياح، هي حركة الهواء الافقية التي تعمل على تسوية الفروق في درجات الحرارة والرطوبة والضغط الجوي بين مكان واخر، فالرياح تمثل المنظم للغلاف الجوي وبسببها تحدث الظواهر الجوية كافة، قال تعالى: "ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته". إن الطاقة الضوئية، والطاقة الضوئية مرتبطة بالطاقة الحرارية، لان أهم مصادر الضوء بعد الشمس هو النار المشتعلة في مادة صلبة كالخشب أو سائلة كالزيوت او غازية. قال تعالى: "هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً"، وقال تعالى: "يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار".

ومن إشارة لطاقة الحرارية، القرآن الكريم يستخدم لفظ النار للتعبير عن الحرارة الناتجة عن الاحتراق او عن نار جهنم او عن الطاقة الحرارية بصفة عامة، قال تعالى: "مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً"، وقال تعالى: "ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله" وللقرآن الكريم اشارة لطيفة عن الطاقة الحرارية المخزونة في صورة طاقة كيميائية في النبات، قال تعالى: "الذي جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون"

ومن إشارة لطاقة الصوتية، الرعد، هو تأثير جانبي للطاقة الهائلة، التي تنبعث نتيجة للتفريغ الكهربائي بين السحب الرعدية ذات الشحنات المختلفة، حيث يسخن الهواء الذي تمر خلاله الشحنات الكهربائية فجأة في جزء صغير من الثانية الى درجة تصل 10 الاف درجة مئوية، فالتمدد الفجائي للهواء وما يليه من تقلص يحدث الدوي العالي الذي يسمى الرعد، قال تعالى: "ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء" سورة الرعد: 13)، بينت في القرآن الكريم لفظ الصيحة 13 مرة، والصيحة، عبارة عن موجات صوتية ذات شدة هائلة قادرة على اماتة آلاف البشر في لحظات وهذا ما نسميه حديثا بـ القنبلة الصوتية. قال الله سبحانه وتعالى أيضا: "وأخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين" (سورة هود: 67) ومن قول الله تعالى: "فأخذتهم الصيحة مشرقين" (سورة حجر: 73)، وقال تعالى: "ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون" (سورة يس: 49).

الفصل الخامس

العلم الجغرافي والجوي في القرآن والعلم الحديث

الجغرافيا هو علم يدرس عن الأرض والظواهر الطبيعية والبشرية عليها، ويعود أصل الكلمة إلى اللغة الإغريقية، ترجمتها بالعربية "وصف الأرض". وقد كانت كذلك في بدايتها حيث كان الرحالة يصفون ويسجلون مشاهداتهم عن البلاد والأقاليم التي يقومون بزيارتها. وكلمة جغرافيا في اللغة العربية تعتبر حديثة بعض الشيء، حيث كان العرب والمسلمون يستعملون صورة الأرض أو قطع الأرض أو خريطة العالم والأقاليم أو المسالك والممالك أو تقويم البلدان أو علم الطرق.

إن الجغرافيا لم تعد ذلك العلم الذي يهتم بوصف الظواهر وصفاً سطحياً بعيداً عن الواقع، بل أصبحت ذلك التخصص الذي يتماشى والتطور العلمي الحديث المعتمد على التحليل والقياس والربط واستخدام النماذج والنظريات الحديثة.

هذا العلم يبحث عن سطح الأرض وشكلها والجبال والتراب وغيرها، دعانا الله إلى كشف أسرار الوجود ببذل أقصى الطاقة البشرية التي أودعها الله فيه ليعرف جلال قدرته تعالى في عظمة ملكه وعظيم قدرته في إبداء خلقه. فقال سبحانه وتعالى: "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت"(88: 17–20)، الآيات الأخيرتان تشيران إلى علم الجغرافيا والجيولوجيا. نقاط البحث من إشارات القرآن إلى علم الجغرافيا وهي الأرض والجبال واختلاف الليل والنهار وإيلاج الليل والنهار رب المشرق والمغرب.

كروية الأرض

قد أثبت العلم الحديث برؤية العين أن شكل الأرض كروية في قديم الزمان، كان الأقدمون كلهم يظنون أن الأرض مستوية السطح مبسوطة بسطا بلا انحناء حتى قام فايثاغورس الفيلسوف اليوناني الشهير في منتصف القرن السادس قبل الميلاد تقريبا، بإثبات كروية الأرض قائلا أنه لا يوجد شكل هندسي أكمل من الكرة لكمال انتظام جميع أجزائها بالنسبة إلى المركز وأن الأجرام السماوات ومنها الأرض لا يمكن تصورها إلا على الشكل الأكمل.

الآيات القرآنية للبحث عن شكل الأرض: ومنها "والأرض بعد ذلك دحاها"،(79: 30)، "والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيئ موزون"(15: 19)، "والأرض فرشناها فنعم الماهدون" (51: 48)، "والله جعل لكم الأرض بساطا"، (71: 19)، "أمن جعل

الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا" (27: 61)، "ألم نجعل الأرض مهادا" (78: 6)، الذي جعل لكم الأرض فراشا" (1: 22)، "والأرض وما طحاها" (91: 6).

والأرض بعد ذلك دحاها، الدحية لفظ يطلق لبيضة النعامة، الأدحى والأدحية والأدحوة مبيض النعام في الرمل ومنزل للقطر، لفظ دحا بعمعناه العربي في الحقيقة شكل البيضة وهذا أدق تعبير على شكل الأرض أي فهي كشكل البيضة منبعجة عند خط الإستواء مفلطحة عند القطبين. وقد قال علماء الروس إن الأرض عند خط الإستواء ليست مستديرة ولكنها بيضاوية، وهذما مطابق لقول القرآن تمام المطابقة. "وهذه الحقيقة لم يدركها بدقة إلا العلم الحديث بينما أظهرها القرآن الكريم منذ ستين وثلاثمائة وألف عام تقريبا"[27].

والأرض مددناها، مد الأرض حتى إن المسافر ليمكن أن يسافر حول الأرض بلا نهاية لها أي لا تنتهي الأرض في أي مكان، بل نرى ورائها بحرا أو برا فذلك تمديد بدون انتهاء. وكل هذه الآيات كما ذكرنا من قبل تدل على أن الأرض الكروية في شكلها قد توسع في نظرنا حتى يظن ساكن في الأرض أنه ما فوق الأرض مستويا والشخص الذي يقوم في القطب الجنوبي، والذي يقوم بأمريكا، والذي يقوم في الهند، كلهم يقولون ويظنون أنهم يقومون مستويا على الأرض. ولذلك يسأل الله تعالى: أفلا ينظرون.. كيف سطحت، أي كيف سوى سطح الأرض لكم مثل الميدان الواسع مع أنها كروية وما أصدق قول الله تعالى والأرض وضعها للأنام.

وفي الأرض آيات للموقنين

[27] أحمد محمد سليمان، القرآن والعلم، ص 28

الأرض آية من آيات الله، وضعها للأنام والحيوان والنبات، وجهزها بالماء والتراب وحالة الطقس الملائمة وجعلها مهدا وترتيب دورانها حول الشمس على النمط المضبوط حتى يتمكن العيش على هذا الكوكب من دون سائر الكواكب. فقد ورد في القرآن الكريم كلمة الأرض ما فوق 440 مواضع من أبرزها قوله تعالى "في الأرض آيات للموقنين".

وبفضل قوة الجذبية للأرض يتمكن لها أن يثبت في قطبها دون أن تفلت من مجرى الدوران حتى تتبدد إلى اللانهاية من الفضاء. كما تقوم هذه الجاذبية دورا هاما في إثبات الأشياء عبل ظهر الأرض. ولعل هذا المراد يقوله الله تعالى: "أمن جعل الأرض قرارا"، كلما نرتفع من سطح الأرض نبعد عن هاله هذه الجاذبية حتى يخلد لنا ثقل أجسامنا. ومما يلزم بقاء الحياة على ظهر الأرض وجود السماء والبحار والمحيطات ولعل السماء هي الميزة الت يتميز هذا الكوكب عن سائره.

الجبال

ويقول العلماء هناك احتمالية اهتزاز الطبقة التي نعيش فيها، واليوم علماء الأرض يتحدثون عن ظاهرة انطواء الأرض والتي تعمل على تشكيل سلاسل الجبال، وسبب وجود هذه الجبال هناك ثبات في الأرض. ويذكر القرآن في سورة النبأ: "ألم نجعل الأرض مهادا، والجبال أوتادا" (سورة النبأ: 6،7)

وكلمة اوتاد تعني وتد او الوتد المثبت للخيمة في الأرض الجزء الصغير منه في القمه ولكبير في الاسفل للتثبيت، والعلم المعاصر يخبرنا بأن الجبال لديها جذور عميقة في الأرض، والعلم يخبرنا بأن الجبال وضعت بقوة على الأرض. وجاء القرآن قبل 1400 عام يخبرنا في سورة النازعات: وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا.

اختلاف الليل والنهار

يقول الله تعالى: إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون"(سورة البقرة: 164)، "إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب" (سورة آل عمران: 190)، "إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون" (سورة يونس: 6)، "وهو الذي يحي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون"(سورة مؤمنون: 8)، اختلاف الليل والنهار حق تقين نراه واقعا كل يوم، ذلك يعتمد على دوران الأرض على محورها وثبوت الشمس في مكانها في المجموعة الشمسية، وعدم شمس أخرى قريبا من الأرض. الأرض تدور بنفسها على محورها في 23 ساعة 56 دقيقة و4 ثانية.

ثم الأرض تدور من المغرب إلى المشرق لذلك نظن أن الشمس تطلع في المشرق وتجري إلى المغرب، ثم تغرب في المغرب. ويزول الليل من المشرق إلى المغرب. والسبب لإختلاف الليل والنهار وجود الشمس وثبوتها في مكانها، أي في مركز المجموعة الشمسية. في قديم الزمان زمن أرسطاطاليس وتولامي كانا يعتقدان أن الأرض ثابتة وهي مركز الكون والأجرام السماوية. والشمس والنجوم كلها تدور حول الأرض، ثم أثبر كوبر نيكاس وغليليو أن الأرض تدور والشمس ثابتة. وهذا لا يفهمه العقول العادية في ذلك الزمن. لأن الناس يرون طلوع الشمس في المشرق وغروبها في المغرب، ولا يرون دوران الأرض. وسبب آخر لإختلاف الليل

عدم نجم آخر قريبا من الأرض. قد خلق الله الشمس هي النجم الأقرب إلى الأرض بمسافة يقطع الضوء بثماني دقائق.

إذا كان القمر سراجا وهاجا مثل الشمس لا يكون اختلاف الليل والنهار في الأرض، بل يكون النهار ثابتا أبدا والليل ثابتا أبدا كما قال تعالى: "قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون، ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون"(سورة القصص: 71-73)، "إن ربكم الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل والنهار يطلبه خثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين" (سورة الأعراف: 54)، إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب" (سورة آل عمران: 190).

ظاهرة الزلزال في القرآن والعلم الحديث

الزلزال اهتزازات فجائية تعتري القشرة الأرضية بسبب تحرك كتل صخرية عظيمة في باطن الأرض وسطحها أحيانا، وذلك عبر الصدوع والتشققات، مدفوعة بقوة الطاقة الحرارية المتجمعة والمتراكمة في مكان مناسب من باطن الأرض خلال فترات زمنية طويلة جدا، حيث يؤدي تراكم الطاقة الحرارية إلى ظهور قوة حركية هائلة، تبدأ على شكل هائلة، تبدأ على شكل توتر واضطراب في مكان تأثيرا، وتأخذ الصخور بالتضوه شكلا وبالثني أحيانا.

لقد اهتم القرآن بالطبيعة ومظاهرها المختلفة كالسحب والرياح والمياه والأمطار والنبات والحيوان، وقد أعطى أسماء هذه المظاهر لبعض سور القرآن بيانا لأهميتها، ومن شواهد ذلك: سورة النجم، والشمس، والرعد، والفجر، والضحى والزلزلة.

كما خص القرآن الزلزلة في أكثر من أربيعن سورة بشكل مباشر أو غير مباشر، ولقد ورد اسم الزلزلة مباشرة في سورتى الزلزلة والحج، وردت في أماكن أخرى بتسميات مختلفة، منها: الزاجفة، والطاغية، والصاعقة، والصاخة، والصيحة.

يمكننا فهم الكيفية إذا عرفنا كيفية عمل زلزال القيامة وفيه قال تعالى بسورة الزلزلة "إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها "وقال بسورة الإنشقاق"وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت"وقال بسورة الواقعة "إذا رجت الأرض رجا "هذه الأقوال يفسر بعضها بعضا فالزلزلة هى الامتداد هى الرجة ومعنى هذا هو أن الزلزال عبارة عن تمدد باطن الأرض أى ارتفاع الأثقال التحتية إلى أعلى بسبب حدوث عملية مط لها أى صعود للأثقال ثم نزول ثم صعود عدد من المرات.

ولقد ارتأى لفيف من علماء التفسير قديما أن بعض التسميات السابقة قصد بها يوم القيامة، ويحسن بنا أن نشير أن الزلازل وما يصاحبها من ثورات بركانية وتفجير للبحار ونسف للجبال وبسط للأرض هي أبرز احداث يوم القيامة. ومسوغت مرجعية الكتاب شواهد من القرآن الكريم منطلقا من تفسير القرآن بالقرآن.

ترجف الأرض؛ أي: تتحرك وتضطرب بمن عليها، وقيل تزلزل، وأضاف المفسرون إلى الحركة الصوت، فأصبحت الرجفة حركة مصحوبة بالصوت، والرجفة التي أخذت قوم شعيب فسرت بالزلزلة، وقيل الصيحة، أصابهم عذاب يوم الظلة، وهي سحابة أظلتهم، فيها شر من نار ولهب، ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل

منهم، والرجفة التي أخذت السبعين رجلاً من قوم موسى، فُسرت على أنها الزلزلة الشديدة وقيل: الصاعقة، والرجفة بمعنى الزلزلة الشديدة أيضًا مع الصيحة الشديدة كانت وراء هلاك ثمود.

المطر في الطبيعة واستمطار السحب

قامت في أوائل الستينيات هيئة استشارية علمية جوية، عينتها الحكومة الأمريكية وتُدعى مشروع ستورم فيوري Project storm fury، بسلسلة من التجارب الجريئة، أو ربما المتهورة الطائشة، لتعديل طرق تكاثف المطر باستخدام تقنيات تلقيح السحب بهدف ترويض الأعاصير. استهدف مشروع ستورم فيوري تهدئة الإعصار، وإبطاء تطوره عبر رفع معدلات الأمطار في حزام المطر خارج عين الإعصار من خلال تلقيح السحب هناك، عبر نفث جسيمات يوديد الفضة بوساطة الطائرات؛ حيث تقوم هذه الجسيمات بدور النواة اللازمة لتشكيل الثلج من بخار الماء.

لقد كانت نتائج مشروع ستورم فيوري مبهمة غامضة في أحسن حالاتها، ويبدو لي أن الدول المتقدمة حينما تحاول إجراء مشاريع استمطار المطر في الدول النامية، إنما تحاول أن تتخذ من تلك البلدان حقلاً للتجارب فيما هو خطير، لمحاولة استخدام العواصف كأسلحة دمار شامل عن طريق التحكم في العواصف، وإذا كان من شأن التحكم في الأرصاد الجوية أن ينجح في نقطة ما في المستقبل، فسوف تظهر في الأفق مشكلات سياسية خطيرة، فماذا لو قادت هذه التدخلات إلى أن يدمر الإعصار أراضي دولة أخرى؟ ومع أنه تم تحريم استخدام التدخل في الظروف الجوية كسلاح، من خلال اتفاقية لهيئة الأمم المتحدة في أواخر السبعينيات، فإن بعض الدول يمكن أن يغريها هذا الموضوع.

إنزال الماء من السماء نعمة عظيمة من نعم الله؛ حيث ينزل الماء طاهرًا طهورًا، مباركًا عذبًا فراتًا برحمة الله، ولو شاء لجعله ملحًا أُجاجًا بما كسبت أيدي الناس من ذنوب؛ يقول تعالى في سورة الواقعة: أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُون، أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُون، لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ(سورة الواقعة: 68-70). تدخل الإنسان في إنزال المطر يؤدي إلى جعل الماء أجاجًا:

إن موضوع استمطار السحب عن طريق إضافة مواد كيميائية – مثل: يوديد الفضة أو غيرها – من شأنه أن يدخل في ماء المطر ما ليس منه، فتتغير صفات ومكونات الماء.

تزداد حمضية مياه الأمطار أضعافًا مضاعفة، قد تصل إلى مائة أو ألف أو عشرة آلاف ضعف، خاصة في الدول الصناعية، وتلعب غازات الانبعاث الحراري دورًا مهمًّا في أن يصبح الماء أجاجًا، وتشمل تلك الغازات ثاني أكسيد الكربون المنبعث في الجو عند احتراق الوقود الحفري؛ كالفحم، والبترول، وكذلك غازات ثاني أكسيد الكبريت، وأكاسيد النيتروجين، وتؤدي كثرة تلك الغازات في الجو بفعل الإنسان إلى ازدياد نسبة أحماض الكربونيك والكبريتيك والنيتريك في الجو؛ مما يجعل الأمطار حمضية، وتؤدي الأمطار الحمضية إلى قتل الأشجار، وموت الأسماك في البحيرات والأنهار، وقلة المحاصيل الحقلية، وتآكل الأصباغ وحديد الكباري، كما تؤدي الأمطار الحمضية إلى زيادة معدل التجوية الكيميائية؛ مما يؤثر سلبًا على المنشآت والمباني، خاصة التي تُبنى بالأحجار الجيرية. وتقدَّر تكاليف حماية البيئة من الأمطار الحمضية في الولايات المتحدة الأمريكية بعدة ملايين من الدولارات كلَّ عام. تصريف الماء المنزل من السماء آية من آيات الله، ويَعجِز البشر عن إعادة توزيعه؛ يقول تعالى عن الماء المنزل من السماء: وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا(سورة الفرقان: 50). ترجع أسباب العجز البشري عن تصريف الماء إلى سببين: أولاهما عجزهم عن تصرف

الرياح، وثانيهما عجزهم عن خلق الظروف اللازمة لإنزال المطر، وتدبر معنى الآية التالية منتبهًا إلى أن تصريف الرياح والسحاب يتأثر بكل الآيات السابق ذكرها في نفس الآية؛ حيث يقول تعالى:

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (سورة البقرة: 164).

كما أن الإنسان يَعجِز عن تهيئة المراحل التي ينزل بها المطر من السماء؛ من جمع وتأليف وتراكم، وتشقق وتكوين الودق وجبال البرد، بل إن الإنسان مع تقدم العلوم اليوم لم يفهم جيدًا المحتوى العلمي لمفردات تلك الآية المعجزة:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ(سورة النور: 43). إن العلاقة بين الرياح والسحاب والمطر علاقة معقدة تشمل عناصر لا يقدر على تشكيلها إلا الله. وإرسال الرياح، يرسل الله الرياح فتتحلَّل إلى مركبتين: أفقية تظهر السحاب، والأخرى تنشره أفقيًّا بهدف تكوين قطع من السحاب يخرج منها المطر؛ يقول تعالى: اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ(سورة الروم: 48).

إرسال الرياح المبشرات :تحمل تلك المبشرات سحابًا، وُصِف في القرآن بأنه ثقال، يسوقه الله إلى حيث يشاء، فينزل منه مطرًا تحيا به الأرض الميتة؛ يقول تعالى: هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ

بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(سورة الأعراف: 54) ويذكر هذا الأمر أكثر من عشرة مواضع عن الرياح الذي يرسل السحب مبشرات للإنسان.

الباب الثاني

تحليل أدبي للمصطلحات البحرية في القرآن الكريم

- **الفصل الأول: النظام اللغوي في القرآن الكريم**
- **الفصل الثاني: أسلوب القرآن في تبيين الآيات العلمية**
- **الفصل الثالث: الآيات البحرية في القرآن الكريم**
- **الفصل االرابع: التفسير البلاغي للمصطلحات البحري**
-

الفصل الأول

النظام اللغوي للقرآن الكريم

إن النظام اللغوي للقرآن يقوم على المشابهة وارتباط بعضه ببعض للمكونات للغوية العربية كاملة، هي: النحوية والبلاغية والدلالية والصوتية والصرفية. ومن قول الله تعالى: أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كبيرا (4: 82)، ومن قول الله تعالى أيضا: الم، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير (11: 1).

إن هذا النظام البديع يكوّن النص القرآني نصا مفتوحا يتعقب معنى متحركا يسلم اتجاه التاريخ وتغيير الفكرة الإنسانية في عصور مختلفة، ويتفق هذا للتغيرات المكانية والزمانية، ولذا وجب على الباحث أن تتفكر ويبدأ من دراسة اللغة العربية وعلومها المتعددة، وليس من طريقة معيارية ومنطقية وغريبة وغيرها.

قد نظم النص القرآني في ضوء نظام معجز بديع، تماثل بعضه بالآخر ويرتبط بعضه ببعض في تشكيل النص القرآني، نرى النظام نفسه: الدلالي والتركيبي والصرفي والبياني وغيرها. وهذه كلها يحكمها النظام البديع نفسه، وبهذا السبب تحدث عنها علماء إعجاز القرآن القدامى والمعاصرين الذين فهموا الجمال والتماسك والعذوبة والترابط والموسيقي الرائعة في القرآن الكريم.

هذا النظام اللغوي الرائع هو من أهم الأسباب لحفظ القرآن الكريم منذ بداية نزوله وإلى يومنا هذا من غير تحريف وتغيير واختلاط لفظي في نصه وأسلوبه، ومن خاصية نظامها إن لفظ القرآن ثابت، والمعنى متحرك، لذا إن نظاما لغويا للقرآن يحوي المتغيرات المكانية والزمانية[28].

لا توجد أية مصنفات وكتابات مثل أسلوب القرآن قبله ولا بعده، قد نفى الله تعالى الشعر عن القرآن والنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويقول الله تعالى: وما علمناه الشعر وما ينبغي له، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين (36: 69). ومن أقوال تعالى في القرآن الكريم عن الشعراء: الشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون (26: 224، 225)، ومن قوله: وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون (69: 41)، ومن هذه الآيات نفهم أن القرآن ليس شعرا ولا نثرا ولا سجعا ولا خطابة، إن القرآن الكريم نظم بديع عجيب من كلام عذب.

[28] د/ حسن منديل العكيلي، النظام اللغوي للقرآن الكريم، قسم اللغة العربية – كلية التربية للبنات، جامعلة بغداد.

وقد أجزء القرآن إلى فصول متعددة ولذا يشعر للقارئ نهاية القول عند نهاية الفصل. نجد في القرآن الكريم القصص في صورة مختلفة متعددة وتستدل على حقائق الأمور والتاريخ بالتأثير المشاهدة في خلق السماوات والأرض وغيرها، وهذه كلها مصورة عجيبة وفوق طاقة البشر بأسلوبها. وكذلك نجد في القرآن الكريم التشبيهات الرائعة والأمثال البديعة وبيانه مدهش وكلامه فصيح، ولذا نقول إن هذا معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم.

وإن أسلوب القرآن كله مادة الإعجاز العربي في كلام العرب كله، ليس فيه شيئ إلا وهو معجز، ولذا لا يمكن العرب أن يقطع منه شيئ إلا بمعجز، ولذا توقف العرب عن الكلام فيها وضربهم بالحجة من أنفسهم وتركهم على ذلك يبقون.

كان علماء العرب في ذلك الوقت يتنافسون في الخطابة، ويتسابقون في البيان، ويتقارضون الشعر، ولكن هؤلاء الفصحاء اللبلغاء كانوا عاجزين أمام أسلوب النظام اللغوي للقرآن الكريم.

ولكن الأعداء قد تقدم على القرآن لما رأوا تأثيره في الناس، ولكن أسلوب القرآن الكريم أحكم دقيقه وجليله، وامتنع كثيره وقليله، وكذلك أخذ منافذ الصنعة كلها، لا موضغ فيه للمتصفح، وقد توثقت علائقه، ترادفت حقائق القرآن الكريم، وكانت جملته قد جمعت فنونها وأحرزت عناصر الفطرة البيانية.

وأسلوب القرآن الكريم قد أثر تأثيرا عميقا في العلماء الذين من بعد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث أخذ كل منهم فرعا من فروع المعرفة، وهذا يحتوي من كمال الفطرة الفنية، وهذا هو معنى الإعجاز من إعجاز القرآن الكريم، وهذا يكون يتفق في أعمال الناس وأفكارهم على حساب قد يكون من اختلاف درجاتهم ومبلغ طاقتهم.

وكذلك القرآن الكريم قد يتضمن في منهجه أرقى ما تشعر به الفطرة اللغوية والبلاغية من إيضاع البيان ومذهب الناس إليه. قد ظنوا بعجزهم كما امتنع قبله، وكان كل امرئ منهم يحملون في قرارة وثبات نفسه دليل الإعجاز، فإن القرآن جمع كل أفك وزور على طرف لسانه اللغوية. ونجد في القرآن الكريم منهج خاص لإعجازه العجيب المستمر، لا حاجة في تعرفه إلى رؤية.

يقول سيد قطب في كتابه "التصوير الفني في القرآن الكريم" وحين انتهبت من التحضير للبحث وجدتني أشهد في نفسي مولد القرآن من جديد. لقد وجدته لما عهده من قبل أبدا. لقد كان القرآن جميلا في نفسي. نعم، ولكن جماله كان أجزاء وتفاريق. أما اليوم فهو عندي جميلة موحدة، تقوم على قاعدة خاصة، قاعدة فيها من التناسق العجيب، ما لم أكن أحلم من قبل به وما لا أظن أحدا تصوره[29].

تحدية القرآن

إن هذا القرآن الكريم دستور تحدى به الله سبحانه وتعالى العرب خاصة والناس عامة أي أنه جاء بالقرآن الكريم، هذا النبي الأمي هو الذي لم يقرأ كتابا قبله ولم يكتب بيمينه العربية ولم يتعلم في مدرسة ولم يتخرج من جامعة، وهذا النبي الأمي جاء بهذا الكتاب الكريم يتضمن نجاة الإنسان في الدارين، ويتحدث ويخبر عن أمور كثيرة من المغيبات ويبين عن الجنة والنار وتطلع على عالم الأعلى، ويقول عن الجان والملائكة بأسلوب عجيب رائع ونظم بديع فصيح حتى عجز أمامه الفصحاء والعلماء وكل إنسان.

[29] الشيخ سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الشرعية السابعة عشرة، ص:10، 2004 م.

ومن تحديات القرآن الكريم العرب على أن يأتوا بمثله، وكانوا عالمين وأئمة الفصاحة والبلاغة. وعجز العرب الأولون والآخرون أمام هذا التحدى ولوا مدبرين، ثم رخص الله سبحانه وتعالى هذا التحدى وطلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثل ما في القرآن الكريم، ولكنم عجروا عن هذا، ثم أيضا رخص الله سبحانه وتعالى في تحديته إلى الإتيان بسورة واحدة مثل ما في القرآن، ولكنهم ما استطاعوا على ذلك. يقول الله تعالى: وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين (2: 23).

قد تحدى القرآن الكريم أمام كل إنسان من الفصحاء والبلغاء والعباقرة والأدباء والحكماء والعلماء وعربهم وعجمهم صغيرهم وكبيرهم مؤمنهم وكافرهم، يقول الله تعالى هذا في القرآن الكريم: قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (17: 88). وفي موضع آخر يقول الله سبحانه وتعالى: فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين (52: 34)

النظام البديع

ليس للقرآن شيء مماثل في نظمه مثل الشعر والنثر، إن نظم القرآن الكريم نظم بديع عجيب لا مثال له في اللغة العربية قبله ولا بعده. وقد قيل أن أقوال أعداء الإسلام في عصر بداية الإسلام. وقيل إن وليد بن مغيرة عدو الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأبي جهل، وكان أمير المشركين في مكة: والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، والله ما هو بشعر، ولا بسحر ولا همس من الجنون وإن قوله لمن كلام الله، لا برجزه ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئا من هذا، والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر

أعلاه، مغذق أسفله وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو وما يعلى عليه. ولكن وليدا رفض وأعرض عن الإيمان بالنبي وعبس عن الحق.

والدالة على أنهم تشاركوه كما أن القرآن الكريم النظام اللغوي للعربية، وتفريقهم في التقدير والحذف والالتفات والتقديم والتأخير أهي من المجاز أم أهي من التشبيه أم لا؟، وهي تأويلات قال بها العلماء والنحاة ولا دليل على النظام اللغوي للعربية، واعتنى الفصحاء والبلاغيون عدولا عن الأصل، وقد تعلقنا عليها اصطلاح: العدول الصناعي، وبرهان آخر شاركهم وإياه كالتشبيه له جهتان وبينهما صلة قوية وملابسة ووجه شبه شبه، ولا يمكن أن يكون إلا لفرصة وقرينة كالنظم البديع.

يذكر أهل الصنعة ومن نظم في هذا الأسلوب من البديع صفة البديع ألفاظا وجملا، منها قول الله سبحانه تعالى: واخفض لهما جناح الذل من الرحمة (17: 24)، وكذلك قوله تعالى: واشتعل الرأس شيبا (19: 4)، وقوله تعالى أيضا: وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون (36: 37)، ومن قوله تعالى: ولكم في القصاص حياة (2: 179).

يتضمن القرآن الكريم من بديعه كل أنواعها من التشبيه والمبالغة والاستعارة والمطابقة والأفراط في المماثلة والموازنة والمقابلة والمساواة والسلب والإيجاب وصحة التقسيم والتبديل والعكس والاستثناء والتكرار وغيرها نم أنواع عديدة.

وإن أسلوب القرآن الكريم مخالف لكل مناهج لسان العرب، وامتاز أسلوب القرآن عما عداه بجودة سبكه وإرضاء الخاصة والعامة وجمع الحق والجمال في وقت واحد وأحكام سرده

وخطاب العقل والعاطفة معا وتنوعه في ضروب الكلام وبراعته في تصريف القول ونظام القرآن الصوتي وغيرها من الأغراض العديدة.

وكذلك يتضمن القرآن الكريم كل نوع من أنواع البلاغة، من التشبيه والمبالغة والإيجاز والتلاؤم والتصريف والإستعارة والفواصل والتضمين والتجانس وحسن البيان، كما برهن عليه العلماء والباحثون بأمثلة كثيرة لكل نوع منها.

ومن الأمثلة لبلاغة نظام القرآن الكريم، أولا الإيجاد، الإيجاد هو أن يضع بأمور كثيرة باللفظ القليل الشامل، مثلا من القول الله تعلى: طاعة وقول معروف (47: 21)، ومن قوله أيضا: واسأل القرية (12: 82)، وقوله أيضا: ولكم في القصاص حياة (2: 179). والمبالغة، هي الدلالة على كثرة المعنى، ومن قول سبحانه وتعالى: ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط (7: 40) ومن قول الله تعالى: فأتى الله بنيانهم من القواعد (16: 26).

والتشبيه، التشبيه هو أن يشابه أو يماثل شئيا بشيئ آخر في صفة مشتركة بينهما تماثل ومنه قول الله تعالى: كأنهم أعجاز نخل خاوية (69: 7). ومن قول الله تعالى أيضا: الذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء (24: 39). والتلاؤم، هو تعدية الحروف في نظم الكلمات وهو نقيض التنافر والقرآن الكريم كله مثال لهذا التلاؤم، يقول الله تعالى: الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان (55: 1-4)، ومن قول الله تعالى أيضا: والتين والزيتون، وطور سينين (95: 1،2).

والاستعارة، الاستعارة بيان التشبيه ونوع منه، ويقول الله تعالى في القرآن الكريم: إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية، حتى تضع الحرب أوزارها (47: 4). والفواصل، هو أن يكون حروف متشاكلة في المقاطع المتقاربة، مثلا من قول الله تعلى: ومكروا ومكر الله (3: 54)،

وقوله تعالى أيضا: فمن اعتدى عليكم فاعتدوا بمثل ما اعتدى عليكم (2: 194)، وكذلك مثال آخر من القرآن الكريم: ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم (9: 127).

إن طاقة نظام اللغة العربية وحيويته واستقراره في البلاغة والمجاز يضيف المعاني المبتكرة والإبداع في هذه اللغة الفنية ويحاول الأديب المبدع والمعرب في عملية إثراء اللغة العربية وتشجيعها وتطويرها.

فهذه هي ضرورة للتعبير وتوسع للغة وأساليبها الجديدة والمتطورة، وكذلك في التعبير المجازي قد يعلق الفعل إلى غير فاعله الصحيحي تثبتا على هذه الظاهرة كما قال الله تعالى في القرآن الكريم: اقتربت الساعة وانشق القمر (54: 1)، ومنها الساعة لا تقترب تلقائيا، وإن القمر لا ينشق ذاتيا، وإنما تعلق لها الفعل لتكبر الحدث وليواجه التفكير نحوه[30].

ومن معنى المجاز ينقل إلى المعنى الثاني، ويحتاج إليه الأديب ولاسيما في الاستعارات الكثيرة والكنايات. يقول الصغير في علم المجاز: انه خصائص فنية من وجه ومؤشرات إعجازية من وجه آخر، فهو بمفهوم غير اغتباطي خصائص أسلوبية متطورة للموروث اللغوي[31]، إلا أن البلاغيين توسعوا في مبررات علاقات المجاز العقلي وتفننوا بالتقسمات المضنية، وتعللوا بالتخريجات المنطقية تارة، والكلامية أخرى والنحوية وسواها حتى بلغوا بذلك حد الإفراط مما ذهب برونق هذه العلاقة[32].

المواضيع في القرآن الكريم

[30] الدكتور حسن منديل العقيلي، المجاز والنظام اللغوي للقرآن، قسم اللغة العربية، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد.

[31] مجاز القرآن، الصغير 83، المجاز واثره في الدرس اللغوي 7.

[32] مجاز القرآن، الصغير 86، المجاز واثره في الدرس اللغوي 9.

إن القرآن ليس بكتاب فصاحة وعلم ولكن القرآن كتاب عقيدة وهداية وكتاب دعوة وإرشاد، ولذا موضوعه عديد واسع باتساع الكون والمخلوقات، بل يتجاوز إلى الخالق البارئ تبارك وتعالى، وجميعها موجودة في القرآن الكريم. ولكنه مركز للدعوة إلى دين الإسلام والإرشاد والإيمان به.

وموضوع القرآن الكريم عديدة، يتحدث القرآن عن الشمس والقمر والسماوات والأرض والأفلاك والنجوم والطارق والبرق والنهار والليل والنور والظلمات والصباح والمساء والحر والبرد والبحار والمياه والسحاب والأمطار والثلج والندى والعيون والأنهار والنبات والأشجار والحدائق والجنات والأمثار والأزهار والأنعام والطيور والحبوب والفواكه والمدينة والغابة والدنيا والآخرة والرجال والنساء والبداية والنهاية والصبيان والشباب والشيوخ والقبور والحساب والصراط والجنة والنار والكتاب والحياة والموت وغيرها من الكون والكائنات وما فيها كلها لانتباه النفوس الإنسانية وتوعيتها عن الإيمان بالله الأعلى وما جاءت به الرسائل القرآنية.

ومن أسلوب القرآن أيضا الإيقاظ الفكر الإنساني من رقاده وجموده لحركة ويزيل عنه الجاهلية ويوجهه إلى العلوم المختلفة وعمله في مناهج الحياة، وفتح القرآن الكريم للعقول أبوابا جديدا بالعلوم وسلك بها سبلا من المعلومات والعلوم لم يكن عهد بها من قبل، فكانت هذه الرسالة القرآنية هدى ونورا للناس كافة في سائر العصور وكان القرآن مأدبة الله لخلقه يطعم منها من يشاء بما شاء ويفيد منها كل إنسان بقدر استعداده وتيئ فطرته لقبول فيضه[33].

إن خصوصية القرآن الكريم ليس هذا يترك صغيرة ولا كبيرة من أشياء الدينا والآخرة إلا أبينه وأحصاه. يوجد في القرآن الكريم الأشياء صغيرة ولا كبيرة يحتاج الناس إليه من أمور الدين

[33]الشيخ حسنين محمد مخلوف، من مقدمة صفوة البيان لمعاني القرآن، وزارة الأوقاف واشئون الإسلامية، الكويت، 1981 م.

والدنيا أوضحه مفصلا أو مجملا، ورغم أن الإنسان قد قصر عقله عن الإحاطة بكل شيئ فإن إدراكه للأشياء يزداد ويقدم بالاجتهاد والتدارس والبحوث.

فمن بداية نزول القرآن كان علماء المسلمين يمعنون النظر في الآيات القرآنية ويجتهدون فيها حيث يفسرون معانيه ويوضحون أحكامه حسب تفهمهم واجتهادهم وقدرتهم، فنهاك ما لا حصر له من اجتهاد وتدبر فيما جاء بالقرآن من قصص وعبر وأدب وعلم ومع ذلك لم يستطع أي مفسر وعالم أن يدعي أنه استوعب وأدرك معاني القرآن، ولكنه ختم من اجتهاده بقوله 'والله أعلم بمراده'، ولكن الله سبحانه وتعالى قال في القرآن الكريم: سأريكم آياتي فلا تستعجلون (21: 37)، والمقصود بهذه الآية هي الآيات الكونية، ويكشف العلم عنها تباعا بحكم ارتقاء العقل البشري، وهذا في مواعيد موقوته، كلما حل ميقات آية أظهرها الله ويسر الله للبشر الوصول إلى معناها ودلالتها[34].

قال الشيخ عالم السبيت النيلي في كتابه: "إن في القرآن الكريم نظاما محكما بديعا شديد الصرامة، منتشرا في جميع أجزائه وأقسامه، بأن اللفظ، مفردا كان أو حرفا، والترتيب والتسلسل المعين للكلمات في كل ترتيب هو جزء من هذا النظام، والخطأ في تصور شيئ في أي موقع يؤدي إلى الخطإ في تصور فروع كثيرة متصلة بذلك الموضع[35]. وألزم الدارسين والباحثين والمفسرين بالخضوع لهذا النظام ويقصد بالخضوع 'السير على ذلك النظام والتحرك على وفقه واكتشاف مسائله وطرقه"في دراساتهم القرآنية.[36]

[34] الدكتور جمال الدين مهران والدكتور عبد العظيم حفنى صابر، الغذاء والدواء في القرآن الكريم، ص: 4، لجنة الخبراء.

[35] السيد عالم سبيط النيلي، النظام القرآني مقدمة في المنهج اللفظي، ص 12، مكتبة بلوتو ، بغداد 2003.

[36] السيد عالم سبيط النيلي، النظام القرآني مقدمة في المنهج اللفظي، ص 12، مكتبة بلوتو ، بغداد 2003.

قد اعتنى بعض الدارسين من القدامى والمعاصرين، بدراسة نظم لغة القرآن المجيد، إلا أن دراستهم قامت جزئية لم تتناوله تناولا كاملا فضلا عن تناوله في أكثر من علم من علوم القرآن وعلوم اللغة العربية: النحو، والأصوات والبلاغة، والصرف، والمعجم والتفصيل وعلم المناسبة وإعجاز القرآن وعلم التفسير لا سيما في منهج تفسير القرآن بالقرآن ذلك أن القرآن يفسر بعضه بعضا[37].

إن أسلوب النص القرآني نظاما يعطيه الخصوصية عن الأساليب الأخرى ويحفظه من الدخيل واللحن والاختلاف، وإن ما يظهر خروجا عن القياس العقلي والمنطق فيه هو داخل في نظام أسلوبه قصد لغايات دلالية دقيقة وأسرار فنية وجمالية وأحكام إلهية، وهو من وجه إعجازي ليس غير.

وهذا هو أهم وجوه إعجاز القرآن، أي أن نظامه اللغوي يماثل نظام الكون المبني على التشابه والتعالق أيضا، يقول الله تعالى في القرآن الكريم: كل في فلك يسبحون (36: 40)، وهو دليل على أن الله خالق الكون هو قائل القرآن الكريم، وهذا إقرار علمي وإثبات نظري لمعجزة رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثاني

أسلوب القرآن في تبيين الآيات العلمية

[37] الشيخ بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، 893 هـ.

إن منهج القرآن الكريم الأول، كان منهج العلم والبحث، وبه نزل روح الأمين جبريل عليه السلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم في أول مرة، ومن قول الله تعالى يبدأ إنزال القرآن الكريم: اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم (96: 1-6).

وكذلك أسلوب القرآن الكريم أيضا هو دعوة عامة للدراسة الواسعة والبحث الفسيح إلى الناس كله، والآية الكريمة تبدأ القرآن الكريم ما بينت 'ماذا يقرأ' الإرادة منها على الناس كله أن يقرأوا في الكون والكائنات وأن يبحثوا فيما حتى يصلوا إلى معارف الخالق تبارك الله تعالى، والمنهج الذي يفتح القرآن أمام الناس من العلم متسع بإتساع الكون والحياة، وإليه الأحاديث النبوية أيضا يؤكده، ومن آفات المعاني للتعبيرات الحديثة 'الحكمة ضالة المؤمنين'[38]، و'طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة'[39]، يدعم ذلك بكل بيان.

قد رفع القرآن الكريم راية الفكر والعقل والبحث في طياته وخلال آياته الكريمة، وهو يحث على القراءة والدرس والمعرفة وتفهم نواميس الكون واكتشاف أسراره، لا يتعارض القرآن الكريم مع العلم الذي معروفة بكلمة إنجليزية 'سيانس'، هو الذي جاء باكتشافات وبحوث مدهشة عن الكائنات. رغم ذلك أن القرآن الكريم لا يعتمدها علوما قطعيا لأن أصلها خيالات وظنون واعتبارات يصل إليها الإنسان الباحث على سبيل البحث والاجتهاد، فلذا يلاحظ أن الاكتشافات والاخترعات العلمية لا تزال تتجدد وتتبدل عكسا للعلوم القرآنية وهي كلها علوم قطعية تحدث بها الخالق الله تبارك وتعالى.

[38] أبو عيسى محمد الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث 2611

[39] امام ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث 270

وإن هذا القرآن المجيد المنزل على رسولنا الأمين محمد صلى الله عليه وسلم في اللغة العربية الفصحى، يتعلمه المسلمون ويعلمونه لأبنائهم على مدى أربعة عشر قرنا وإلى ما شاء القدر، قد ترجم القرآن إلى لغات عديدة عالمية. وقد افتتحت حركة التراجم منذ القرن الأول وما زالت مستمرة حتى اليوم لأهداف متنوعة ومقاصد مختلفة، وجدير بالذكر أن يوجد القرآن في اللغات الأوربية نفسها ظهرت أكثر من مائة ترجمة.

إن القرآن الكريم محيط فيه اللؤلؤ والمرجان من الأفكار والآراء القيمة والمعاني المفيدة التي يحتاجها الإنسان في كل عصر ومصر، فعمل المفسر والمترجم والعلماء والباحث أن يخرجها من أعماقها، وقد أخرجها كثير من المفسرين والمترجمين والباحثين ولا يزال بعض الآخر يخرجها، والقرآن الكريم على الرغم من سلسة قوله ورقة أسلوبه لا يسهل لترجمة تأخذ بالألباب في نظمه وأسلوبه.

أحيا القرآن الكريم به أجيالا كانت في طرف الهلك بحجة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم الخالدة، فأحياها الله بنور هذا الكتاب المبين وهداها هي أقوم ونجاها فجعلها خير أمة أخرجت للناس. يبشر الله هذا في القرآن الكريم: أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون (6: 122).

ويقول الأستاذ محمد علي الصابوني في معجزة القرآن: لقد أحيى القرآن مما وأوجد مجتمعا وألف جيلا لم يعرف له التاريخ مثيلا فأخرج من العرب الذين كانوا رعاة الإبل والغنم، سادة الشعوب والأمم فملكهم الدنيا حتى حكموا أقصى المعمورة وكل ذلك بفضل هذا القرآن[40].

[40] محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، ص 90، دار احسان للنشر والتوزيع، المكة المكرمة.

إن آيات القرآن الكريم ومعجزته غير منصرمة إلى الأبد، وذلك أن معجزة القرآن معجزة إلهية ومعجزة خالدة، ومن التاريخ أن معجزات الأنبياء السابقين فهي معجزات حسية تلائم مع الساعة والمكان، وهي أمور حسية يراها جماعة من أصحابهم حين حدوثها كمعجزة اليد والعصا لموسى عليه السلام وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لعيسى عليه السلام. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي من الآية ما مثله من آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تبعا.

يؤمن المسلمون بأن القرآن الكريم معجزة الرسول للعالمين جميعا، وأن آياته تتحدى العالمين بأن يأتوا بمثله أو بسورة مثله[41]، كما يعتبرون دليلا على نبوته، يقول بعض العلماء والباحثين وعدد من علماء الشريعة المختصين بمجالات علمية متغيرة، أن القرآن يشير إلى معلومات علمية كثيرة في عدد من الآيات وهو يسمى بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وأن هذا يشكل الدليل القاطع على أن مصدره من الله العليم والعارف كل شيئ.

الآيات العلمية في القرآن الكريم

[41] الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى الحلبي، الطبعة الثالثة، ج2، ص334.

إن القرآن الكريم ليس بكتاب علمي ولكن يتضمن فيه علوم عديدة، ولذا إن القرآن عجب العجائب وكنز من كنوز العلوم جاء بإشارات مدهشة إلى أنواع من العلوم المختلفة وإلى شتى الأمور هي التي تسببت لكثير من الاكتشافات العلمية والعجائب الكونية رغم ذلك لا يوجد في القرآن العظيم بحث تام عن موضوع من الموضوعات العلمية لأنها ليست من مهمة القرآن الكريم.

يتحدث القرآن الكريم عن مشكلات الكون وحقائق الوجود العلمية والتي توجد في القرآن الكريم من التعبيرات الدقيقة والإشارات الخفية إلى حقائق عديدة من المسائل الطبيعة والكونية والطبية والفلكية والجغرافية وغيرها للتدبر والتفكير عن خالق الكون بدليل وبرهان.

ومعلوم أن القرآن ليس معجزا في ألفاظه وتركيبه وفصاحته اللغوية وبلاغته المعنوية فحسب، بل إنه معجز في ألفاظه ومفرداته مركباته ومعجز في معانيه ومحتوياته ومعجز في علومه ومعارفه ومعجز في غيبياته وحقائقه الأبدية ومعجز في تعليماته الدينية والخلقية الإجتماعية المدنية ومعجز في تأثيره وإشاراته ومعجز في نبوئاته وأخباره[42].

لا يجمد الدارس المنصف من ذي الفطرة السليمة كجمود الجاهلية ولا يخضع لاكتشاف العلم خضوع المستسلمين المنبهرين يعجب عندما يطلع على هذه الحقائق المدهشة، حقا وهي أن هذا الكتاب رغم كونه قد نزل على نبي أمي قبل أربعة عشر قرنا من الزمن في البيئة العربية المعينة المنعزلة عن دنيا العلم والمدينة احتوى على عدد من الحقائق ترتبط بالتاريخ والجغرافي والفلك والطبيعية وعلم الحياة والأجرام السماوية والطب وخلق الإنسان وتكوينه وتركيب أعضائه وغيرها من كثير من المعارف والعلوم التي اكتشفت عنها في القرون الأخيرة

[42] السيد أبو الحسن علي الحسن الندوي، المدخل إلى الدراسات القرآنية، ص: 22-23، المجمع العلمي، لكنوء

إن المعلومات والحقائق تتغير حسب أوضاع العلم البشري تغيرا جذريا، ولم يعرف حتى الآن ما يعارض ما أخذه القرآن الكريم من العلوم فيما أثبته العلم الحديث واكتشفه بالاختبارات بمساعدة للآلات الحديثة، بل قد وردت فيه حقائق ولفظات لم يكشف عنها العلم إلا قريبا ولم يبلغ إليه إلا بالأمس.

لأن الاكتشافات العلمية الحديثة ليست هي علوم حقيقة ثابتة بل ما هي إلا الظنون والخيالات، أما البيانات القرآنية هي علوم حقيقية ثابتة قطعية لا تغيير لها ولا تبديل عكسا للاكتشافات العلمية، التي تتجدد علومها يوما فيوما وتعترف أن ما كان بالأمس خطأ، ولذا ليس من الصحيح الانطلاق وراء كل خطوة للاكتشافات العلمية الجديدة بالآيات القرآنية المحاولة الشديدة للتوافق بينهما.

يقول الأستاذ منان القطان: يخطئ كثير من الناس حين يحرصون على أن يتضمن القرآن الكريم كل نظرية علمية، وكلما ظهرت نظرية جديدة التمسوا لها مجملا في آية يتاولونها بما يوافق هذه النظرية، ومنشأ الخطأ في هذا أن العلوم تتجدد نظرياتها مع الزمن تبعا لسنة التقدم فلا تزال في نقص دائم يكتشفه الغموض أحيانا والخطأ أحيانا أخرى.

وتستمر هكذا حتى تقترب من الصواب وتصل إلى درجة اليقين محل نظرية منها تبدأ بالجدى والتخمين وتخضع للتجربة حتى يثبت يقينها أو يتضح زيفها وخطأها، ولهذا كانت عرضة للتبديل وكثير من القواعد العلمية التي ظن الناس إنها أصبحت من المسلمات تتزعزع بعد ثبوت وتتقوض بعد رسوخ،

ثم يستأنف الباحثون تجاربهم فيها مرة أخرى والذين يفسرون القرآن الكريم بما يطابق مسائل العلم ويحرصون على أن يستخرجوا منه كل مسألة تظهر في أفق الحياة العلمية يسيئون إلى القرآن من حيث يظنون أنهم يحسنون صنعا، لأن هذه المسائل التي تخضع لسنة التقدم

تتبدل وقد تتقوض من أساسها وتبطل، فإذا فسر القرآن بها تتعرض في تفسيره النقائض كلها تتبدل القواعد العلمية أو تتابع الكشوف بجديد ينقض القديم أو يقين يبطل التخمين[43].

والقرآن الكريم كتاب عقيدة وهداية يخاطب الضمير فيحيى فيه عوامل النمو والارتقاء وبواعث الخير والفضيلة وإعجازه العلمي ليس في اشتماله على النظريات العلمية التي تتجدد وتتبدل وتكون ثمره للجهد البشري في البحث والنظر وإنما في حثه على التفكير فهو يحث الإنسان على النظر في الكون وتدبره ولا يشك حركة العقل في تفكيره أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم ما استطاع إلى ذلك سبلا[44].

يقول الأستاذ سيد قطب: وأنا شديد النفور من الذين يقولون إن في القرآن نظريات طبيعية وكيمائية وطبية وفلكية وذرية وصاروخية، ويروحون ويجرون وراء كل كشف أو اختراع جديد يحاولون أن يثبتوا أن القرآن قد أشار إليه أو تنبأ به، إن القرآن غني عن كل هذا قد أخذ مكانته في تربيته البشرية وتوجيهها الوجهة الصحية بغير هذا التحمل كله أنه كتاب تربية وتوجيه... كتاب ينشئ النفوس على النهج المستقيم وهو يؤدي مهمته هذه كاملة دون أن يتعرض لنظريات العلم المختلفة وإنما كان ما ورد في ثناياه من المعلومات إشارات كونية للإنسان ليفتح بصيرته على آيات الله في الآفاق فيتصل بالخالق ويحبه ويخشاه[45].

لا يوافق كثير من الباحثين مع الأستاذ السيد محمد قطب على كل ما تحدث عن البحوث المقارنة بين العلوم الإسلامية قرآنا وحديثا، وبين العلم الحديث الذي له دور مهم في سبيل الدعوة الإسلامية بين طبقة أهل العلم والعقل.

---

[43] مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، مكتبة اشاعة الإسلام – نيو دلهي – ص: 270

[44] مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة اشاعة الإسلام – نيو دلهي – ص: 27

[45] السيد محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، ص: 2، دار القلم، بيروت

إن في القرآن الكريم إشارات خفية إلى كثير من العلوم وإلى العجائب الكونية وهل يكون المعنى أنه قال إن القرآن كتاب فلكي أو كتاب بيولوجي أو كتاب طبي أو غيرها. هل يكون القرآن بذلك كتابا غير تربية وغير دعوة، لا، لا يكون أبدا، ومما لا شك أنه قد ساعد الإنسان بعض الاكتشافات العلمية لفهم معاني الآيات القرآنية العديدة فهما دقيقا.

يقول صاحب كتاب 'الغذاء والدواء في القرآن الكريم'، ولقد كشف العلم الحديث عن معنى بعض الآيات القرآنية التي كانت غمت على الأولين لقصور إدراكهم وعلمهم ومعرفتهم وسيكشف الباقي أيضا إن شاء الله مع ترقى العلوم، سيأتي زمان يكون فيه العلماء أقرب الناس إلى الدين وإلى الإيمان بالله قريبا إن شاء الله، ويقر الجميع أن لا تعارض بين العلم والدين أبدا[46].

إن في القرآن الكريم إشارات عديدة كلها مخطط إلى مصالح الحياة البشرية، لا تنحصر زاوية دون زاوية وموضوع دون موضوع وبميدان دون ميدان وبساحة دون ساحة، ولكن تتجاوز كل حدود وحصور وتتجمع إلى جميع النواحي للحياة البشرية فردية وجماعية، يقول سبحانه وتعالى: ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين (5: 64)، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره (99: 7،8)، يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة (2: 208).

وجدير بالذكر، قد تقدمت العلوم في العصر الحديث وكثرت مسائلها واتساعها ولم يتعارض ويصطدم شيء ثابت منها مع أي آية من آيات الله سبحانه وتعالى، والقرآن الكريم

[46] د/ جمال الدين مهران و د/ عبد العظيم حفنى صابر، الغذاء والدواء في القرآن الكريم، ص:11، لجنة الخبراء، مصر

يجعل التفكير السديد الدقيق والنظم الصائب في الكون والكائنات وما فيه من أعظم وسيلة من وسائل الإيمان بالله.

إذا يقرأ الباحث بتأمل وتدبر، يجد الباحث في القرآن الكريم عديد من الآيات الكريمة التي تشتمل حقائق علمية متنوعة، يتحدث القرآن الكريم هذه كلها قبل ألف وأربعمائة عام أي قبل أربعة عشر قرن، عن اكتشاف الطب الحديث لها. وما كان لأي علم ودليل آنذاك أو قبل نزول، يعجز البشر أن يأتي مثلها ولم تعرف إلا بعد مئات السنين عندما أحاط العلم الحديث اللثم عن بعض أسرارها. ويشير هنا الدكتور موريس بزكاي تناوت القرآن الكريم بشكل خاص إلى الوصف الذي يعطيه عن حشد كبير من الظاهرات الطبيعة، لقد أذهلني دقة التفاصيل المميزة بهذه الحدوث، لم تكن ممكنا لأي إنسان في عصر نزول القرآن أن يكون عنها أدنى فكرة.

ولقد حرض الإسلام على تكوين العقلية العلمية التي تقوم على النظر والبحث والتفكر كما بين سبحانه وتعالى أن العلم يؤدي إلى الإيمان وأن الإيمان يؤدي إلى الإخبار: "وليعلم الذي أوتو العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم" (22: 54).

وقد جاء على لسان الأستاذ هوشل أحد علماء الغرب كلما اتسع نطاق العلم زادت البراهين الدافعة القوية على وجود خالق أزلي، لا حد لقدرته ولا نهاية. فجيولوجيون ورياضيون والفلكيون والطبيعيون قد تعاونوا على تشييد صرح العلم وهو صرح عظمة الله وحده.

إن العلم الحقيقي في نظر القرآن يدفع إلى الإيمان ويشيد أزره كما قال الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه المشيهور الإيمان والحياة، "العلم عندنا دين، والدين عندنا علم، فليس بين العلم والإيمان أو بين العلم والدين صراع كالذي عرفته أوربا. لكن العلم يزيد الإيمان

والإيمان يبارك العلم فإن الحق لا يناقض الحق. ولهذا عطف سبحانه وتعالى الإيمان على العلم بقوله "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير[47]"(58: 11).

الفصل الثالث

الآيات البحرية في القرآن الكريم

[47] الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، الدين عندنا علم والعلم عندنا دين، موقع الشيخ يوسف القرضاوي، 2008 م.

إن البحر آية عظيمة من آيات الله سبحانه وتعالى، يقف الإنسان أمام البحر عاجزا ومبهورا من قدرة الله، وقد صور الله تعالى البحر في القرآن تصويرا صحيحا للإنسان. أن العرب كانوا في عهد الرسول لم يعرفوه ولم يروه البحر قط، فبين لهم الصورة المظلمة والعاصفة للبحر، كذلك بين له الصورة الهادئة والمريحة له.

الأسماء والألفاظ الدالة على علم البحر في القرآن الكري

وفي القرآن الكريم يعدد الله الألفاظ والكلمات الدالة على البحر، له أسماء مباشرة وغير مباشرة له. ومن كلماته 'البحر' و'اليم' التي يستعملها الناس في حياتهم، ومن الأسماء التي غير مباشرة، ولها علاقة قوية للبحر، وفي اللغة، بعض من الأسماء تختلف معناها حسب الآية والمكانة التي تبين فيها.

يستخدم العرب كلمة البحر على كل مجموع مائي كبير واسع، كالبحيرات والأنهار والبحار والمحيطات، وقد يثبت الله هذا القول أي هذه التسمية على كل من مجموع مائي كالنهر والبحر، ومن قوله تعالى: وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا (25: 53).

وكذلك لفظ 'يم' متعلق بالنهر والبحر وكل مجموع مائي عند العرب، وهذا أيضا نفهم من كتاب الله تعالى، إذ تعلق اسم يم لنهر النيل، ومن قوله تعالى: أوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقه في اليم ولا تخافي ولا تحزني (28: 7)، كذلك يبين الله تعالى عن غرق الفرعون وجنودة متعلقا بلفظ يم للبحر، ومن قوله تعالى: فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم (28:40).

ومن الألفظ الدالة على البحر لفظ 'ماء'، قد صور الله تعالى عن حادثة طوفان الرسول نوح عليه السلام: إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية (69: 11)، وكذلك نرى في القرآن الكريم ألفاظا أيضا لها علاقة بالبحر مباشرة، وقد يستعمل الله في القرآن كلمة السفينة، ومن قوله تعالى: أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر (18: 69)، ومترادف هذه الكلمة الفلك أيضا يستعمل في كتاب الله، لما قال الله تعالى على نوح عليه السلام فنرى: واصنع الفلك بأعيننا ووحينا (11: 37)، ومن ألفاظ أخرى مثل كلمة جارية وجمعها جوار وجارية تستعمل في كتاب الله، ومن قول الله تعالى: إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية (69: 11)، وكذلك استعمال لغوي يشير إلى السفينة هو، ذات ألواح ودسر، من قول الله أيضا لنوح عليه السلام: وحملناه ذات ألواح ودسر (54: 13).

هناك ألفاظ أخرى لها علاقة غير مباشرة بالبحر كالأسماك والحيتان، وخاصة في قصة يونس عليه السلام وحوته، إذ يقول الله عن يونس عليه السلام: فالتقمه الحوت وهو مليم (17: 142)، وكذلك يقص الله عن حوت موسى في قصة أصحاب الكهف، يقول الله في سورة الكهف: قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا (18: 63)، وكذلك يستعمل الله عن الحوت في قصة بني إسرائيل، ومن قول الله تعالى: واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم: (7: 163)، وللسمك اسم آخر كالحوت وهذا هو 'النون'، ومن هذا الاسم لقب النبي يونس باسم 'ذو النون' يعني صاحب السمك أو الحوت، في قول الله تعالى: وذا النون إذ ذهب مغاضبا (21: 78)

ومن الألفاظ التي تشير إلى البحر بصورة غير مباشرة لفظ 'سبت'، وهذه الكلمة تقول عن بني إسرائيل وصيدهم للحوت يوم السبت، ويقول عز وجل: وقلنا لهم لا تعدوا في السبت

(4: 154)، ولفظ يغوصون، ويقول الله تعالى في سورة الأنبياء: ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك (21: 82)، يعني يغوصون في النهر أو البحر لاستخراج نفائس البحر بأمر الرسول سليمان عليه السلام.

البحر في كتاب الله

البحر خلق عظيم من مخلوقات الله تعالى، ويذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم هذه الكلمة 43 موضعا، نفهم منها له ذو اهتمام في القرآن الكريم، وطبعا، وصف الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديث متعددة، نجده في القرآن الكريم جندا من جنود الله أحيانا، مطيعا لأوامره، يوالي أولياءه ويكرمهم، ويقاوم أعداءه ويغرقهم، وأحيانا يجلب البحر الخير والنفع للإنسان، ولهذا رزق وسعة للإنسان إذا ضاق البر، وهذا مثالا لسعة علم الله سبحانه وتعالى ورحمته أبدا، فتارة هو مكان اختبار الله لعبده، وكذلك هو ملجأ العجائب.

يقول الله تعالى في القرآن الكريم عدة حوادث لاستجابة البحر والنهر لربه، وأهمما إنجاء الرسول موسى عليه السلام ومن معه، وكذلك إغراق الظالم فرعون ومن معه، ومن قول الله تعالى: وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون (2: 50).

وفي آية أخرى، يذكر هذه الحادثة ويقول: وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به وبنوا إسرائيل وأنا من المسلمين (10: 90)، لما أعلن ملك فرعون هذه الألفاظ، أجاب الله تعالى له: آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين (10: 90).

ومن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، قد شارك البحر مع جبريل عليه السلام في الغضب على عدو الله تعالى فرعون، قال الرسول صلى الله عليه وسلم، قال لي جبريل: لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر، أي: طين البحر فأدسه في فم فرعون، خائفة أن تدركه الرحمة، قال المحدث الألباني، رحمه الله، حديث صحيح.

يصور الله قصة موسى تصويرا رائعا، لما قدم بنو إسرائيل إلى شاطئ البحر، والبحر أمامهم والعدو خلفهم يكاد أن يصل إليهم، فبلغت نفوسهم الحناجر، وفكروا بالله الظنون، يقول الله تعالى في القرآن الكريم: فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون، قال كلا إن معي ربي سيهدين، فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فِرق كالطود العظيم (26: 61-63).

يطمئن الله سبحانه تعالى على قلب موسى عليه السلام ويلقي السكينة إليه، لئلا يهاب البحر: ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى، فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم (20: 77،78).

وفي القرآن الكريم أيضا، نرى أن هذا الجندي مؤدبا للمشركين، فيهدأ ويثور بنظام الله فيلجئهم إلى توحيد الله سبحانه وتعالى: هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لين أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين (10: 22). بل الظالمون، إذا رجعوا إلى البر وأعرضوا ونسوا وأهملوا حالهم في البحر، يقول الله تعالى: وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا (17: 67).

وكذلك هيأ الله سبحانه وتعالى البراكين والزلازل والعاتية والرياح والخسف والمسخ والصواعق وسلة عقاب للشعوب الكافرة الماضية، هم كافرون بالله وظلمة أنبياء الله، كشعب لوط وعاد وثمود وقوم شعيب وغيرهم، وفي هذه الحالة هيأ الله البحر سبيلا للعقاب مماثلة، يقول الله تعالى: فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (29: 40). نفهم من القرآن، بدأ الله سبحانه وتعالى الغرق من قوم نوح، الذين استقروا على الكفر والضلال والغي رغم تحذيرات رسولهم نوح عليه السلام المتواصل لهم، والذي استقام في دعوته إلى الله بينهم ألف سنة إلا خمسين عاما: يصور الله هذا في القرآن الكريم: فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا (10: 73)، حتى ابن نوح عليه السلام، الذي رفض أن يكون مع أبيه، وفضل أن يكون مع الظالمين المشركين، وكان ملجئه أيضا الغرق، يقول الله تعالى: وحال بينهما فكان من المغرقين (11: 43).

وقد يبتلئ الله العباد بالبحر في السراء والضراء، حرم الله الصيد في يوم السبت على قوم من الذين هادوا، وهذا ابتلاء لهم بأن الأسماك تأتيهم يوم السبت، وتبعد عنهم باقي الأيام، يقول الله تعالى عن هذه الحادثة: واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون (7: 163). فكذلك ثبت الله على بني إسرائيل بما كانوا يظلمون، وبسط الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة، ومنح لهم صيد البحر، حتى في حال الاحترام، بدلا حرم عليهم صيد البر، قال سبحانه وتعالى: أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي إليه تحشرون (5: 96).

ولكن في عصر فرعون، ونحن نعرف تاريخه مع النبي موسى عليه السلام، وكيف طغى وفسد وتجبر بقوم موسى ومنع الرسول موسى لعبادة الله وحده ودعوته، مع ذلك ادعى الألوهية لنفسه، وعاونه عليه قومه والملأ من قربه، ونتيجته كانت غرقا مع جميع منهم من الجيش المشركين الظالمين. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: كدأب آل فرعون والذين كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين (8: 54). وقد فهم فرعون أن موسى نبيا له في ساعة الغرق والهلاك وقبل دعوة موسى عليه السلام، وصرح إسلامه بقوله، يذكر الله تعالى في القرآن الكريم: حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت إنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل (10: 90).

كذلك ينظر الله إلى الناس وإنه يلاحظ إلى كل كافر ظالم متكبر ينكر الله الخالق وآياته ويكذب بها، وإن الإنسان ضعيف وعاجز عند الله مهما كان قويا جبارا في هذه الدنيا، ومهما كان يملك من سطوة وسلطان، يقول الله سبحانه وتعالى: قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر.. (6: 13).

ومن قول الله تعالى عن البحر: أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله نور فما له من نور (24: 40)، يشير الله في هذه الآية عن ظلمات البحر العميق، عرفها العلماء الحديثة في مجال علم البحر عن هذه الظلمات قبل سنوات قليلة، بعد أن الغواصات وتمكنوا واستطاعوا للغوص في أعماق البحار، ولكن الإنسان لا يستطيع أن يغوص أكثر من عشرين إلى ثلاثين مترا بدون آلة، وهم يغوصون فيكسب اللؤلؤ في مناطق الخليج وكذلك يغوصون في أماكن قريبة لا يزيد على هذ العمق.

لما بدأ الإنسان أن يغيص إلى أعماق كبيرة فاكتشف الظلام الشديد على عمق 300 متر لا يستطيع أبدا أن يبقي حيا، يقول الله تعالى: أو كظلمات في بحر لجي..، وهذه الآية تقول عن ظاهرة توجد في البحار والمحيطات العميقة، ولا في أي بحر وصفت هذه الظلمات، لأنها متراكمة أو مجمعة بعضها فوق بعض، توجد الظلمات الشديدة المتراكمة التي تتجمع في البحار العميقة بسببين، السببان يصيران نتيجة زوال الألوان من طبقة بعد طبقة، سببها، الشعاع الضوئي مشكل بسبعة ألوان، فإذا غاص الشعاع الضوئي إلى البحر أو الماء يقسم إلى الألوان السبعة، نجد هذا التصوير من الشعاع في الماء، ومنه الجزء الأعلى قد استوعب وامتص اللون الأحمر في العشرة الأمتار الأولى من السطحة.

إذا جرح جسم الغواص في العمق الماء بثلاثين مترا، ولا يراه الدم باللون الأحمر، لأن الأشعة الحمراء غير موجود من الطبقة الأولى. وبعد ذلك يمتص اللون البرتقالي، فإذا يجد الشعاع الضوئي وهو يغوص في أعماق الماء على مسافة 50 مترا، ويبدأ ذلك يبدأ أن يمتص اللون الأصفر، يكون امتصاص اللون الأخضر بعد ذلك في عمق 100 مترا، ثم امتصاص اللون الأرض على عمق الماء أكثر من مئتي مترا.

ومنها نفهم أن ظلمة اللون الأخضر على عمق عند 100 مترا، وفي عمق 50 متر يكون اللون الأصفر ظالمة، وقبلها ظلمة اللون البرتقالى واللون الأحمر[48]، وهذا كلها ظلمات بعضها فوق بعض.

ومن الكلمات البحرية في القرآن الكريم، يقول الله تعالى: وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا (25: 53)، وهذا وصف عن

[48] Connie Imboden, *The science of color underwater*, Illustration of color absorption under water, blog, connieimboden.com, 01-12-2013.

منطقة المصب من البحرين، وهناك اختلاط وامتزاج من الماء الملوحة والعذوبة، فلكي تتغير منطق المصب من البحرين قيد كل مصب تفصيل خاص به، قال تعالى: هذا عذب فرات، أي بحر أو نهر صافي، ثم قال تعالى: وهذا ملح أجاج، أي بحر أو نهر مالح بكثير المر، ثم يقول: وجعل بينهما برزخا، أي جعل البرزخ الآن وهو حجز لا يسمح ولا يعطي بالتقاء وامتزاج النهر والبحر مباشرة، وإذا هذا الحاجز الإلهي ضروري بينهما. إن العلم الحديث قد اكتشف وأظهر سر هذا العجيب فرأى أن المخلوقات الحية التي في النهر، والتي في البحر لا يستطيع أن يدخل إلى هذه المصب، فهي محجور للدخول إلى منطقة المصب، وكذلك لاحظ العلماء الحديثة أن الكائنات الحية من حيتان وغيرها الموجودة في هذه البقعة أو المصب لا يمكن أن تخرج، لا إلى البحر، ولا إلى النهر فهناك حجر لها.

إشارة أخرى عن البرزخ بين البحرين، يذكر القرآن الكريم في سورة الرحمن: مرج البحرين يلتقيان وبينهما برزخ لا يبغيان (55: 19، 20)

ومن هذا أي دقة يصف هذا الوصف بدقة؟، ومن علم النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأشياء كلها، يعني كشف عن أسرار المخلوقات الحية تعيش في منطقة المصب، والموجودة في البحر والنهر، وهذه كلها اكتشفت العلماء الحديثة في أواخر القرن العشرين فقط، ولذا إنه العلم الذي منزل من عند الله سبحانه وتعالى، هو الذي يعلم السر في السماوات والأرض.

إن الانفجارات البركانية هي التي تسبب للجزر التي نجدها في البحار والمحيطات من قاع البحر وتخرج إلى سطحه، وإن النار قد تخرج من قاع البحر وتصل إلى سطحه ثم يدمر تدميرا شديدا، وقد يقرر القرآن الكريم هذا الباب يقسم البحر الذي يسجر ويحرق، يقول الله تعالى في سورة الطور: والبحر المسجور (52: 6). ولفظ سجر من الآية السابقة يعني في اللغة الشيئ الذي يحرق، يذكر الله في القرآن الكريم عن أهل النار: ثم في النار سيجرون (40:

72). إن الله يخلق بمخلوقاته وله أن يخلق بما يشاء، فيقسم ببحر يحرق ويحترق لقدرتهه، كما قال تعالى: والبحر المسجور (52: 1-6).

ومن جهة اللغة بأن البحر واليم يؤديان نفس المعنى، وإن القرآن يذكر هذه الكلمة البحر بمعنى المكان الواسع المليء بالماء، وقد يذكر القرآن الكريم هذه اللفظة 43 مرة، وهذه اللفظة تأتي دائما مذكرة بما أنعم الله على عبده من النعم والرحمة ولذا نلاحظ في آيات مختلفة أنها أتت مع معاني جميلة. ولكن لفظة اليم، تأتي دائما لإشارة الغريق وذكرت 8 مرات في القرآن الكريم، ونفهم منها إذا لاحظنا أن كلمة اليم تأتي دائما مع آيات العذاب والهلاك، وفيها نبذ ونسف والقاء وقذف على التوحيد.

جاءت هذه الكلمة اليم مواضع مختلفة، يقول الله تعلى في القرآن الكريم: فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين (7: 136)، فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين (28: 40)، فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم (51: 40)، فالماء هنا السبب للغرق.

إن القرآن الكريم يتحدث عن الأنهار والبحار بالمعنى والمصطلح المتعارف عليه لغة الناس لهتين الكلمتين، وهما واضحتان من هذه الجهة في كافة المواضع القرآنية، ولذا ليس هناك اختلاف عن المفاهيم المتعلقة بهما. وجدير بالذكر، إذا كشفنا السياق القرآني وتأملنا فيه فنجد أن هذه اللفظة 'البحر' قد استعملة في كافة المواقع التي كان البحر غاية وقصدا فيها بكامله وبمواصفاته.

وإذا استبدلنا هذه الكلمة البحر بالكلمة الماء، فيلاحظ أنه غير صحيح أو ممكن في هذه السياقات، ولذا يؤدي هذا الإستبدال إلى اختلاف المعنى.

ومنها جدير بالذكر عن إرادة ومصدر كلمة اليم، الكلمة 'اليم' فهي تذكر وتستعمل لفظة مايم في اللغات القديمة. ومعناها ماء كما هو موجود في اللغات النبطية، والمصرية، والعبرية، والهيروغليفية وغيرها. ومفهوم أن كلمة مايم، المتعلق بين عدة لغات قديمة سامية تتكون من قطعتين هما 'ماء' و'يم'، وأن اللغة القرآنية وبلاغتها اختصرتها في لفظة واحدة هي يم، هذا من باب المجاز اللغوي يسمى بلاغة 'إطلاق اسم الكل على الجزء'، وإذا تأملنا عن السياقات الثمانية الواردة في القرآن الكريم عن هذه اللفظة، نجدها نفهم منها وهذه كلها وضوح وجلاء أن القصد بها هو ماء البحار أو الأنهار بصفتها وإمكاناتها وآثارها المعلوم على التحديد، وإن كان هذا غير دقيقة يفهم منها بشكل عام على أنها لفظة مترادفة للنهر والبحر أو وما إلى ذلك، وإن هذا المفهوم العام لا يخل كثيرا عن المعنى، وهذا جزء واجب للبلاغة القرآنية.

الفصل الرابع

تحليل أدبي للمصطلحات البحرية في القرآن الكريم

البحر هو مليئ بالماء الواسع، عذبا كان أو ملحا، هذا خلاف البر، ويسمى البحر بهذا الإسم بسبب سعته وانبساطه، وكثير بالاستعمال للماء المالح، وقليل في الماء العذب، وجمع هذه الكلمة: أبحر، بحار، وبحور، وسعة البحر لا يرى طرفاه، وقيل: تردد أمواجه.

البحر آية عظيمة من آيات الله سبحانه وتعالى، حيث يصطاد الصيادون اللحوم الطري اي السمك وغيره، وجعل الله في السمك طعاما لذيذا لسكان البر والبحر، وكذلك منه تؤخذ الجواهر واللؤلؤ والمرجان، وعلى البحار تجري الفلك الماخرات بإذن الله، تقودها الرياح المسخرة، كما قال الله تعالى في القرآن الكريم: ومن آياته الجواري في البحر كالأعلام، إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (42: 33، 34)

فنجد في القرآن الكريم تصويرا كثيرا للبحار ومن ظواهرها، في وصف دقيق من سطحها إلى قاعها، كشفت عنه العلوم الحديث برحلاتها الطويلة بعد أن تملكت آلات البحث، ولاحظ عديد من العلماء والباحثين لجمع هذه المعارف حتى تكاملت هذه الحقائق، ورد في القرآن الكريم هذا اللفظ مفردا ومثنى وجمعا 43 مرة، وهذا الفصل ينقسم إلى الظواهر البحربية المشهورة، العناوين الآيتة:

- البرزخ بين البحار:

مرج البحرين يلتقيان وبينهما برزخ لا يبغيان، (سورة الرحمن: 19،20) وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا. (سورة الفرقان: 53)

- ظلمات البحر العميق
  - أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذ أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله نورا فما له من نور (سورة النور: 40).
- الأمواج الداخلية
  - أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذ أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله نورا فما له من نور (سورة النور: 40).
- البحر المسجور
  - البحر المسجور (سورة الطور: 6).
- تسخير البحر لتجري الفلك فيه
  - ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفصيلا (سورة الإسراء: 70).
- يخرج من البحر اللؤلؤ والمرجان
  - يخرج منهما للؤلؤ والمرجان (سورة الرحمن: 22)
- لحوم البحر
  - "وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون"(سورة النحل: 14).

دلالة البحر واليم

استعمل القرآن الكريم اللفظين للبحر، هما لفظ البحر واليم، ولكل منهما مدلول ومفهوم تختلف عن غيرها، البحر خلاف البر، هو الماء الكثير الواسع، ومن معانيه أيضا الشق او الانشقاق في الماء، والفراغ الذي يتسع في الأرض، يقول أصحاب المعاجم: البحر يعني الماء الواسع عذبا كان أو ملح، وهو ضد البر، سمي كذلك باتساعه وعمقه، قد غلب فيه الملح وقل منه العذب، وسمي البحر كذلك بحرا لاستبحاره وهذا هو انبساطه وسعته.

ويحدث إنما سمي كذلك البحر بهذا الاسم لأنه شق في الأرض شقا، وجعل هذا الشق لمائه قرارا، في كلام العرب البحر الشق، وفي حديث عبد المطلب يقال وحفر زمزم ثم بحرها بحرا، يعني هنا شقها واتسعها حتى لا تنزف.

ومنه قيل للناقة التي كانوا يشقون في أذنها شقا بحيرة، وبحرت أذن الناقة بحرا شققتها وخرقتها، والبحرة الفجوة من الأرض تتسع[49].

ومن كلمات البحر اليم، وهذه الكلمة من كلمة سريانية وعبرية يما، واكدية يمو، وكذلك يذكر اللغويون العرب وكصاحب لسان العرب، اليم البحر الذي لا يدرك قعره ولا سطحه، ويقال: اليم لجنته، وقال الزجاز: اليم البحر، وزعم بعضهم أنها لغة سريانية فعربته العرب[50]، ويلفت النظر أن الله تعالى لم يستعمل هذه الكلمة إلا في قصة موسى عليه السلام وقومه وهم العبرانيون[51]، هذا من جهة، وجهة أخرى وهو مدلول أي خص الله تعالى هذا اللفظ عند مقام العقوبة والخوف، ولا يستعمله في مقام الخير والنفع والجزاء والإنعام على الآخرين، كما ورد في

---

[49] إبن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ج 4، ص 27، دار صادر بيروت

[50] ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ج 12، ص 647، دار صادر بيروت

[51] الشيخ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص 443.

القرآن الكريم: فإذا خفت عليه فألقه في اليم.. (سورة القصص: 7)، ومن قول الله تعالى: ...أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم (سورة طه: 39)، وهما في مكان الخوف. وكذلك استعمل الله تعالى هذه الكلمة في مقام العقوبة، ومن قول الله تعالى: فانتقمنا منه فأغرقناه في اليم (سورة الأعراف: 136)، ويقول الله سبحانه وتعالى أيضا: فأتبعه فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم (سورة طه: 78) وغيرها عديد.

ولكن كلمة البحر، استعمله لدلالة البحر أكثر ذلك لسعة في الاستعمال العامة في النفع والنعم والنجاة والضر والإغراق في حادثة بني إسرائيل وفي غيرهم من الأقوام. وجدير بالذكر إن القرآن الكريم استعمل هذا اللفظ لإشارة إلى العلوم البحرية العديدة، وهذه العلوم التي اكتشفها علماء البحار في هذه الأيام فقط.

ومن استعمال اللفظ البحر للنفع والخير والإنعام في قوله سبحانة وتعالى: والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس (2: 164)، وكذلك يقول عن الضر، في قوله تعالى: وإذا مسكم الضر في البحر.. (17: 67)، وأما في موضع النجاة والإغراق، يقول الله سبحانه وتعالى: وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون (2: 50)، ومن هذا نفهم الفرق بينهما اليم والفرق، أي أن كلمة اليم استعملت في بني إسرائيل فقط، عادة للخوف والعقوبة ولا يأتي للنجاة والنفع والإنعام، أما لفظ البحر، هذا لفظ عام في بني إسرائيل وغيرهم وفي المدلول للنفع والنجاة والضر والإغراة وغيرها.

وكذلك يستعمل لفظ البحر في الحديثة للدالة على الماء المالح، أي من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، قد سأل رجل لنبي الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله إنا نركب البحر

ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا أفنتوضأ من ماء البحر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو الطهور ماؤه والحل ميتته[52].

فإذا نظرنا في الكلمات القرآنية عن البحر، وأحيانا وهي تدل على البحر المالح، ويستعمل لفظ الأنهار ليدل على المياه العذبة الكثيرة الجارية، ومن استعمال القرآن الذي يشير إلى البحر المالح، يقول الله تعالى: وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار (14: 26)

البرزخ بين البحار

من الموضوع الهام في علم البحار البرزخ يقول الله تعالى: "مرج البحرين يلتقيان، وبينهما برزخ لا يبغيان، فبأي آلاء ربكما تكذبان، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان"(55: 19-22) و"وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج، وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا"(25: 53).

ومن هذه الآيات نرى ثلاثة أشياء بارزة: وهي، مرج البحرين، البرزخ بين البحار، وحجرا محجور بين البحار.

أولا، مرج البحرين يلتقيان: مرج : قال ابن فارس : "مرج : الميم والراء والجيم أصل صحيح يدل على مجيء وذهابٍ واضطراب، ومرج الخاتم الإصبع : قلق ، وقياس الباب كله

[52] أخرجه أحمد الآيات المسند 237/2 ورواه الترمذي الآيات الطهارة ب/ ماء البحر أنه طهور، وابن الجارود الآيات المنتقى 23/1،

منه ومرجت أمانات القوم وعهودهم : اضطربت واختلطت، والمَرْج : أصله أرض ذات نبات تمرج الآياتها الدواب"[53].

ويقول ابن منظور في لسان العرب، وقد غلب على المالح حتى قلّ الآيات العذب. مرج: أصل المرج الخلط، والمروج: الإختلاط، يقال: مرج أمرهم اختلط، ومرج الخاتم في اصبع فهو مارج، يقال أمر مريج أي مختلط، ومنه غصن مريج مختلط[54].

إذا كا البحران لا يختلف أحدهما عن الآخر ليصير بحرا واحد، واللآية التي معنا تشير إلى اللقاء بين البحرين ولكن يفترق عن الآخر، ولكن الاختلاط بينهما الآيات الكلمة البحرية برهان على فروق بينهما مع صورتهما مالحيتن.

والآية السابقة أي أن البحرين متفرقان، وهي الآية تشير إلى حالة ذهاب وإياب واختلاط واضطراب الآيات منطقة اللقاء، تشير هذه الحادثة بكلمة 'مرج'، وهذا ما اخترعه العلم من صفة لحال البرزخ الذي يكون متنقلا ومتعرجا، الآيات تشير إلى الاختلاط بسبب المد والجزر والرياح.

وبسبب وجود الحجر فإن ماء البحرين المتجاورين يمتزج ببطء شديد، ومع ذلك لا يبغي أي بحر على الآخر بخصائصه، لأن الحجر في منطقة المياه العابرة لا تقلب من بحر إلى آخر، لتتمكن المياه المنتقلة بالتدريج حال البحر الذي ستدخله، تضيئ صفات البحر الذي دخل عليه بهذا لا يبغى بحر أو محيط على بحر أو محيط آخر بخصائصه، مع أنهما يمتزجان أثناء اللقاء.

---

[53] إبن فارس، معجم المقاييس اللغة، مادة مرج، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

[54] الراغب الإصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج2، ص 601، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز.

فسر أكثر المفسرين إلى أن البرزخ الذي يفصل بين البحرين المذكورين هو برزخ من قدرة الله.

وقد أشكل بعض من العلماء والمفسرين الاختلاط بين مياه البحار والمحيطات مع وجود البرزخ، وكلمة 'الحاجز' تقتضي منع الامتزاج، وأشار الامتزاج 'مرج' يقتضي عدم وجود الحجر أو البرزخ، أخيرا زال الإشكال في عصرنا هذا باكتشاف أسرار البحر على حقائقها بالعلم الحديث.

إذا سمع أحد منا هذه الآية فقط، يتصور أن اختلاطا وامتزاجا شديدا يجري بين هذه البحار والمحيطات يضيئها خصائصها الخاصة لها، ولكن الباحث الخبير يثبت الآية بعدها 'بينهما برزخ لا يبغيان'، يعني ومع حالة الاضطراب والاختلاط هذه التي توجد الآيات البحار، فإن البرزخ يحجز بينهما أن يتجاوز ويطغى حده.

وهذا ما فهم الإنسان بعدما ارتقى علومه وآلاته وأجهزته، فقد لاحظ ماءا ثالثا حاجزا بين البحرين يتفرق الآيات خصائصه عن خصائص كل منهما.

ظلمات البحر العميق

ومن موضوع البحر من القرآن الكريم ظلمات البحر، يقول الله تعالى: ‘أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذ أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله نورا فما له من نور’ (24: 40)

يقول ابن منظور في لسان العرب: "والظُّلْمَة والظُّلُمَة بضم اللام ذهاب النور وهي خلاف النور وجمعُ الظُّلْمةِ ظُلَمٌ وظُلُماتٌ وظُلَماتٌ وظُلْمات".[55]

ويقول أيضاً: "ولُجَّةُ البَحْر حيث لا يُدْرَكُ قَعْرُه، ولُجُّ البحرِ الماءُ الكثير الذي لا يُرَى طرَفاه". قال الله تعالى: في بحر لُجي، قال الفراء، يقال بحر لُجي ولِجي كما يقال سُخري وسِخري، ويقال: هذا لج البحر ولجة البحر. وقال بعضهم: اللجة الجماعة الكثيرة كلجة البحر، وهي اللج"[56]

ويقول: " غَشَّيْت الشيءَ تَغْشِية إذا غَطَّيْته" وفي حديث أم زرع: ولا تملأ بيتنا تغشيشا، قال ابن الأثير: هكذا جاء في رواية وهو من الغش، وقيل: هو من النميمة، والرواية بالمهملة، وقد غشه يغشه غشا، لم يمحضه النصيحة، وشيئ مغشوش".[57]

ويفسر الموج فيقول: "المَوْجُ ما ارتفع من الماء فوق الماء، والفعل ماج الموج، والجمع أمواج، وقد ماج البحر يموج موجا وموجانا ومؤوجا، وتموج: اضطربت أمواجه. وموج كل شيئ موجانه: اضطرابه[58].

---

[55] إبن منظور، لسان العرب، م 12، ص 377، دار صادر بيروت

[56] إبن منظور، لسان العرب، م 2، ص 354، دار صادر بيروت

[57] إبن منظور، لسان العرب، م 6، ص 323، دار صادر بيروت

[58] إبن منظور، لسان العرب، م 2، ص 370، دار صادر بيروت

وقد بين الراغب الاصفهاني في كتابه المفردات في غريب القرآن: يغشاه موج من فوقه موج، "وماج كذا يموج وتموج تموجا اضطرب اضطراب الموج"[59]، أو كظلمات في بحر لجي، "ظلم، الظلمة عدم النور وجمعها ظلمات"[60]، في بحر لجي، منسوب إلى لجة البحر، وما روي: وضع اللج على قفي"[61].

يقول ابن جرير الطبري: "وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار يقول تعالى ذكره: ومثل أعمال هؤلاء الكفار في أنها عملت على خطأ وفساد وضلالة وحيرة من عمّالها فيها وعلى غير هدى مثل ظلمات في بحر لجي، ونسب البحر إلى اللجة وصفاً له بأنه عميق كثير الماء، يَغْشَاهُ مَوْجٌ يقول: يغشى البحر موج.

مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ يقول: من فوق الموج موج آخر يغشاه.

مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ يقول: من فوق الموج الثاني الذي يغشى الموج الأول سحاب، فجعل الظلمات مثلاً لأعمالهم.

والبحر اللجي مثلاً لقلب الكافر، يقول: عمل بنية قلب قد غمره الجهل وتغشته الضلالة والحيرة كما يغشى هذا البحر اللجي موج من فوقه موج من فوقه سحاب، فكذلك قلب هذا الكافر الذي مثل عمله مثل هذه الظلمات يغشاه الجهل بالله ختم عليه فلا يعقل عن الله، وعلى سمعه فلا يسمع مواعظ الله، وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حجج الله، فتلك الظلمات بعضها فوق بعض"[62].

---

[59] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج 2، ص 411، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز

[60] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج 2، ص 377، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز

[61] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج 2، ص 617، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز

[62] ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، م 9، ص 335

ويقول القرطبي: "يَغْشَاهُ مَوْجٌ أي يعلو ذلك البحر اللجي موج، مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ أي من فوق الموج موج، ومن فوق هذا الموج الثاني سحاب"[63].

ويقول الشوكاني: "فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ اللجة معظم الماء، والجمع لجج وهو الذي لا يدرك لعمقه، ثم وصف سبحانه هذا البحر بصفة أخرى فقال: يَغْشَاهُ مَوْجٌ أي يعلو هذا البحر موج فيستره ويغطيه بالكلية ثم وصف هذا الموج بقوله: مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ أي من فوق ذلك الموج الثاني سحاب"[64].

ويقول البغوي: ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر، وبعضها فوق بعض أي ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج فوق الموج وظلمة السحاب على ظلمة الموج"[65].

وجاء في تفسير الجلالين: "أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ عميق، يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ أي الموج مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ أي الموج الثاني سَحَابٌ أي غيم، هذه ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ظلمة البحر وظلمة الموج الأول وظلمة الثاني وظلمة السحاب إِذَا أَخْرَجَ الناظر يَدَهُ في هذه الظلمات لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا أي لم يقرب من رؤيتها"[66].

---

[63] تفسير القرطبي 12/ 261.

[64] فتح القدير للشوكاني 4/ 58.

[65] تفسير البغوي 6/ 52.

[66] تفسير الجلالين 1/ 465

الأمواج الداخلية

كما قال الله تعالى في سورة النور: ‘..في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب..’ (24: 40)

إن الدراسات العلمية في هذه الآية، أن البحر أو المحيط اللجي يعلوه موج من فوقه موج يعني هناك إشارة في هذه الآية القرآنية إلى موجين يعلو ويرتفع أحدهما الآخر. كل من العلماء والباحثين يقولون كانت هذه الحادثة تعلم إلى وقت قريب أنه لا يعلم في البحار العميق إلا موج واحد، وفي هذه الآية الكريمة يثبت الله حقيقة علمية عالية في الدقيق، لم تكن تخطر ببال أو مبطل الأولين إذ ما زال عندهم من المعلومات والمعارف والمعدات وآلات التبصير، ما تصل لهم السبيل إليها، وفي القرآن الكريم أشار الله إلى بحر لجي عميق وقول تحت هذا البحر اللجلي موج يغشاه ويعلوه على موج آخر وهذا ما أثبته العلم الحديث.

وأشار القرآن الكريم أن في قاع البحر موج يغشاه ويرتفع، من قول الله تعالى: أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج..، أشارت هذه الآية إمكانية موج في البحر العميق، وذكرت الآية حضور موج فوق الموج الأول، ومن قوله تعالى: يغشاه موج من فوقه موج..، وهذه قدرة للبحر التي أعطى الله له، وهي: الأول، حضور الموجين في وقت واحد، والثاني الموج الثاني فوق الموج الأول، والثالث، ليست أمواجا متتابعة، وإشارة إلى ذلك أن ارتفاع الموج الثاني على الموج الأول في وقت واحد، كارتفاع السحاب على الموج الثاني.

أشارت هذه الآية أيضا حضور موج يغشى على البحر العميق، ويغطيه على الموج الأول كما ذكرت حضور موج ثان على الموج الأول، وهذا الحكم يلزم حضور بحر فوق الموج الأول في أبحر العميق، أي هذا هو البحر السطحي الذي يرتفع الموج الثاني، وفوقه السحاب.

إن الأمواج الهوائية أي الرياح والعواصف سببها الاختلاف والافتراق في درجة الحرارة، ونرى أيضا التيارات والجزر والمد على سطح البحر، وسببها التفريق في الجاذبية يعالمها القمر في الليل والنهار، ونفهم بأن الأمواج التي نجد في سطح البحر سببها تيارات الرياح.

إن الأمواج والتيارات العميقة الشديدة في قاع المحيطات والبحار والتي تكثر على عمق البحار عدة كيلومترات، يتضح كذلك بمختلف العوامل والعناصر التي تسبب هذه الأمواج والتيارات القوية الشديدة مثل الحرارة والذوبان الجليد أي الثلوج. وهذا ما يشيره العلماء بدورة المحيط العميق. ويحدث هذه التيارات والأمواج العميقة على عمق 4 كيلو متر تحت سطح المحيط كما يشاهد العلماء في الشكل. لا يمكن للإنسان أن يصل إلى هذا العمق بواسطة متطورة جدا.

إن الأسباب لهذه الأمواج المائية في أعماق البحار والمحيطات هي التفريق في درجات الحرارة والكثافة بين المياه السطحية وبين المياه العميقة، والتفريق في درجة الملوحة كذلك، أو التفريق في الكثافة من جزء آخر على داخل البحر. وهذه التفريقات تسبب أمواجا مائية مستمرة الحركة، وهذه الأمواج والتيارات العميقة تنتقل عبر مياه المحيط على شكل الأمواج السطحية

ومن ناحية علمية نرى أن تسمية القرآن الكريم دقيقة جدا، ونفهم في هذا العصر الراهن اختلاط يحدث في الماء سوف يتكون الماء على صورة الأمواج، سواء على سطح الماء أو في أعماقه، وهذا مفهوم لمن درس هذا العلم بخاص، ومن هذا يمكن لنا أن يرد منتقدى القرآن والقائلين بأن الأمواج المائية العميقة تتفرق عن الأمواج العميقة، لأنها في الحقيقة أمواج مائية هو نفسه الموجة المائية.

إذا كشفنا كلمة ‘موجة’ وهذا أدق لفظ من الناحية العلمية من كلمة ‘تيار’، لأن التيار يرد الصفة العامة، وحينما الموج تعبر عن حقيقة ما يحدث، تحرر كذلك عن شكل هذه الصورة

أي التيار الذي يحول بها من نقطة لأخرى. ومن الفرق بين الموج والتيار، التيار المائي هو مصطلح عن حركات لجزئيات الماء وتتحول من نقطة لأخرى على صورة أمواج بسرعة شديدة ومحددة. وقد تسبب هذه الأمواج مشكلة ومسألة للغواصات والباحثين وقد تسبب غرقها.

البحر المسجور

المسجور فهو من الفعل 'سجر'، والمسجور هنا بمعنى المشتعل والموقد، ويذكر ابن فارس أن سجر لها ثلاثة معانٍ، وهي المَلء، والمخالطة، والإيقاد[67]، وبعض من العلماء يقولون عن البحر المسجور هو البحر او المحيط الذي امتلأ بالنار، يقول ابن منظور في لسان العرب، سجره يسجره سجرا وسجورا وسجره ملأه، وسجرت النهر ملأته.

وفي آيات الله تعالى: وإذا البحار سجرت (81: 6)، شرحه ثعلب، ويقول: ملئت، وكذك قال ابن سيده: ولا وجه له إلا أن تكون ملئت نارا، ومن قول الله تعالى أيضا: البحر المسجور (52: 6)، جاء فيه، أن البحر يسجر فيكون نار جهنم، وسجر يسجر وانسجر يعني امتلا.

يقول عن هذه الآية علي بن أبي طالب: المسجور بالنار يعني مملوء. والسجر إيقادك في التنور، يعني تسجره بالوقدود سجرا، وإذا السجور اسم الحطب، وسجر التنور وكذلك يسجره سجرا أي أوقده وأحماه.

وقيل أَشبع وَقُودَه، والسَّجُورُ ما أُوقِدَ به، والمِسْجَرَةُ الخَشَبة التي تَسُوطُ بها فيه السَّجُورَ "[68].

---

[67] أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، م 3، ص 134، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

[68] إبن منظور، لسان العرب، م 4، ص 345، دار صادر بيروت

ويقول الزبيدي: "والمَسْجُورُ: المُوقَدُ، وقال الحَسَن البَصْريّ أَي أَضْرِمَت ناراً"[69]، ويقول الراغب: "السجر: تهييج النار، يقال: سجرت التنور، ومنه: والبحرِ المَسْجُورِ[70].

لقد فسر عدد من المفسرين البحر المسجور بأنه البحر الذي يتقد ناراً، وأنه بمنزلة التنور المسجور، قاله مجاهد والضحاك وابن زيد وشمر بن عطية ومحمد بن كعب والأخفش[71]، وشرحه الشيخ الشوكاني يتحدث عن هذه الآية: والبحر المسجور يعني الموقد من السجر، وهو إيقاد النار في التنور.

وبعض من العلماء هم يفسرون أن البحار تسجر يوم القيامة فتكون نارا مشتعلا، وقيل المسجور المملوء، وكذلك يقال إنه من أسماء الأضداد، وقيل بحر مسجور: يعني فارغ، وقيل المسجور الممسوك ومنه ساجور الكلب لأنه يمسكه.

ويقول الشيخ أبو العالية: المسجور الذي ذهب ماؤه، وقيل المسجو المفجور، ويقول الشيخ الربيع بن أنس: هو الذي يختلط فيه العذب بالمالح. والأول أولى، وبه قال مجاهد والضحاك ومحمد بن كعب والأخفش وغيرهم"[72].

وذكر بعضهم أقوالاً أخرى، فقالوا: أنه بمعنى الممتلئ[73]، وقيل أنه بمعنى الذي قد ذهب ماؤه، وقيل المحبوس[74].

---

[69] تاج العروس للزبيدي 1/ 2923-2924.

[70] مفردات القرآن للراغب الأصفهاني 1/ 656.

[71] تفسير الطبري 11/ 482

[72] فتح القدير للشوكاني 5/ 134.

[73] تفسير الطبري 11/ 482، وتفسير ابن كثير 4/ 305، وتفسير القرطبي 17/ 55، وتفسير البغوي 1/ 386

[74] تفسير الطبري 11/ 482.

ومن أسباب التعدد هذه المعاني هو أن درجة المفسرين في هذا العصر كانت تستبعد حضور النار في بحار الدينا، لتحولات اجتماع الماء والنار في مكان واحد، فإذا ذهبوا وفكروا إلى معان جديدة لفعل 'سجر'، وفي العلم خاصة في عصرنا الراهن أن المراد الأكثر استعمالا هو الإيقاد.

ويقول المفسر الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: والبحر المملوء المجموع ماؤه بعضه لآخر، ومن الأغلب من المعاني للفظ سجر: هو الإيقاد، كما قيل سجر التنور أي أوقده أو الامتلاء على ما وصفت.

فإذا كان ذلك الأغلب من معاني السجر وكان البحر غير موقد اليوم، وكان الله تعالى ذكره واضحا بأنه مسجور فبطل عنه إحدى الصفتين وهو الإيقاد صحت الصفة الأخرى التي هي له اليوم وهو الامتلاء لأنه كل وقت ممتلئ"[75].

وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن معنى قوله تعالى: "فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ(40: 72) معناها يحرقون في نار جهنم[76].

[75] تفسير الطبري 11/ 482.

[76] تفسير الطبري 11/ 78، وفتح القدير 4/ 714، وتفسير البيضاوي 1/ 101

تسخير البحر لتجري الفلك فيه

قال الله تعالى في القرآن الكريم: الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره، ولتبتغوا من فضله، ولعلكم تشكرون(45: 51)، وإن آياته في مجال تسخير البحار: "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا"(17: 70) "وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون"(36: 41)، "وخلقنا لهم من مثله ما يركبون"(36: 42) والآية الثالثة تشير إلى فلك نوح عليه السلام الذي حمل فيه المؤمنين ومن كل زوجين اثنين.

يقول ابن منظور: "ويقال: سخرته بمعنى سخرته أي قهرته. ورجل سخرة: يسخر في الأعمال ويتسخره من قهره، وسخرت السفينة: أطاعت وجرت وطاب لها السير، والله سخرها تسخيرا. والتسخير: التذليل. وسفن سواخر إذا أطاعت وطاب لها الريح"[77]

'سخر' السين والخاء والراء أصل مطرد مستقيم يدل على احتقار والتذلل. من ذلك قولنا سخر الله عز وجل الشيئ، وذلك إذا ذلل لأمره وإرادته. ويقال سفن سواخر مواخر، فالسواخر: المطيعة الطيبة الريح، والمواخر: التي تمخر الماء تشقه"[78]

سخر: التخير سياقة إلى الغرض المختص قهرا، قال تعالى: وسخر لكم مافي السماوات وما في الأرض[79].

قال المفسر الإمام ابن كثير رحمه الله: "'وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ' أي في البحر وإنما سيرها بالريح'وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ' أي في التجارات والمعايش والسير من إقليم إلى إقليم وقطر إلى

---

[77] ابن منظور، لسان العرب، م 4، ص 354، دار صادر، بيروت

[78] أحمد فارس بن زكريا، معجم مقياس اللغة، م 3، ص 144، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

[79] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، م 1، ص 300، مكتبة نزار مصطفى الباز

قطر ‘ولعلكم تشكرون’ أي تشكرون الله على ما أنعم به عليكم من النعم الظاهرة والباطنة التي لا تعد ولا تحصى"[80].

وقال المفسر القرطبي رحمه الله: "وإنما زاد ‘بِأَمْرِهِ’ لأن الرياح قد تهب ولا تكون مواتية فلا بد من إرساء السفن والاحتيال بحبسها وربما عصفت فأغرقتها بأمره"[81].

ولعل في قوله تعالى: "وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ"(55: 24)، إشارة إلى هذه السفن الضخمة التي يبنيها الإنسان بارتفاعات عالية، وبأحجام واسعة، فمعنى ‘الْمُنْشَآتُ’: المرفوعات التي رفع بعض خشبها على بعض وركب حتى ارتفعت وطالت حتى صارت في البحر كالأعلام وهي الجبال، والعلم: الجبل الطويل[82].

وكلمة ‘المنشآت’ تدل على وجود تصميم هندسي محدد، ثم تأتي كلمة كالأعلام، يعني كالجبال، ويقرر على الضخامة والثبوت والارتفاع وكبر الحجم وغيرها، وهذا ما نشاهده حقا في هذه الأيام في الناقلات السفن وحاملات الطائرات، وهذه تحمل وحمولتها ربع مليون طن في وقت واحد، معنا على هتك القرآن لأسرار الكون والمخلوقات، والكشف الحقيقي والواضح ستجد في المستقبل، في حين أن القرآن قد نزل من ألف وأربعمائة سنة.

يخرج من البحر اللؤلؤ والمرجان

يقول الله سبحانة وتعالى: "يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان"(55: 22)، "وما يستوي البحران هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج، ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها، وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون"(35: 12)، وهو الذي سخر

---

[80] تفسير ابن كثير،3/ 578

[81] تفسير القرطبي،14/ 40

[82] فتح القدير،5/ 190.

البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون"(16: 14).

اللؤلؤ والمرجان: يقول ابن منظور في لسان العرب: لألأ: اللؤلؤة: الدرة، والجمع اللؤلؤ وللآليء، وبائعه لأآء، ولأآل، ولألاء. وتلألأ النجم والقمر والنار والبرق، ولألأ: أضاء ولمع[83].

والمرجان، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، المرجان صغار اللؤلؤ، واللؤلؤ اسم جامع للحب الذي يخرج من الصدقة، والمرجان أشد بياضا، ولذلك خص الياقوت والمرجان فشبه الحور العين بهما، وهو جوهر أحمر يقال إن الجن تلقيه في البحر[84]. المرجان: قال ابن الجوزي: "وحكى القاضي أبو يعلي أن المرجان ضرب من اللؤلؤ كالقضبان وروي عن الزجاج[85]، قوله: المرجان أبيض شديد البياض". وقال ابن مسعود عنها: المرجان الخرز الأحمر . ونقل أبو حيان، عن بعضهم أن المرجان هو الحجر الأحمر[86].

وقال الألوسي: وأظن أنه إن اعتبر الآيات اللؤلؤ معنى التلألؤ واللمعان، والآيات المرجان معنى المرج والاختلاط فالأوفق لذلك ما قيل ثانياً آياتهما[87]، يعني: أن اللؤلؤ ما عظم منه والمرجان اللؤلؤ الصغار .

---

[83] ابن منظور، لسان العرب، م1، 150، دار صادر بيروت

[84] ابن منظور، لسان العرب، م 13، ص 406، دار صادر بيروت

[85] إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، نحوي لغوي مفسر، من كتبه "معاني البحرية" توالآيات عام 311هـ .

[86] محمد بن يوسف بن علي بن ابن حيان الغرناطي الجياني ، نحوي مفسر له تآليف منها البحر المحيط الآيات، البحر المحيط

[87] محمود بن عبدالله محمود الحسيني الألوسي، روح المعاني.

ويقول الإمام القرطبي: "وقيل المرجان عظام اللؤلؤ وكباره، قاله علي وابن عباس رضي الله عنهما، واللؤلؤ صغاره، وعنهما أيضاً بالعكس أن اللؤلؤ كبار اللؤلؤ والمرجان صغاره وقاله الضحاك وقتادة"[88].

لؤلؤ، جمع لآلئ، وتلألأ الشئ لمع لمعن اللؤلؤ، وقيل لا أفعل ذلك ما لألأت الظباء بأذنابها[89]. والمفهوم عن هذه الآية، أن اللؤلؤ والمرجان، وهو نوع من الزينة، وله ألوان مختلفة ويوجد كبيرا وصغيرا، غالبا أن المرجان يكون صغيرا كاللؤلؤ أو الخرز، وهناك حرف عطف وهذا يقتضي المغايرة بينهما. والمرجان لا يوجد إلا الآيات البحار المالحة.

وهناك رأي آخر، وأشير إلى هذا أيضا، والآيات السابقة رأينا دقائق الأسرار التي كشف عنها العلم العديث، وهي تشير اللقاء بين البحار المالحة، ودليله، أن الآية أطلقت البحرين دون قيد، فبرهن ذلك أن البحرين مالحان، وكذلك بينت الآيات سورة الرحمن التي أن البحرين يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، قد أشار إلينا أن المرجان لا يكون إلا في البحار المالحة، فبرهن ذلك أن الآية تشير عن بحرين مالحين، أي يخرج من كل منهما.

لحوم البحر

يقول الله تعالى في القرآن الكريم عن لحم البحر: أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة (5: 96)، وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون(16: 64)، إن الآية الأولى بيان لحل صيد البحر للإنسان وطعامه، وقد أباح تمتيعا للإنسان كافة، لأن قوله 'متاعا لكم'

[88] القرطبي، الجامع لأحكام البحرية .

[89] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، م 2، ص 589، الناشر مكتبة نزار مصطفي باز.

مفعول له خاص بالطعام والتمتيع، أي أحل الله لنا طعامه لذيذا للمقيمين منا يأكلونه طريا، وسخر الله لنا البحر للسفر، كما جهز الله لموسى عليه السلام الحوت سفره إلى الخضر عليهما السلام[90]. وفي تبيين المتعة دليل على أهميته الغذائية والعلاجية في الأسماك، إذ لا يشعر بالمتعة مريض أو ضئيل، والآية 14 من سورة النحل، تثبت ذلك حيث مدح الله سبحانه وتعالى لحم البحر بوصفه بالطري، لتسهيل مضغه وتناوله، ومنها لفت للأنظار إلى ذلك التحريض على تناوله.

"لحما طريا"، أي غضا جديدا من الطراء والطراوة، يقال: طريت كذا فطرى، ومنه المطراة من الثياب، والاظتراء مدح يجدد ذكره وطرأ بالهمز طلع"[91]

طرى: الطاء والراء والحرف المعتل أصيل صحيح يدل على غضاضة وجدة. فالطري: الشيئ الغض، ومصدره الطراوة والطراءة. ومنه أطريت فلانا، وذلك إذا مدحته بأحسن ما فيه"[92].

تشير الدراسات الحديثة إلى الفائدة الكبيرة من التناول المعتدل للسمك، فتناوله مرة في الأسبوع جيد للدماغ، ويبطئ من تأثير الشيخوخة. كما أن الحمية الغنية بالسمك تساعد على إبقاء المخ نشيطا. كما كشفت بعض الدراسات أن الأشخاص الذين يتناولون السمك، انخفضت لديهم مخاطر الإصابة بمرض الشيخوخة أو الزهايمر فضلا عن الإصابة بالسكتة الدماغية[93].

---

[90] على الطنطاوي، الكشاف، تفسير الآية 96 من سورة المائدة

[91] الراغب الإصفهاني، المفردات في غريب القرآن، م 2، ص 396، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز.

[92] أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج3، ص 225، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

[93] صحيفة الرياض، مقالة 274247، 22-07-2007.

كذلك من خصوصيات البحر طهارة ماءه وحلال ميتته، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول عن البحر، هو الطهور ماءه الحل ميتته، فما يوجد منه من السمك وغيره طعالم للصغار وللكبار، وإن الله سبحانه وتعالى قد أحل اصطياد السمك بالوسائل المتاحة، وإن كان الصياد محرما، وكل ما يستخرج من البحر حلال بنص الآية القرآنية والحديث النبوي الشريف.

الباب الثالث

تحليل علمي للآيات القرآنية على علم البحر

الفصل الأول: تحليل علمي للآيات القرآنية عن علم البحر

- الفصل الثاني : المقارنة بين المصطلحات البحرية في القرآن الكريم والعلم الحديث

الفصل الأول

تحليل علمي للآيات القرآنية عن علم البحر

في هذا الباب نناقش عن الأشياء المهمة التي وردت في القرآن الكريم من الآيات البحرية، المتعلقة بعلم الحديث. وقد اكتشف العلوم حقائق كثيرة عن عالم البحار في عصرنا الحاضر بمساعدة الأجهزة الحديثة والتكمنولوجيا الدقيقة. ونحن نقارن في هذا الباب المعلومات الثابتة بالمكتشفات الحديثة بالمعلومات القرآنية كالبرزخ بين البحار، والظلمات في البحر العميق، والأمواج الداخلية وغيرها.

أسلوب القرآن في الألفاظ العلمية

وقد تضمن القرآن الكريم على أفصح الكلمات العربية وأعذبها، و'إن هذه الكلمات واستعمالها إن كانت معهودة لدى العرب قبل الإسلام وبعده، ولكن استعمال القرآن الكريم قد فاق على كل كلامهم وعلا علوا بليغا، ومن هذا من حسن السبك وروعة التأليف. وقد تجلى الكلمة في وصفه وتتعلق في جمالها، لاستعمالها مع ما حولها. لألفاظ القرآن الكريم خصوصية كبيرة في سموه فوق أسلوب التعبير الأخرى، وتعتمد هذه الكلمات القرآنية على اعتبارات لم تتحقق لغيرها، ولذا لم يقتصر النظر إليه من جهة واحدة، بل يلاحظ الباحث أمامه مجالا فسيحا حين يبحث في دراسة ألفاظ القرآن[94].

[94] د/ عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، م 1، ص 245، مكتبة وهبة، مصر

وبهذا السبب لا نجد في القرآن الكريم أية كلمة معيبة من حيث الصورة أو الاستعمال، وكذلك لا نجد فيه أية كلمة قلقة مضطربة أو استبدالا في موضعه، إلى آخر تلك المعيبات التي يرددها خبراء الأساليب ونقاد الشعر.

ومعنى بسلامة اللفظ القرآني من العيوب، أن الألفاظ القرآنية منقادة ومختارة لم يبلغ إليه أي لفظ فيه حيثما اتفق، بل هذا تدبير حكيم عليم، وإلى جانب آخر اختيار اللفظ القرآني من حيث صورة اللفظ نفسه، ومن حروفه وحركاته وسكناته، فالقرآن يثبت استخدام الألفاظ القصار الثلاثية من أصله، والرباعية من أصله، والثلاثية الأصول فيه أوفر عددا من الرباعيةِ[95].

وتتحقق هذه الصفة بأن القرآن يعتمد إلى تحسين ما قد تعاب من الكلمة، إذ دعا داع بلاغي لورودها فيها، ولذا نرى في القرآن الكريم كلمات تشهد الذوق بجمالها لأنها حسنت ووضعت وضوعا محكما فيها، وبينما نجدها في غيره معيبة شاذة، وهذه المعيبة بشهادة النقاد أنفسهم فقط، وليس ذلك مجاملة منهم للقرآن الكريم لما له من قداسة، بل في سبيل أسباب فنية وأوضحها ووجهوا إليها الأنظار[96].

إن الحركات النحوية والصرفية هذه هي مظاهر تهذيب الألفاظ في القرآن الكريم، تسير في الوضع والتركيب مسيرة الحروف والألفاظ فيها يقرر لها من أمر الفصاحة، وإذ ينتبه بعضها

---

[95] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن، م 1، ص 260 ، 261

[96] د/ عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، م 1، ص 246، مكتبة وهبة، مصر

لبعض، ويمهد له، حتى أن الحركة الثقيلة من أسباب الثقل المعروفة تعذب وتستساغ في التركيب القرآني[97].

علم البحر في العصر الحديث

إن علم البحار علم حديث يعنى بمختلفِ ظواهر عالم البحارِ. وبالرغم من أنّ الإنسانَ الأول كان على صلة قوية مع الأنهار والبحارِ إلا أنه لم يجاوز فهم هذا الميدان فهما علميا دقيقا. كانَ اهتمامُه منصبا على التعرفِ على أشياء الأرضِ التي يعيش عليهَا، وعلى ما يحاول به من أمور أخرى سهلة المنالِ.

وقد أشار الفلاسفةُ الأوائل قبل عهد المسيحِ عليه السلام بعض الأفكار عن الظواهر الطبيعية والكونية إلا أنهم لم يتطرقُوا إلى فهم البحارِ. ومع ذلك أن المفاهيم القديمة عند القدماء قد حاولت بعض أسس العلومِ الحديثة. إلا أنه لا توجد إشارة عن القيامِ بأية محاولة لإدراك أسرار البحارِ، إلا بعض الجهود والاجتهاد حول الملاحة لتسهيل أمر سفرهم ورحلاتِهم البحريةِ وتجنب مخاطِرها.

التاريخ يحدث لنا أنّ العرب والفرس بعد ظهور الإسلامِ كانت لهم محاوَلات علمية في مجالِ علم البحار، ويذكر العالمُ الجغرافي ابن خرداذبة سنة 232هـ-846 ميلادية في كتابِه 'المسالك والممالك' أنّ الملاحين العرب والفرس في بحرِ العرب على علم، بأنّ التيارات تعكس اتجاهها هنَاك مرتين في السنةِ. وبعد مرور مائةِ عام وصف المسعودي في موسوعتِه 'مروج الذهب ومعادن الجوهر' حَركات المحيط في جنوب بحرِ العرب قائلاً: "إنّ البحر الحبشي يمتَد

[97] د/ عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، م 1، ص 249، مكتبة وهبة، مصر

من الشرق إلى الغربِ على طول خط الاستواءِ، وإنّ التيار يتغير في معظم أنحاءِ هذا البحر عندَما تتغير الرياح الموسمية"[98].

ويحدث التاريخ أيضا أنّ ابن ماجد قد تجمع علومه عن بحر العربِ حوالي أربعين كتابا، تتضمن وتشير إرشَادات ملاحية، وكان ملما بدورة الرياح في جنوب خط الاستواء وشماله، وكذلك كيفية إبرة ولسع البوصلة على قرص في صندوق تضم دورة الرياحِ، كما كان يتحدث في كتاب 'فصول الملاحة في المحيط الهندي'.

وفي القرن الخامس عشر إلى الثامن عشر، أقام الكثيرون من رحلاتهم حول العالم، ولكنهم لم يجاووا ولم يحاولوا توسيع دائرة معارفهم العلمية عن البحر.

وبعد ذلك حاولت السفينة البريطانية 'تشانجر' برحلاتها حول العالم ما بين 1872 – 1876 م، وبدأ أن يأخذ علم المحيطات مكانة بين سائر العلوم، ثم استمرت الرحلات العلمية لاكتشاف أسرار البحرية.

من الطبيعي جدا، كان العرب بمعرفة البحر قليلة أو سطحية أو حتى معدومة، سببها أن الكثيرة منهم لم تشاهد البحر أبدا، إلا التجار، هم الذين كانوا يسافرون بين المراكز التجارية في داخل الجزيرة العربية أو خارجها، أو ما بين الشام واليمن، أي رحلة الشتاء والصيف.

وقد يزداد عجبنا إذا فهمنا أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لم ير البحر في حياته قط، ولهذا السبب لما نزل القرآن الكريم عليه، كان البحر ذكر هام فيه، وتبيين مفصل لمنافعه وثرواته ومزاياه ودوره في الحياة، كما عرض لأهواله وعواصفه ومخاطره من جهة أخرى.

[98] أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، دار الفكر، بيروت

وفي القرآن الكريم أسماء مباشرة للبحر، وكذلك أسماء غير مباشرة، ومن الأسماء المباشرة يستعمل القرآن بحر ويم، اعتاد الناس عليها، ومن أسماء غير مباشرة، لها علاقة قوية بالبحر، أو دالة ثابتة عليه. في العلم اللغوي، أن بعض الأسماء يتغير معناها من مواضع مختلفة حسب موقعها والمناسبة التي أنزلت عليها. وقد يسمى العرب كلمة بحر على كل مجموع مائي كبير وواسع كالمحيطات والبحار والأنهار والبحيرات، قد أشار القرآن الكريم هذه التسمية كلها على كل من البحر والنهر.

البحر، أحيانا يكون ساكنا وادعا، مريحا للنظر والنفس، ومصدرا للكسب والرزق، وسبيلا آمنا للنقل والسفر والسياحة، ومنبعا للمنافع والفوائد والخيرات، ولكن يكون أحيانا، هائجا ثائرا متلاطما الأمواج الشديدة، ويصور مصدرا للغرق والخطر والهلاك، وفيه من العواصف والأهوال والأنواء ما تشيب له الرؤوس، وتبلغ به القلوب والحناجر.

وبتغيير أحواله من حال إلى حال، أن قدرة الله وعظمته تتجلى للعباد دائما عند غضبة البحر وهياجه واضطرابه، وسحبه الكثيفة وبظلماته الدامسة، وأمطاره الغزيرة، حتى رأى الناس كل هذا فهموا إنه لا مأوى لهم ولا منقذ لهم إلا الله سبحانه وتعالى، وبهذا الحال تراهم يلتجئون إليه بالتضرع والدعاء وكثرة الصلاة، أشار الله إلى هذا في القرآن الكريم: حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتهم ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين (سورة يونس: 22)

هذا هو البحر الواسع العميق، والذي لا يستطيع أن يحيط به العقل البشري، عن اتساعه وعظمته بالنسبة للبشر، يشير الله مثلا عن قصوره عن الإحاطة بكلمات الله، لو كان البحر

حبرا، من قول الله تعالى: قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا (سورة الكهف: 109)

وفي موضع آخر، يؤكد الله هذا متحديا البشر، ودليلا على عظمته وقدرته: ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله (سورة لقمان: 27)، هذا هو، بكبير الحجم وضخامته لو أنه انفلق في بحر صغير بوسعته، كالبحر الأحمر، ليست المحيطات، لكن كل فرق فيه كالجبل العظيم وذلك في قوله تعالى: فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (سورة الشعراء: 63).

وهذا البحر، علم مستقل بذاته، علم مليء بمخلوقات الله كثيرة وعجبية ولا تحصى ولا تعد. ومنها ما يعرفه الإنسان ومنها مالم يعرفه بعد، وربما سيعرف أشياء وأشياء عن أسرار المجهولة ومعارفه وكنوزه المغيبة في المستقبل.

البرزخ بين البحار

ففي قولِه تعالى: وهو الذي مرج البحرينِ هذا عذب فرات وهذا ملحٌ أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجوراً (25:53)، وهذه تصوير لنظام المصب وغيره، وتبيين لامتزاج الماء البحر والماء العذب، وأن منطقة الامتزاج محددة ومحمية ببعض القيود والمخلوقات على ما يخرج منها ويدخل إليها. وقد كشف العلم الحديث على خواص المصب كذلك، كما برهنت علوم الأحياء الحديثة عنها أي أن هذه المنطقة هي منطقة معينة محصورة يعيش فيها بعض الحيوانات الخاصة بهذه البيئة.

ومن قول الله تعالى أيضا: مرج البحرين يلتقيان وبينهما برزخ لا يبغيان (سورة الرحمن: 19،20)، وفي هذه الآية أشار الله على البحرين يلتقيان، لا يختلطان ولا يمتزجان بعضها إلى الآخر بنتيجة اختلاف خصائصهما. المفهوم من العلم الحديث، أن لكل بحر ومحيط ونهر وبحيرة وأي مجموعة مائية، لها كثافة معينة لا تتغير، وكذلك أن له درجة ثابتة للملوحة ودرجة حرارة ثابة، وله لون لا يتغير حتى في حال التقائه مع مياه بخصائص مميزة فذرات كل منها لا يندمج بعضها لبعض.

إن البرزخ أي الحاجز أوالحدّ بين الشيئين وقيل أصله برزه فعرب، البرزخُ جمع برزخ، وقولُ الله تعالى: بينهما برزخ لاَ يبغيان، أي حاجزًا من قدرة اللهِ وتعالى، وقيلَ: أي حاجز خفي أي حاجزًا، قال: البرزخ والحاجزُ والمهلة متقاربات في المعنَى، وذلك إنك تقول بينهما حاجز أن يتزاورَا، فتنوي بالحاجزِ المساقة البعيدة، وتنوِي الأمر المانع مثل اليمينِ والعداوة، فصار المانع في المسافةِ كالمانع من الحوادث فوقع عليها البرزخُ[99].

إن العلوم الحديثة قد اكتشفت أن البحار رغم أنها تظهر متماثة إلا أن هناك تغيرات كبيرة بين كتلها المائية، وفي المكان الذي يلتقي فيها بحرين مختلفين يشاهد برزخ بينهما. هذا البرزخ يفصل البحرين بحيث أن لكل بحر له كثافته وملوحته وحرارته الخاصة بِه[100]. الحاجز الذي تشير عنه الآيات هو مكان التقاء البحرين حيث إنه مماثل بجدار وهمي حين تصله المياه وذراتها ترتد وولا تختلط مع مياه البحر الأخرى رغم تماوجهما وتداخلهما.

قد فهم الإنسان للبحر عن طريق الأقمار الصناعية والتصوير في نهاية القرن العشرين، وبعد ذلك يشهد التطور التاريخي في مجال علم البحار بعدم وجود معارف دقيقة عن البحار،

---

[99] ابن منطور، لسان العرب، م 3، ص 8، دار صادر بيروت

[100] دايفس، أسس علم البحار، صفحة 92-93.

قبل 1400 سنة، أشار القرآن الكريم إلى هذه الأشياء واضحة، نزل القرآن الكريم على رسول أمي في أمة أمية، في صحراء جزيرة العرب، ومع ذلك لم ير هذا الرسول البحر أبدا في حياته، ومع ذلك، قد زخر القرآن الكريم بذكر أشياء عديدة عن أسرار الكون التي فهم الإنسان بعضها في عصرنا الحاضر. إن هذا الكون مكان مليء بالأشياء التي يصعب تفسيرها في البداية، ولكن البشرية تكشفها وتحللها وتناقشها يوما بعد يوم، ومن هذه الأشياء التي عجزت البشرية عن تفسيرها لعقود طويلة.

وأول من انتبه في هذا المجال، ولاحظ عن وجود مائي بين المياه العذبة وبين المياه المالحة، هو العالم الهولندي المشهور غيبن Baden–Ghyben في سنة 1888 م، والعالم البحري الألماني هيرزوبيرغ Herzberg في سنة 1901 م. ولقد استطاع للعالمين وبشكل مستقل من اشتقاق صلة معددة عمق الحاجز عن سطح البحري، ولهذا سميت العلاقة بإسمهما وهي علاقة غيبن – هيرزبيرغ (Ghyben Hezberg relation)[101].

فبين مياه المحيط الأطلسي بذي الباردة والأقل كثافة حواجز عند دخولها إلى مياه البحر أبيض المتوسط الساخنة والمالحة. كما تشاهد مثل هذه الحواجز بين مياه خليج عدن ومياه البحر أحمر، وهذا الذي يصل العلم الحديث إليه في القرن الماضي، هو صريح البيان القرآن كما قال تعالى: مرج البحرين يلتقيان، يتحدث القرآن الكريم عن البحرين المالحين المختلفين، وإن علماء التفسير يدلون ما ذكره من أن لفظ 'بحر' إذ يستعمل القرآن الكريم دون تقييد فهو

[101] Salt water Intrusion, Johson. Teddy, Battling sea water in the central and west coast basins, 2007.

ماء البحر المالح، إنه لو كان البحران متماثلين لكانا بحرا واحدا، وذلك الاختلاف بينهما في اللفظ القرآني بدلالة علمية دقيقة، على وجود تفريق بينهما مع كونهما مالحينِ[102].

قد تبينت الظاهرة التي تناقش عنها الآيات القرآنية السابقة في عدة مواقع منها تلتقي مياه المحيط الهندي مع مياه البحر الأحمر في مضيق باب المندب، ومياه البحر الأسود مع مياه البحر الأبيض المتوسط في مضيق البسفور، كما تلتقي مياه المحيط الأطلسي مع مياه البحر الأبيض في مضيق جبل طارق.

وكذلك مرج البحر هي حادثة كونية عجيبة وصفت في القرآن الكريم قبل مئات السنين، أكمل اكتشافها من قبل العلماء في أواخر القرن العشرين، ومن دراستهم، يعتبر مرج البحر نقطة التقاء الماء المالح والماء العذب في المحيطات والبحار، وقد أقر العلماء بأن هذا الطبيعة الفيزيائية لكل من الماء العذب والماء المالح تمنعها كليا من الامتزاج على الآخر. وفي حين لا يستطيع للعين أن يفهم نقطة انفصال الماء العذب عن الماء البارد إلا إنه تم تعيين مكان حضورها بناء على أبحاث ودراسة كيميائية وفيزيائية شتى.

يثبت مرج البحر في مياه المحيطات والبحار عند وجود التقاء المياه العذبة مع المياه المالحة، كما يوجد في عند مرج البحر المياه الجوفية ومياه الأنهار والينابع مع مياه البحر المالحة. وتكون على صورة حاجز وهمي يقسم المياه المالحة عن المياه العذبة ويمنع امتزاجهما واختلاطها على الآخر. والغاية من ذلك الحكمة الربانية للحافظة على معدل المياه العذبة على

[102] يوسف الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ص 448، مكتبة دار ابن حجر، دمشق

الأرض التي تشابه 3% من نسبة المياه القائمة على الأرض، والتي تصور في المياه الجوفية والأنهار والثلوج والبحيرات والينابيع الصغيرة وختى بخار الماء في الجو[103].

تشكل تفريق كثافة المياه المالحة عن المياه العذبة السبب الرئيسي المانع لالتقائهما، حيث تصل كثافة المياه المالحة 1.025 غم، سم مكعب، والتي ترتفع عن كثافة المياه العذبة بنسبة 40 غم، سم مكعب، وبناء على ذلك وجد الباحثون بأن عمق الخط الفاصل بين المياه العذبة والمياه المالحة في عمق سطح الماء يساوي أربعين ضعف ازدياد المياه العذبة عن سطح البحر، يتشكل جدار فاصل بين المياه الجوفية العذبة الموجودة تحت سطح الأرض من المياه الأقل ملوحة بنسب متفاوتة.

وهذه هي التي تساعد في عدم مزج المياه العذبة والمالحة معا، وتصير المياه الأقل ملوحة على صورة خط تبدأ من سطح المياه العذبة وتمتد بصورة مائل حتى يصل إلى قاع المياه المالحة، وهي يسمى باسم البرزخ، والعلماء يصف هذا على أنه خط، ولكن في الحقيقة هذا يمتد بشكل كبير من المياه العذبة إلى المياه المالحة. وبنسبة قليلة المياه فيه كلما اتجهت نحو المياه العذبة، وتتفرق منطقة البرزخ بمعينة حركة المياه داخلها، والتي تقل بصورة واضحة عن حركة المياه المالحة والعذبة المحيطية بها بكلا الاتّجاهيين[104].

"إن لكل بحرٍ درجةٌ ملوحة معينة، لا تنقص ولا تزيدُ، مع أنّ البحرين متصلين، وله كثافة معينة، لا تنقص ولا تزيد، وله حرارة محددة، لا تنقص ولا تزيد، وله لون لا يتحول، فلو

[103] أين يقع البحران الملتقيان، موقع موضوع، أكبر موقع عربي بالعالم، 2010.

[104] أين يقع البحران الملتقيان، موقع موضوع، أكبر موقع عربي بالعالم، 2010.

ركب الإنسان طائرة، وحلَّق بها في الجو، فوق البسفورِ، أو فوق باب المندب ، أو فوق مضيق جبل طارقٍ، لرأى أن هذا البحر شيء، وهذا شيء آخر"[105].

وقد فهم علماء البحار الحديثة، أن ذرات الماءِ في البحر الأحمر إذا وصلت في أثناءِ حركتها إلى خط وهميٍ عند باب المندب، تعود إلى البحر الأحمرِ، وأنّ ذرات المحيط الهندي إذا اتجهت إلى البحرِ الأحمر عند هذا البرزخ، تنخفض نحو الأسفلِ، وتعود الكرة نحو البحر الهندِي، هذا البرزخ هو أنّ المحيط الهندي، لا يطغى على البحر الأحمرِ، والبحر الأحمر، لا يختلط بالمحيطِ الهندي، فلكل منهما كثافة، ولكل منهما حرارة، ولكل منهما ملوحةٌ، لا تزيد ولا تنقص، كذلك البحر الأبيض مع البحرِ الأسود، والبحر الأبيض مع المحيط الأطلسِي.

إن بعض المفسرين قد أشكلوا عن الجمع بين امتزاج مياه البحار مع وجود البرزخِ أي الحجز، إذ أن وجود البرزخ، 'الحاجز' يقتضي منع الامتزاج، وذكر الامتزاج 'مرج' يقتضي عدم حضور البرزخِ ، وقد زال الإشكال اليوم باكتشافِ أسرار البحر على حقائقها.

وفي بحث العلماء عن المياه العذبة، لا بد من بحث التلوث في الأنهار، التلوث الواسع الذي اخترعته مخلفات التكنولوجيات الحديثة. فلاحظ هؤلاء العلماء ببحث هذه المنطقة بدراسة دقيقة، وفهموا بعدد من النتائج وربما نذهب إلى علمنا وفهمنا أن الله سبحانه وتعالى قد جمع كل هذه النتائج في آية واحدة، وصل إليها هؤلاء العلماء بالنتجية الأولى: وأن في هذه المنطقة تحدث فيها اختلاط مستمر للماء المالح بالماء العذب، وهذا أشار الله تبارك وتعالى إليه، من قوله: مرج البحرين يلتقيان، أي كون البحران البحر العذب والبحر المالح، هنا جدير بالذكر أن نعترف لماذا قال الله تعالى 'مرج البحرين' ولم يقل 'مرج النهر والبحر'.

---

[105] د/ محمد الراتب النابلسي، البرزخ بين البحرين والحجر المحجور، الموضوع 049، موقع www.nabulsi.com

ولما كشف العلماء عن هذه المنطقة أي منطقة المصب، وفهموا أن هناك اختلاط وتمازج مستمر للماء المالح مع الماء العذب، ولاحظ العلماء أيضا أن هناك تفريقات كبيرة في مرتبة الحرارة وفي نسبة كثافة الماء وملوحته، وهذه المنطقة بالذات[106].

ظلمات البحر العميق

يقول الله تعالى في القرآن الكريم: "أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُمَاتٌ بَعضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّه لَهُ نُوراً فَمَا لَه مِن نُّور" (24: 40).

وقد تضمنت هذه الآية الكريمة صفة من الظواهر الطبيعة في المحيطات والبحار، ويتبينها، إلا أن المفسرين والعلماء فهموا صعوبة في شرحها بشكل مفصل، لأن علوم هذه الظواهر علوم كاملة كانت مجهولة وقت نزول القرآن، ان الاكتشافات والأبحاث والدراسات العلمية الحديثة تشير إليها ضوئا جديدا، وكل هذا حتى يظهر وجه الإعجاز في الآية القرآنية العظيمة.

وقد اكتشفت علوم البحار الحديثة في النصف الثاني من القرن العشرين عن أسرار عجبية في أعماق المحيطات والبحار، وسنقول هذا على ذكر ظاهرتين هما: وحركة الأمواج الداخلية، وظلمات البحر العميق.

[106] الشيخ عبد الدائم الكحيل، موقع عبد الدائم الكحيل للإعجاز العلمي.

قد تناقش هذه الآية العظيمة إلى الظلمة التامة فوق قيعان البحار العميقة والمحيطات، مقررة أنها ظلمة عظيمة، ولأمواج السطحية ولأمواج الداخلية دورة أساسية في إحداثها، وهي حقيقة لم يفهمها الإنسان إلا في بداية القرن العشرين.

اخترع العلم الحديث الموج الداخلي في عام 1904، ويرجع الفضل في تبيين ظاهرة الأمواج والتيارات الداخلية للدكتور 'إيكمان' الذي بين بها ما يفهم بظاهرة المياه الراكدة التي ترى في الخلجان النرويجية، فالسفن التي تجري وتبحر في هذه الخلجان تفقد فجأة قوتها وقدرتها على التحرك، فتقف تجمدة في المياه الراكدة، ولم تحظ هذه الحادثة إلا بقدر يسير من الإهتمام العلمي.

وقد درس المكتشف والعالم فريتيوف نانسن Nansen في مجال عالم المحيطات النورويجي وتعرضت سفينته 'فرام' لهذه الحادثة شمال جزيرة تايمير بين دراسات واكتشافات بالقطب الشمالي بين الأعوام 1893 – 1896م، التي عملت خلالها أن تحاول منطقة القطب، وهذا الأمر شجع الدكتور إيكمان ونانسن على دراسة وبحث عن تبيين ظاهرة المياه الراكدة.

ومن دراسة الدكتور إيكمان أنه ينجم بالأمواج الداخلية التي تتكون على السطح الفاصل بين الكثافة العميقة للمياه العذبة السطحية ومياه المحيط وما تحتها، وبعد وقت قليل وصف للأمواج الداخلية القصيرة التي تتعلق بحركة السفن، وصف العالم أوتو باترسون عن تأثير الأمواج الداخلية الطويلة التي تحدثت في أعماق البحار بسبب هجرة الأسماك[107].

يبين تاريخ العلوم أن الدراسات المتعلقة بعلوم البحار والمحيطات وأعماقها لم تحدد إلا في بداية القرن التاسع عشر، لما اخترعت الآلة المناسبة لكي تدرس بالدقة، ومن هذه الآلة التي

---

[107] الأمواج الداخلية وظلمات البحر العميقة، الشيخ عبدالمجيد الزنداني ووليام هاي، نقلاً عن موقع:http://www.nooran.org/O/20/20-11.htm

استخدمت لقياس عمق نفاذ الضوء في مياه البحار والمحيطات هو 'قرص سيتشي' وهو استعمال عن قرص أبيض يصل إنزاله في الماء ليعين ويسجل العمق الذي يتعذر رؤيته كصورة قياسية.

وقد ورد العالم جيرلون في كتابه 'Marine Optics' أنه يقصر مستوى الإضاءة في المياه المكتشفة إلى نسبة 10% من سطحه على عمق 35 متر، وإلى 1% على أعماق 85 م، وكذلك يقصر هذا إلى 0.1% على أعماق 135 م، وإلى 0.01% على أعماق 190م، ويقوي الظلام بعد عمق 500 متر لم يراها شيئا[108].

يثبت العلماء أن البحار العميقة كثيرة ما تعلوها السحب، كما قال تعالى: 'كظلمات' يشير إلى غياب الرؤية ويقرر ذلك أيضا في قوله: 'في بحر لجي'، اللجي يعني الشديد والعمق، الأسماك والحيتان في هذا العمق ليس لها عيون بل إن لها نور بيولجي كما تشير الموسوعة البريطانية، وهذا المراد بقوله تعالى: 'ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور'، فهذه الأسماك والحتان قادرة على استبيان طريقها.

قد يتغير لون قاع البحر المنحدر بصورة تدريجية إلى الأرزق، حتى يغاب تماما مع ازدياد العمق، أن نفاذ ألوان طيف الضوء إلى المحيط تلائم عكسيا مع تزايد العمق، لما يزداد العمق ارتفعت حالة الظلمة دون رؤية بعض ألوان الطيف الضوئي، ولذلك قال تعالى 'ظلمات' لم يقل ظلمة.

لقد كشف الدكتور 'وليم هاي' أن الصيادين ماهرون على استخدام تفرقات الظاهر في علوم المياه لتعيين العمق بدقة ملحوظة، وأوسع جهاز علمي لقياس العمق نفاذ الضوء في مياه

[108] يوسف الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ص 441، مكتبة دار ابن حجر، دمشق

البحر هو 'القرس ستيشي' الذي يتم إنزاله في الماء ليسجل ويعين العمق يتعذر رؤيته كنقطة كنقطة قياسيةٍ[109].

في البحار العميقة، ويشير لنا سبب تكوين هذه الظلمات لم تخترع وتدرس عن هذه الظلمات وأسبابها إلا قبل سنوات فقط، ومن الدراسة العليمة حتى تكاثرت الإكتشافات فتوسعت الصورة، فلاحظ علماء البحار أن هناك ظلام كثيف على بعد 300 متر.

البحر اللجي المذكور من الآية السابقة، ماله يغشاه موج، الضمير يرجع إلى أقرب مذكور أي هو البحر اللجي، أي يغطيه ويتحاوله موج من فوقه موج أي فوقه البحر السطحي، وفيه موج يعني من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض، العلماء يقولون أن أسباب هذه الظلمة في أعماق البحار ترجع إلى سبب رئيسي[110].

ومن رأي آخر، وعند إتيان بقية أشعة الشمس إلى الباب السفلى من الغلاف الغازي للأرض وإذا، إنّ السحب تشتت وتعكس نحو30% منها، والسحب تمتص وما بها من بخار الماءِ وهباءات الغبار والهواءِ وغيرها من نوى التشديد الآخر حوالي 19% من هذه الأشعة الشمسيةِ المارة فيها، ومن هنا نفهم أنّ الغمام تحجب بالامتصاص والتشتيتِ والانعكاس حوالي 49% من أشعة الشمسِ، فتحدث هذا قدرا من الظلمة النسبية.

لأنّ الشعاع الضوئي يشكل من سبع ألوان، والألوان عندما يخوض الماء لا يخترقه بقوةٍ واحدة بحسب تفريق طول الموجةِ، ولذلك يستوعب اللون الأحمر على مسافة العشر متر الأولى، بعدها لو أنّ غواصا يخوض ولما جرح الجرح وخرج الدم، ولكن إذا أراد أن يجد هذا

---

[109] يوسف الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ص 441، مكتبة دار ابن حجر، دمشق

[110] بحث للدكتور زغلول النجار في هذه الآية الكريمة، نقلاً عن: http://www.nooran.org/E/8.htm

الدم لا يراه باللون الأحمر، بل يراه باللون الأسود، سببها اللون الأحمر غياب فأصبحت هناك ظلمة اللون الأحمر.

وبعد الأحمر هناك اللون البرتقالى على مسافة 30 متر، وبعد ذلك اللون الأصفر إلى مسافة 50 متر، ثم يمتص اللون الأخضر على مسافة 100 متر عمقا، وكذلك بقية الألوان السبعة، آخر لون يمتص الأرزق ولذلك نجد المحيط أرزقا لأنه آخر شعاع أي يمتص بعد هذا العمق، بعد هذا العمق يصل إلى 200 متر، ثم يصل الظلام الشديد في أعماق المحيطات، هذه هي ظلمات بعضها فوق بعض.

الأمواج الداخلية

إن الأمواج الداخلية موجودة أيضا في الأعماق الداخلية للمحيطات والبحار، هذه الأعماق تشبه أطباقا من التغيير أو التفريق السريع في كثافة الماء مع ازدياد العمق، والأمواج التي تصحبها تسمى الأمواج الداخلية.

تحدث الأمواج الداخلية في عمق المحيط معروفة في هذا العصر أيضا، لم تعرف هذا علميا إلا منذ أقل من مئة سنة، إلا في حالات قليلة معروفة، وبدرجة حرارتها وملوحتها تكون هذه الأمواج بامتداد سطوح طبقات المياه المختلفة الكثافة والمتفاوتة، وأشار الله سبحانه وتعالى إلى هذه الآية الكريمة، على أن يبدو إلى أنواع جديد من الأمواج.

تبدأ الأمواج حيثما يضطرب سطح البحر، وأهم ما تثبت حركة الموجة أنها حينما تمر على سطح المياه بسرعة محددة، فإن المياه تنخفض وترتفع في حركة منتظمة متسقة. وهناك علاقة بين الموجة الطويلة وعمق المياه حيث تقاس بعمليات قياسية وتفسير التفريقات في توجيه

أو خط سير الأمواج الداخلية التي تبدو وتنشأ في مياه عميقة، حين تصل إلى مياه ضحلة أي عميقة.

إن الأمواج تبدأ عادة مع هبوب الرياح والعواصف، فكثير من الأمواج نتيجة من تأثير حركة الرياح على الماء، وكذلك ان الأمواج قد تنشأ بتأثير حركات الجزر والمد، وتظهر ايضا من تأثير الكراكين والزلازل في قاع البحار.وصورة سير الأمواج الداخلية في المحيطات والبحار تصوير مضطرب، فهو مزيل من الأمواج في صورة سلاسلة أو مجموعات، تمتزج بعضها في تسابق وتناسق وتلاحق مستمر.

إن العلماء الحديثة كانوا يحدثون في عصرنا هذا حيث تطورت أجهزات الغوص وملاحظة حركة المياه في البحر، يقول الأستاذ عبد المجيد الزندانبي في مقال رائع مطول عن هذه الأمواج، وهو يقول: تبدأ في القنوات والمضايق أمواج داخلية ذات شكل خاص، خاصة في مضيق جبل طارق، إن الأمواج الداخلية فيه ظاهرة شائعة، وقد يتسبب التدفق الداخلي للموج السطحي القوي، والتيار الخارجي للتدفق السفلى، في دخول الأمواج الداخلية إلى المضيق من المحيط الأطلنطي، مثل الأمواج المزبدة، كأنها أمواج متكسرة، ومما يتثبت في قر كبير واسع من الإضطرابات الداخلية[111].

وهناك أشياء أخرى، أنها تحلل الضوء الأبيض عن حركته في مياه المحيطات والبحار، فإن السبب الهام في حدوث الإظلام الكامل فوق قيعان المحيطات اللجية أي غزيرة الكثافة الماء لعمقها، حتى لا يكاد يفهم لها قاع هي الأمواج الداخلية في تلك المحيطات والبحار العميقة وغير المتماثلة.

[111] يوسف الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ص 442، مكتبة دار ابن حجر، دمشق

وتشكل هذه الأمواج الداخلية بين مجموع من الماء ذات الكثافة المتغيرة، وتتغير كثافة الماء في المحيطات والبحار العميقة بتغيرات كل من درجة حرارتها، بسبب الأملاح المذابة فيه، وتختلف مجموع الماء في تلك المسطحات المائية الكثيرة أفيقا بتفارق مناطقها المناخية فيه، وأهمها بتغير كثافتها.

وتتحول التيارات المائية أفقيا بين مناطق شاسعة من خطوط العرض، فإذا تتحقق صفات طبيعية جديدة، من مرتبات الملوحة والحرارة بسبب تمايز معدات التبريد أو التسخين، وسقوط الأمطار أو معدلات البخر، ومما يضطرها إلى التحرك مهما كذلك.

وقد يتغير الماء في المحيطات والبحار العميقة إلى كتلة سطحية، وكتل متوسطة، وكتل حول قطبية ولا يتغاير الماء إلى تلك المجموع إلا في البحار شديدة العمق. ومنها، إن الأمواج الداخلية لا تشكل إلا في مثل تلك البحار العميقة، ومن هذا كانت التسمية الدقيقة القرآنية بالوصف بحر لجي إعجازا غير مسبوق.

وتشكل الأمواج الداخلية عند كل حدود فاصلة بين مجموعتين مائيتين متغيرين في الكثافة، وهي الأمواج ذات أطوال وارتفاعات، ترفع أطوال وارتفاعات الأمواج السطحية بمعدلات واسعة. حيث تتحاول أطوالها بين عشرات مئات الكيلومترات، وتصير سعتها يعني ارتفاع الموجة إلى مائتي متر. كذلك من الأمواج لا يستطيع أن يرها بطريقة مباشرة، وإذا تمكن فهمها بأجهزة ميكانيكية، وهذا أيضا بواسطة عدد من الدراسات والقياسات للاضطرابات التي تحدثها تلك الأمواج الداخلية، وهذا يشير القرآن الكريم إليه إعجازا لا ينكر أي واحد.

كذلك يبدأ تكون الأمواج الداخلية على عمق40 متراً تقريباً من مستوى سطح الماء في المحيطات، حيث تبدأ صفات الماء فجأة في التغير من حيث كثافتها ودرجة حرارتها، وقد تتكرر على أعماق أخرى كلما تكرر التباين بين كتل الماء في الكثافة، وعجز الإنسان في زمن

الوحي ولقرون متطاولة من بعده عن الغوص إلى هذا العمق الذي يحتاج إلى أجهزة مساعدة خاصة مما يقطع بإعجاز علمي في هذه الآية الكريمة بإشارتها إلى تلك الأمواج الداخلية، وهي أمواج لم يدركها الإنسان إلا في مطلع القرن العشرين سنة1904م[112].

قد اتضح للعلماء بعد دراسات البحار والمحيطات وفي أعماقها، أن البحر العميق، الذي يصف القرآن بكلمة اللجي، ينقسم إلى منهجين: البحر السطحي والبحر العميق، وتتزاور الأمواج الداخلية في البحر العميق وتمثل جدا فاصلا بينه وبين البحر السطحي، كما يتحاول الموج السطحي البحر السطحي ويشبه حدا فاصلا بين الهواء والماء. وقد أشار القرآن الكريم إلى حضور موجين في ساعة واحدة أحدهما فوق الآخر، ومن هذا التسمية القرآنية دقيقة واضحة جدا من الناحية العلمية.

قد تأتي الأمواج السطحية فوق هذه الأمواج الداخلية وما يعلقها الرياح البحرية التي يحركها وينقلها كل من الرياح والهزات الأرضية والجاذبية، ودوران الأرض كذلك حول محورها من الغرب إلى الشرق، وكذلك حركات الجزر والمد نتيجة عن جاذبية كل من الشمس والقمر، وهذا كله نتبين لنا من العوامل المعمورة وقليل المعرفة.

وهذه الأمواج السطحية هي أحد القيود مع مسيرة كل أشعة الشمس الساقطة إلى أعماق المحيطات والبحار، وتصل إلى مائها إلى أعماقها، ولذلك فهذه سبب من أسباب ظلمة الأعماق.

[112] بحث للدكتور زغلول النجار في هذه الآية الكريمة، نقلاً عن:http://www.nooran.org/E/8.htm

قد تصل السحب من فوق هذه الأمواج السطحية التي تشتت وتمتص وترد إلى صفحة السماء حوالي49% من مجموع أشعة الشمس الواصلة إلى نطاق التبديلات المناخية فتصبح قدرا من الظلمة النسبية التي تحتاجها الحياة على سطح الأرض[113].

وأيضا تذكر الموسوعة البريطانية: إن الأمواج موجودة أيضا في السطوح الداخلية للبحار للمحيطات، هذه السطوح تشبه أطباقا من الانقلاب السريع في كثافة المياه مع ازدياد العمق، والأمواج التي تصحبها في أعمقاق البحار تدعى الأمواج الداخلية[114].

البحر المسجور

ومن قول الله تعالى: وإذا البحار سجرت (81: 6)، شرحه ثعلب، فقال: ملئت، وقال الفقيه ابن سيده: ولا وجه له إلا أن تكون ملئت نارا، ومن وقول الله تعالى أيضا: والبحر المسجور (52: 6)، جاء في التفسير أن البحر يسجر فيكون نار جهنم وسجر ويسجر وانسجر امتلأ، وكان أمير المؤمين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: المسجور بالنار يعني مملوء.

وفي هذه الأيام اكتشف العلم الحديث كثيرا من الظواهر تحت أعماق البحار، ومن أهمها، قد تمتد التصدعات الأرضية لتضمن قاع البحار والمحيطات، ففي عمق البحار هناك تصدعات للقشرة الأرضية وشقوق، تندفق من خلالها سائر المنصهر من باطن الأرض، وقد اخترع العلم الحديث هذه الشقوق قبل سنوات قليلة حيث تتدفق الحمم المنصهر من المياه لمئات

---

[113] بحث للدكتور زغلول النجار في هذه الآية الكريمة، نقلاً عن: http://www.nooran.org/E/8.htm

[114] يوسف الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ص 443، مكتبة دار ابن حجر، دمشق

الأمتار، والذكر يوحى بأن البحر يحترق، هذه الحقيقة نرى عنها القرآن عندما أقسم الله سبحانه وتعالى بالبحر المسجور أي المشتعل.

إن حقيقة البحر المسجور أو المشتعلة أصبحت يقينا ثابتا. يستطيعنا اليوم حوادثة الحمم المنصهرة في قاع البحار والمحيطات، وهي تلهب وتندفق مياه البحار ثم تشكل وتتجمد سلاسل من الجبال قد يكون بعضها إلى سطح المحيط مشكلا جزلا بركانية. هذه الحقيقة العلمية لم تجد أحد علم بها أثناء بداية القرآن وما بعده بقرون عديدة[115].

يقول أحمد بن فارس الزكريا: المسجور فهو من الفعل 'سجر'، والمسجور يعني هنا الموقد والمشتعل، ويذكر ابن فارس أيضا أن سجر له ثلاثة معان، هي: الملء، والمخالطة، والإيقاد[116].

وفي العقود الأخيرة من القرن العشرين لاحظ علماء الجيولوجي حقيقة تمزق الغلاف الصخرى تحت قاع الأرض بشبكة هائلة من الصدوع الشديدة المزدوجة، هي التي لم تكن معروفا باسم أودية الأغوار أو الخسف، فإن هذا الخسف العميق يحيط بالكرة الأرضية دورة كاملة، يمتد هذا الخسف في كافة الاتجاهات لعشرات الآلاف من كيلومترات، ولكنه ينتشر أكثر ما ينتشر في قيعان بحار الأرض.

"وهي بتلك الحركة الدائبة تدفع بكل لوح من ألواح الغلاف الصخري للأرض إلى التباعد عن اللوح المجاور في أحد جوانبه في ظاهرة تسمى ظاهرة اتساع قيعان البحار والمحيطات،

---

[115] عبد الدائم الكحيل، حقيقة البحر المسجور، موقع عبد الدائم الكحيل للإعجاز العلمي.

[116] أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، م 3، ص 134، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

ومصطدماً في الجانب المقابل باللوح الصخري المجاور ليكون سلسلة من السلاسل الجبلية، ومنزلقاً عن الألواح المجاورة في الجانبين الآخري"[117].

اكتشف العلماء ثورة بركانية شديدة جدا في قاع المحيط الأطلسي قبل سنوات قليلة، وينتج هذا البركان عن صدع طويل يحدث في قاع 2500 متر تحت سطح البحر.

وهناك ايضا انفجار آخر، هذا ما يشبه حيث صعدت الحمم المنصهرة وشكلت وتراكمت غيمة ملتهبة تعلى عن قاع البحر 250 مترا، وتحمى وتسخن المياه بصورة واسعة، ويقرر علماء الجغرافية أن مثل هذا الانفجار يتكرر باستمرار وتدوم لفترة طويلة. إن الذين يلاحظون هذه الثورات والبراكين والبركانية يحس كأنه أمام بحر مشتعل لا ينطفئ.

وباستمرار تحرك ألواح الغلاف الصخري للأرض تتسع قيعان البحار والمحيطات باستمرار عند خطوط التباعد بينها، وتندفع الصهارة الصخرية بملايين الأطنان في درجات حرارة تتعدى الألف درجة مئوية؛ لتساعد على دفع جانبي المحيط يمنة ويسرة، وتملأ المسافات الناتجة بالصهارة الصخرية المندفعة من باطن الأرض على هيئة ثورات بركانية عارمة تحت الماء، تسجر قيعان جميع محيطات الأرض، وقيعان عدد من بحارها، وتجدد مادتها الصخرية باستمرار. وقد أدى هذا النشاط البركاني فوق قيعان كل المحيطات، وفوق قيعان عدد من البحار النشطة إلى تكون سلاسل من الجبال في أواسط المحيطات، تتكون في غالبيتها من الصخور البركانية.

وإذا توقفت عملية توسع قاع المحيط فإن هذا القاع قد يستهلك بأكمله تحت القارة مما يؤدي إلى تصادم قارتين ببعضهما، وينشأ عن هذا التصادم أعلى السلاسل الجبلية من مثل

---

[117] والبحر المسجور، للدكتور زغلول النجار، نقلاً عن موقع: http://www.nooran.org/E/1.htm

جبال الهيمالايا التي نتجت عن اصطدام الهند بالقارة الآسيوية بعد استهلاك قاع المحيط الذي كان يفصل بينهما بالكامل في أزمنة أرضية سحيقة.

ومع أن هذا المعنى صحيح فقد اكتشف علماء الجيولوجيا مؤخرا أن جميع المحيطات وبعض البحار مثل البحر الأحمر وبحر العرب متوقدة بالفعل، في حين أن بحارا أخرى مثل البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود وبحر قزوين ليست كذلك.

فقد يتم رصد أكثر من 24000 كم، من الإرتفاعات المنتصف محيطية – MID OCEAN RIDGES الواقعة حول الوديان المتصدعة في منتصف المحيط – MID OCEAN RIFT VALLEYS تتكون هذه الإرتفاعات في قاع المحيط من صخور بازلتية بركانية تتصبب من المناطق المتصدعة المحيطية OCEANIC RIFT ZONES عند درجات حرارة تفوق الألف درجة مئوية تكون هذه القوة البركانية المحيطية الهائلة الارتفاعات المنتصف محيطية وتتسبب في امتدادها جانبيا LATERAL SPREAD والذي يعرف بظاهرة امتداد قاع المحيط[118] FLOOR SPREADING – SEA.

يتكون البازلت الموجود على سطح القشرة المحيطية في قاع المحيط، والذي يبلغ سمكه في المتوسط 7 كم تقريبا من الآتي من أعلى إلى أسفل: من صفر إلى واحد كيلو جرام من الرواسب. ا كم من وسائد الحمم البازلتية[119] PILLOW LAVA BASALTS.

---

[118] يوسف الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ص 454، مكتبة دار ابن حجر، دمشق

[119] يوسف الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ص 454، مكتبة دار ابن حجر، دمشق

5 كم من الجدات الموازية من الجابرو – وهي أجسام منيبسطة من الصخور البركانية قائمة بين طبقتين من مقذوفات البراكين – التي تتغذى من خنادق.

تنتج عدة ظواهر بعد الإنفجارات البركانية نتيجة تفاعل المياه الجوفية مع الصخور الحامية المدفونة التي تتضمن:

تكوين ينابيع حامية HOT SPRING نتيجة تسخين المياه الجوفية وتمعدنها بسبب وجود الصخور البركانية بها. تكوين حمات GEYSERS التي هي انفجارات دورية لمياه مغلية تزيد درجات حرارتها عن 200 درجة مئوية تنتج عن دورانها مع مياه جوفية في غاية السخونة موجودة بالإعماق والتي هي متلامسة مباشرة مع الصخور الحامية، التي تزيد درجات حرارتها عن الألف درجة مئوية. المنافذ البركانية FUMAROLES التي هي منافذ للأبخرة المتشبعة بثاني أكسيد الكبريت وكبريتيد الهيدروجين والهيدروكلوريد والهيدروفلوريد. المنافذ الكبريتية التي هي منافذ بركانية غنية بمركبات الكبريت[120].

هذه الحقائق العجيبة لم يتصل إليها العلم الحديث إلا في أواخر السبعينيات في القرن الماضي، فإن القرآن الكريم سبق هذه الحقيقة المدهشة والمدفونة في قيعان المحيطات خير دليل على طهارة وصدق مصدر هذا الكتاب الكريم.

[120] يوسف الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ص 456، مكتبة دار ابن حجر، دمشق

تسخير البحر لتجري الفلك فيه

فقد سخر الله تعالى الكون كله لهذا الإنسان، يتصرف فيه بما أتاح الله له من أدوات وحواس، قال تعالى: "وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (45: 13).

ومن مظاهر هذا التسخير الكوني تسخير البحار العظيمة، والمحيطات الواسعة لهذا الإنسان الضعيف، والتي تشكل 71% من مساحة كوكب الأرض الذي نعيش عليه، وهي مساحة تشكل أكثر من ثلاثة أرباع الأرض التي نعيش على اليابسة منها، فهذا الإنسان يركب ظهر البحر ويتنقل على سطحه، ويغوص في أعماقه ويستخرج كنوزه وثرواته، ويستمتع بركوبه ويأكل من صيده، ويمكن أن نقف على بعض هذه الفوائد التي يتمتع بها الإنسان من البحار والمحيطات.

قال تعالى: "وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون" (36:41)، "وخلقنا لهم من مثله ما يركبون" (36:42)، الأية الأولى تشير إلى فلك نوح عليه السلام الذي حمل فيه المؤمنون ومن كل زوجين اثنين.

وقد كان ركوب البحر قديماً، تستخدم فيه السفن الشراعية البسيطة في ارتفاعاتها وقوتها، وصمودها أمام الرياح والأمواج البحرية، وقد كانت تعتمد أساساً على الشراع الذي يتحرك بحركة الريح، حيث سخر الله تعالى الرياح البحرية لهذاِ الأمر، ولو سكنت الريح لبقيت السفينة راكدة على سطح البحر، كما قال تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ، إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ، أَو يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ"(42:32-34)

ومن خصائصه الإنسان أن يجري في المراكب ولم يستطع لأي دابة في الأرض صنع المراكب واستعمالها سواء كان بريا أو بحريا أو هوائيا. يؤيد هذا قوله تعالى: "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا" (17:70).

السفن تجري في البحر حسب القوانين الإلهية الطبيعة منها قانون الطفاوة FLOTATION THEORY هي أن الله سخر البحر للإنسان يحمل فيها ثقلا أكثر من الماء العذب لأن كثافة الماء المالح البحري أكثر من الماء العذب. الفلك تجري إلى الأمام لما تتحرك المروحة بسريعة تدفع الماء إلى الوراء فالضغط في الأمام يصير أقل من الوراء فتدفعها إلى الأمام وكل هذه القوانين خلقها الله لنا[121]. وإلى هذه النعمة يشير تعالى: "الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار" (14:32). وكذا قوله تعالى: ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم (22:65).

عندما يتفكر الإنسان أن تسخير البحر لتجري الفلك في البحر يفهم أولا أن مساحة البحر يلثي مساحة الأرض. ومساحة الأرض في الثلث فقط. وهذه نعمة بما سخر الله لنا البحر التي تموج فيها الأمواج والماء عميق.

قال سيد قطب رحمه الله: "والسفن الجواري في البحر كالجبال آية أخرى من آيات الله، آية حاضرة مشهودة، آية تقوم على آيات كلها من صنع الله دون جدال، هذا البحر من أنشأه؟ مَن مِن البشر أو غيرهم يدعي هذا الادعاء؟ ومن أودعه خصائصه من كثافة وعمق وسعة

[121] د/ عبد الرزاق، الإتجاهات الجديدة في تفسير القرآن الكريم، أطروحة للدكتوراه، جامعة كالكوت

حتى يحمل السفن الضخام؟ وهذه السفن من أنشأ مادتها وأودعها خصائصها فجعلها تطفو على وجه الماء؟ وهذه الريح التي تدفع ذلك النوع من السفن التي كانت معلومة وقتها للمخاطبين وغير الريح من القوى التي سخرت للإنسان في هذا الزمان من بخار أو ذرة أو ما يشاء الله بعد الآن من جعلها قوة في هذا الكون تحرك الجواري في البحر كالأعلام؟"[122].

وقد تقدم الإنسان في صناعة السفن شيئاً فشيئاً، حتى صنع السفن الكبيرة لنقل عشرات الآلاف من الركاب، وناقلات البترول الضخمة، والحاملات العملاقة، والتي وصل حجمها في عصرنا الحديث إلى ما يزيد عن مائتي ألف طن، وأصبحت السفن تسير بقوة البترول والغاز، بل بعضها بقوة الطاقة النووية.

ولعل في قوله تعالى: "وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ" (55:24)، إشارة إلى هذه السفن الضخمة التي يبنيها الإنسان بارتفاعات عالية، وبأحجام واسعة، فمعنى 'الْمُنْشَآتُ': المرفوعات التي رفع بعض خشبها على بعض وركب حتى ارتفعت وطالت حتى صارت في البحر كالأعلام وهي الجبال، والعلم: الجبل الطويل[123].

ومثل هذا قوله تعالى: "هُو الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ" (10:22)، وهذا الترابط في ذكر هاتين النعمتين، من ركوب البر والبحر، تتميما للنعمة وتكميلا للمنة[124].

ويعد النقل البحري هو عصب الحياة التجارية والاقتصادية؛ لما يتضمنه من خصائص ومميزات يمتاز بها عن وسائل النقل الأخرى، ومن هذه الخصائص: زيادة الحمولة للسفينة الواحدة حيث تصل في بعض السفن إلى عدة مئات الآلاف من الأطنان في المناطق ذات

---

[122] سيد قطب، في ظلال القرآن، م 6، ص 326.

[123] الشيخ الشوكاني، فتح القدير، م 5، ص 190، دار الكتب العلمية، لبنان

[124] الشيخ الشوكاني، فتح القدير، م 3، ص 687، دار الكتب العلمية، لبنان

الغاطس المائي الذي يزيد على 10 أمتار، وانخفاض تكاليف النقل البحري مقارنةً بوسائل النقل الأخرى، وأن السفينة أقل تكلفة في بنائها وصيانتها بالمقارنة بقطار له نفس الحمولة، وأنه لا يحتاج للإنشاءات إلا في بداية ونهاية الطرق الملاحية كالموانى والأرصفة البحرية، وأن هذه الطرق الملاحية لا تحتاج إلى صيانة مكلفة أو إصلاحات كالنقل البري أو النهري، وأن أقل قوة محركة كافية لنقل حمولة هائلة لا تقارن بمثيلاتها في طريق النقل الأخرى[125]، ووجود خطوط نقل بحري رئيسية في العالم، والسرعة حيث زادت سرعة السفن نتيجة التقنيات المستخدمة في بناء السفن إلى 50 ميلاً بحرياً، وقيام شركات دولية متخصصة في بناء السفن، وفي الشحن البحري، وجميع خدمات صناعة السفن وإصلاحها، ومن بناء أحواض للصيانة أو مخازن للتخزين، والتأمين البحري، والتخصص؛ إذ أصبح النقل بالسفن يقوم على نقل مادة معينة مثل: ناقلات النفط، ناقلات الموز بين أمريكا الوسطى والولايات المتحدة، وناقلات عصير العنب بين الجزائر وفرنسا. وهناك سفن نقل الركاب.

وقد تكرر ذكر هذه النعمة، وهي تسخير ركوب البر والبحر، في سورة فاطر فقال سبحانه: "وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ"(40:80).

يخرج من البحر اللؤلؤ والمرجان

يقول الله تعالى: "يخرج منهما للؤلؤ والمرجان" (55:22)، "وما يستوي البحران هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج، ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها، وترى

[125] آيات البحار ومعانيها العلمية في القرآن الكريم، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون" (35:12)، وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون" (16:14).

اللؤلؤ هو الحجر الكريم الوحيد في العالم الذي يستخرج من الحيوانات الحيّة، فقد يموت المحار بعد استخراج اللؤلؤ منه وتبقى بعض العضلات الحيّة فيه بعد استخراج اللؤلؤ. كلّ لؤلؤةٍ من اللآلئ تمتلك خصائص فريدة بها، فلا يوجد لؤلؤتان متشابهتان، كما تحتوي كلٌّ منها على بعض الشوائب.

لؤلؤ، جمع لآلئ، وتلألأ الشئ لمع لمعن اللؤلؤ، وقيل لا أفعل ذلك ما لألأت الظباء بأذنابها[126].

اللؤلؤ والمرجان: يقول ابن منظور في لسان العرب: لألأ: اللؤلؤة: الدرة، والجمع اللؤلؤ وللآلئ، وبائعه لأآء، ولأآل، ولألاء. وتلألأ النجم والقمر والنار والبرق، ولألأ: أضاء ولمع[127].

والمرجان، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، المرجان صغار اللؤلؤ، واللؤلؤ اسم جامع للحب الذي يخرج من الصدقة، والمرجان أسد بياضا، ولذلك خص الياقوت والمرجان فشبه الحور العين بهما، وهو جوهر أحمر يقال إن الجن تلقيه في البحر[128].

إنّ اللآلئ في العادة تستخرج من صدفة المحار والرخويات، وتتشكل في داخلها أيضاً عندما يدخل إلى جوف المحار شيئاً الصغيرة كحبة الرمل أو قطعةٍ صغيرةٍ من الطعام أو غيرها، ولكي تقوم المحارة بحماية نفسها من هذا الكائن الغريب الذي دخلّ إلى جوفها فإنها

---

[126] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، م 2، ص 589، الناشر مكتبة نزار مصطفي باز.

[127] ابن منظور، لسان العرب، م1، 150، دار صادر بيروت

[128] ابن منظور، لسان العرب، م 13، ص 406، دار صادر بيروت

تفرز عليه بشكلٍ فوري ما يعرف بعرق اللؤلؤ، وهو مزيجٌ من المواد العضوية وغير العضوية، فتتراكم طبقات عرق اللؤلؤ على حبة الرمل واحدةً تلو الأخرى حتى تشكلّ في داخلها اللؤلؤ، كما أنّ اللؤلؤ المصنع يتكون في العادة بنفس الطريقة إلّا أنّه عوضاً عن أن تدخل حبة الرمل إلى داخل المحار بشكلٍ مفاجئ فإنّ الشخص يقوم بزراعة حبة الرمل وعرق اللؤلؤ إلى داخل المحار ويوضع المحار بعدها في أقفاص مغلقة في الخليج وتترك لأربع سنوات حتى يتكوّن اللؤلؤ.

يتكوّن اللؤلؤ الطبيعي في جسم المحار، كردّة فعل طبيعية على دخول جسم متطفل أو ذرة رمل إلى المحارة، وبالتحديد بين الصدفة والجسم الرخو (البرنس)، وهذا المتطفّل يسبب ألماً وحكة للمحار، فتتغلب خلايا البرنس عليه فإفراز مادة تلف هذا المتطفل، وتبدأ هذه المادة بالتراكم حتى تتشكل حبّة اللؤلؤة، وهذه العملية قد تستغرق عدداً من السنوات، ويتكوّن اللؤلؤ بشكل عام من 90% من كربونات الصوديوم، و5% من المواد العضوية، وكذلك 5% ماء. وتجدر الإشارة إلى أنّه لا يوجد فرق بين اللؤلؤ الطبيعي واللؤلؤ المستزرع، فكلاهما ينتج من المحار بشكل طبيعي[129].

أن المفسرين القدامى، كالطبري والقرطبي وابن كثير والجلالين على سبيل المثال، قد وقفوا حائرين إزاء هذه الآية وأمثالها حيث يقررون أن الحلي إنما تُسْتَخْرَج من البحر المِلْح فقط، وإن كان القرآن قد ذكر البحرين معا. يريدون أن يقولوا: إن العرب كانت تغلّب في مثل هذه الحالة أحدَ الطرفين على الآخر. بل إن بعضهم، محاولةً منهم الالتصاقَ بالآية وعدم الرغبة في اللجوء إلى المجاز هنا، قد قالوا إن المقصود بالبحر العذب هو ماء المطر، بمعنى أن اللؤلؤ والمَرْجان لا يتم تكونهما إلا إذا نزل ماء المطر على صَدَفهما في البحر فانعقد لؤلؤا ومَرْجانا.

[129] كيف يستخرج اللؤلؤ، موقع موضوع، أكبر موقع عربي بالعالم، 2010

وهذا كله خَبْطٌ خاطئ، فالمطر لا يُسَمَّى: "بحرا"، فضلا عن أن القرآن الكريم قد نَصَّ على أن الحُلِي تُسْتَخْرَج من كلٍّ من البحرين، لا من مجموعهما كما يقول مفسرونا القدامى، ولهم العذر رغم أنهم جاؤوا بعد الوحي بعِدّة قرون كانت الحضارة الإسلامية قد قطعت أثناءها أشواطا في مجال العلم والفكر فسيحة، إذ إن المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع لم تُكْشَف إلا في العصر الحديث كما بيّنّا في الفقرات الأخيرة.

يستخرج اللؤلؤ من جوف المحار محار اللؤلؤ Pearl Oyster وهو نوع من الرخويات البحرية، ويعيش المحار في المياه المالحة والعذبة، وهو من أجمل أنواع الأحجار الكريمة، وكان يعتقد في القدم أن اللؤلؤ دموع الآلهة ويتكون اللؤلؤ عندما تفتح المحار جوفها فتدخل ذرة رمل في جوفها، فيفرز المحار مادة لحماية نفسه من هذا الدخيل، مع الوقت تتراكم هذه المادة فوق بعضها البعض، وكلما طالت المُدة كلما كبرة الطبقات وكبر بالتالي حجم كرة اللؤلؤ، تدرج المواد المُفرزة من جوف المحار وبوجود مادة عضوية قرنية قشرية صلبة تسمى كونكيولين التي تساعد على تماسك المواد المفرزة، سيكون بالنهاية اللؤلؤ الكاملة، والمواد المفرزة ما هي إلا الأرجونيت أو الكالسيت كربونات الكاليسوم المتبلورة، ومن أجود أنواع اللؤلؤ المتواجد في الخليج العربي، لكن مع ذلك برعت اليابان في زراعة اللآلئ في مزارعها المالحة الخاصة، وتحتاج هذه المزارع لأربع سنوات لتنتج حبة اللؤلؤ الواحدة[130].

ممّا لا شكّ فيه أنّ اللؤلؤ من الأحجار الكريمة والنفيسة والنادرة في العالم وغالية الثمن. ومن الأحجار الكريمة المتعارف عليها عالميا هي: الألماس واللؤلؤ والمرجان والعقيق والياقوت والزمرد. وهي في الأصل مكونة في باطن الأرض داخل القشرة الأرضية نتيجة عمليات جيولوجية معينة. وتختلف ألوان الأحجار الكريمة وخصائصها ومكوناتها وأحجامها وأشكالها من

[130] ضحى إسماعيل، من أين يستخرج اللؤلؤ، موقع موضوع، أكبر موقع عربي بالعالم، 2010

حجر إلى آخر. ومن الجدير بالذكر في هذا الموضوع أن اللؤلؤ تم وروده في القرآن الكريم، قال الله تعالى "كأمثالِ اللؤلؤ المكنون". واللؤلؤ مكون داخل صدفة إحدى الرخويات أو المحار. ويتم استخراجه من داخل المحار[131].

يعتبر اللؤلؤ عماد وأساس الاقتصاد لدول الخليج العربي، وهو سبب رئيسي لتواصل دول الخليج مع دول العالم الأخرى، إلّا أنّ اكتشاف النفط في دول الخليج أدى إلى عدم انخراط الناس وقلة اهتمامهم في ممارسة مهنة الغوص لاستخراج الأحجار الكريمة، وبالأخص مهنة استخراج اللؤلؤ التي اندثرت تقريباً، وذلك لأن أغلب الناس اتّجهوا لمعامل النفط. تجدر الإشارة هنا إلى أن البحرين اشتهر بلؤلؤه النادر والثمين ونقاوته، بالإضافة إلى أن مهنة استخراج اللؤلؤ في البحرين لها تاريخ طويل وقديم وما زالت مهنة ثابتة وراسخة فيها.

فسر المفسرون في توجيه الآية الكريمة، فالقدماء لا يعلمون اللؤلؤ والمرجان إلا في البحار المالحة. لكن تبيَّن بعد اكتشاف أراضٍ جديدة، وجود اللؤلؤ والمرجان.. وتبر الذهب الحُليّ، في رواسب جداول وأنهار وبحيرات عذبة في أمريكا وشمال أوروبا، وهذا من شواهد الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ودليل ربانية مصدره.

لحوم البحر

وفي قوله تعالى: "أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ" (5:96)، "وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (16:14)، في الآية الأولى بيان لحل صيد البحر وطعامه، وقد أُحلَّ

[131] أين يستخرج اللؤلؤ والمرجان، موقع موضوع، أكر موقع عربي بالعالم، 2010

تمتيعاً للإنسان، لأن قوله مَتاعاً لَكُمْ مفعول له مختص بالطعام، يعنى أحل لكم طعامه تمتيعاً للمقيمين منكم يأكلونه طريا، ولسيارتكم يتزوّدونه قديداً، كما تزوّد موسى عليه السلام الحوت في مسيره إلى الخضر عليهما السلام[132]. وفي وصفه بالمتعة دليل على أهميته الغذائية والعلاجية إذ لا يشعر بالمتعة هزيل أو مريض، والآية 14 من سورة النحل تؤكد ذلك حيث امتدح الله تعالى لحم البحر بوصفه بالطري، لسهولة تناوله ومضغه، وفي ذلك لفت للأنظار إليه والتحريض على تناوله.

إن هذه الأسماك تعيش في المحيطات على أعماق سحيقة، ولكنها تقترب من السطح أثناء الليل بحثًا عن الغذاء، وتحمل مجموعة من الحوامل الضوئية المركزة أسفل الرأس وعلى سطح البطن، والضوء المنبعث لونه أزرق مخضرٌ، وتستخدمه السمكة لجذب فرائسها من السمك.

وتعتبر الأسماك مصدرا جيدا للأملاح المعدنية وخاصة اليود والصوديوم والبوتاسيوم، كما يحتوي السمك على الفوسفور بمقادير عالية فالمئة جرام منه تحوي 230–240 ملجم فوسفور وترتفع هذه الكمية إلى 750 ملجم في سمك الطون وإلى 5233 ملجم في سمك المور، ولا يخفى ما للفوسفور من أهمية بالغة في حياة الأنسجة إذ يساعد العمود الفقري والأسنان على النمو، والسمك يحتوي كذلك على عنصري الكلور والكبريت كما يحتوي السمك أيضا على الكالسيوم الذي يوجد معظمه في العظام والتي تتوفر في الأسماك المعلبة مثل السلمون والسردين.

في كل يوم يكشف العلماء أنواعا جديدة من الأسماك المضيئة في أعماق المحيط، ومن الأنواع المهمة لهذه الأسماك سمكة الفأس، تعيش أيضًا على أعماق كبيرة وتحمل الحوامل

[132] الشيخ الزمخشري، تفسير الكشاف، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

الضوئية على سطحها البطني، وينبعث منها إضاءة شديدة تعمل ككشافات تشوِّش على باقي الأسماك، فتبتعد عنها ولا تفترسها، فهذا الضوء هو وسيلة الدفاع الوحيدة لهذه السمكة.

ومع أن العلماء يتعقدون أن هذه الوسائل الضوئية قد تطورت بفعل الطبيعة، ولكنهم لم يعرفوا كيف استطاعت هذه المخلوقات أن تطور مثل هذه التقنية المعقدة في توليد الضوء على الرغم من الأعماق المظلمة التي تعيش فيها.

إن الجواب على ذلك نجده في كتاب ربنا تبارك وتعالى القائل: "قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى، قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى" (20 :50،49). فالله تعالى الذي خلق هذه المخلوقات هو الذي هيأ لها الطريق وهداها لرزقها وسخر لها كل الوسائل لتستمر في حياتها، ولولا هذه الإضاءة الذاتية لا نقرضت هذه الأسماك.

تشير الدراسات الحديثة إلى الفائدة الكبيرة من التناول المعتدل للسمك، فتناوله مرة في الأسبوع جيد للدماغ، ويبطئ من تأثير الشيخوخة. كما أن الحمية الغنية بالسمك تساعد على إبقاء المخ نشطا. كما كشفت بعض الدراسات أن الأشخاص الذين يتناولون السمك، انخفضت لديهم مخاطر الإصابة بمرض خرف الشيخوخة فضلا عن الإصابة بالسكتة الدماغية[133].

[133] صحيفة الرياض، http://www.alriyadh.com/2007/08/22/article274247.html

الفصل الثاني

العلماء وآراءهم عن الآيات البحرية في القرآن الكريم

نقوم في هذا الفصل بمناقشة وعرض المساهمات العلمية لبعض هؤلاء العلماء بشكل موجز، تسلطا للضوء على أهمية هذا المجال في الدراسات القرآنية الحديثة. قد اهتم كثير من العلماء بعلم البحر في القرآن الكريم خصوصا بعد اكتشاف الآلات المتطورة والتكنولوجيات الحديثة والدقيقة اهتماما كبيرا. ومن أشهرهم الدكتور موريس بوكاي الذي تعلم وتخصص في علم الحديث وفي الكتب المقدسة – التوراة والإنجيل والقرآن – وقارن بينها. بعد ذلك وضع نظرياته المهمة فيما يتعلق بالآيات القرآنية وحاول أن يبرهنها على ضوء العلوم الحديثة المعاصرة. وقد ناقش عن هذه الأشياء كلها في كتابه المشهور "الإنجيل والقرآن والعلم"، وله عدة مصنفات قيمة أخرى في هذا الموضوع.

ومن العلماء المشهورين الآخرين، الدكتور عبد المجيد الزنداني، ومحمد راغب النجار وعبد الدائم الكحيل. كلهم علماء معاصرون يشتغلون في هذا المجال، ولهم دورات ومحاضرات وكتب مهمة في هذا الموضوع.

الدكتور موريس بوكاي: ولد موريس بوكاي في فرنسا في عام 1920م. كان له معرفة عميقة بالكتب المقدسة اليهودية والمسيحية. وفي عقد الستينات صار بوكاي طبيبا باطنيا. وفي عام 1969م ذهب إلى جامعة السوربون ليدرس اللغة العربية دراسة نظامية. تخرج منها في عام 1972م بعد أن صار ضليعا ومتمكنا في اللغة العربية. تعرض كتابه الأول

"التوراة والإنجيل والقرآن والعلم"، الذي يمتاز محتواه العلمي والنظري وكتبه لانتقادات شديدة من قبل علماء وباحثين غربيين حيث اعتبروا منهجه فيها وكتبه غير موضوعي وغير علمي وأنه يناقض في عدة مواقع النظريات العلمية الثابتة. توفي الدكتور موريس بوكاي في باريس في عام 1998 م.

يقول موريس بوكاي في كتابه المشهور القرآن والإنجيل والعلم الحديث "هذه الدراسة لطبيب فرنسى، ممن عنوا بالدراسات العلمية ومقارنتها بالكتب المقدسة. وهو هنا يقدم إسهاما جديدا فى هذا الموضوع ويعالجه معالجة علمية، ويذكر من الأمثلة ما يثبت به إمكان دراسة ما فى القرآن الكريم دراسة تطبيقية، تزيد فى فهم بعض آياته التى ظلت قرونا مستغلقة على الفهم، وتفتح الطريق أمام مزيد من البحث والمناقشات المفيدة[134].

يقول عن الآيات التي تشير إلى البرزخ والحجر المحجور بين البحرين إنه لا يختلط البحر المالح بالبحر العذب. لا نستطيع أن نسمي بحرا بذاته على أن الآيات القرآنية لا تذكر أسماء هذه البحار. لكل بحر كثافة خاصة. الماء العذب في الأنهار له طريق خاص في البحر دون أن يمتزج بماء البحر إلا بعد مسافة طويلة.

الدكتور زغلول راغب محمد النجار: ولد الدكتور زغلول راغب محمد النجار في مصر في سنة 1933م، ودرس فيها وتخرج من قسم الجيولوجيا بجامعة القاهرة في عام 1955م، حاصلا على درجة بكالوريوس العلوم بمرتبة الشرف وكان الأول في دفعته. وفي عام 1959م لاحت أولى انطلاقة حقيقية للدكتور زغلول النجار في إثبات ذاته، حيث دعي من جامعة الملك سعود بالرياض للمشاركة في تأسيس قسم الجيولوجيا فيها. ذهب من السعودية إلى

[134] الدكتور موريس بوكاي، مقدمة كتاب الإنجيل والقرآن والعلم.

إنجلترا ليكمل "الدكتوراه في الفلسفة" في الجيولوجيا من جامعة ويلز ببريطانيا عام 1963م، ثم رشحته الجامعة لاستكمال أبحاث ما بعد الدكتوراه من خلال منحة دراسية من جامعته.

يقول عن طبيعة الحاجز بين البحرين إنه قد تتغير صفات الماء الكونية دائما وتتحرك في الاتجاهات الرئيسية والأفقية وهذه المياه تختلط وتتداخل أحيانا وتتماثل الملوحة والحرارة إلا أنها تظل دائما مقسمة عن بعضها مع الآخر بحواجز أو برزخ غير مرئي.

وإن البرزخ أو الحجر الذي أشار القرآن الكريم إليه يوجد بين البحرين خاصة المياه التي توجد بين الملح والعذب أو الماء المويلح أي قليل الملوحة على حد الماء العذب عند التقاء الماءين. هذه هي الإشارة في القرآن إلى الفاصل بين البحرين بغير تخصص.

البرزخ أيضا هو الحاجز بين الماءين المختلفين في صفاتهما، ذلك أن هذا البرزخ لا يدفع لذهاب الكائنات البحرية من الماء إلى الماء الآخر إلا إذا توضحت بينهما تبيانا صحيحا، وهذا البرزخ لا يمنع الكائنات الحية كاملا عن حركاتها ومع ذلك أنه من الصعب إدراك هذه الظاهرة لغير المتخصصين حتى في هذا الزمن الذي تقدم علمه.

ومن قوله عن المرجان إنه من الأحجار الكريمة ويؤخذ من جسد حيوان بحري لا يحيا إلا في الماء الملح، أما اللؤلؤ فيستخرج من أصداف كائنات تعيش في الماء الملح أو الماء العذب، يؤكد العلماء أن الغية بالبحرين هما البحر العذب والبحر الملح.

ومن إعجاز القرآن أنه بين التقاء النهر بالبحر الذي يعجز عن بيانه وتصوره الإنسان بأهمية بالغة.

الشيخ عبد المجيد الزنداني: ولد الشيخ عبد المجيد بن عبد العزيز الزنداني في يمن في عام 1942م، وهو سياسي وداعية وهو المؤسس لجامعة الإيمان باليمن، ومؤسس ومشارك الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية في السعودية، وساهم الشيخ عبد المجيد الزنداني بالتدريس لعدد من المواد العلمية في مدراس الجمهورية ولما نشأت المكتبة للتوجيه والإرشاد في عام 1975 م عين رئيسا لها. وكان رئيسا لمجلس شورى حزب التجمع اليمني للإصلاح.

ويقول عبد المجيد الزنداني عن البحرية "إن علماء البحار في هذا العصر بعد تقدم العلوم الحديثة اكتشفوا البرزخ بين البحرين. إن العلماء اكتشفوا البرزخ بين البحرين ويسمونه 'الجبهة'، تماثل له بالجبهة التي تقسم بين البحرين، وبهذه الظواهر تحافظ البحار على خصائصها التي منحها الله إياها. وهناك كائنات حية تعيش في هذه البيئة فقط.

اكتشف علماء البحار أن في مناطق اللقاء بين الأنهار والبحار مصبات، وفيها حالة امتزاج واضطراب وذهاب وإياب للماء. ويقسم المكان الخاص بالأنهار والبحار، بأن هذا المصب مدار برزخ مائي يفصل بين النهر والبحر[135].

اكتشف علماء البحار سر تفريق تنظيم المحيطات المالحة في سنة 1873م، على رئاسة البعثة العلمية الإنجليزية البحرية في سفر سفينة تشالنجر، ففهم العلماء أن المياه في المحيطات تختلف في ترتيبها عن غيرها من حيث درجة الكثافة ودرجة الملوحة، وأنواع الأحياء المائية.

ومن قوله إنه قد أشكل المفسرون بين حضور الحاجز والبرزخ من طغيان بحر على الآخر وبين وجود اختلاط بين البحرين، ولذا ما برهنت عليه كلمة 'مرج' لأن من أكد أن

[135] الشيخ عبد المجيد الزنداني، 'مرج البحرين يلتقيان' موقع الإعجاز، www.eajaz.com

البحرين مختلطان، فقد أهملت عملية البرزخ ووظيفته في منع الاختلاط بين البحرين، ومن أكد حضور الحاجز المانع اضطر في تبيين لفظ 'مرج' إلى معنى غير معناه الأصلي بالإشارة إلى الامتزاج.

الشيخ عبد الدائم الكحيل: هو عبد الدائم الكحيل، ولد في حمص في بلد سوريا في سنة 1966م، وهو باحث في مجال الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية وكذلك له كثير من الأعمال المنشورة. وكذلك شارك في عديد من الندوات والمؤتمرات العالمية، لديه عدد من الأبحاث والاكتشافات العلمية الجديدة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية.

يتحدث عبد الدائم الكحيل عن البرزخ بين البحار، تشير هذه الآية إلى نعمة الله للإنسان، إن الله قد توازن كوكب الأرض بحفظ الماء من هذه الظاهرة. منع الله بين البحر المالح والعذب ببرزخ منيع يمنع الطغيان بعضها على بعض. وهذه الآية تشير إلى أنه يستطيع أن يكون ملحا أجاجا وأن يكون عذبا فراتا. ومع ذلك هذه إشارة ثابتة إلى أن في الماء حاجز منيع وقوي سماه القرآن 'البرزخ'

ومن البرزخ المائي ما هو في منطقة تقع في مصبات الأنهار عندما يجمع النهر بالبحر، أي عندما يلتقي ماء المالح والماء العذب، وهذه المنطقة تعتبر محددة ومحاطة ببرزخ مائي. العلماء المعاصرون يسمونها اليوم باسم 'مصب'، وكذلك ولهذه المناطق أهمية كبيرة لدى العلماء والباحثين، لأن امتزاج الماء المالح بالماء العذب هو حادثة فريدة ورائعة حقا[136].

[136] الشيخ عبد الدائم الكحيل، مرج البحرين يلتقيان، موقع عبد الدائم الكحيل للإعجاز القرآن 2010.

وكذلك يقول عبد الدائم الكحيل حين يبين عن إعجاز هذه الآية "مرج البحرين"، أن المرج يعني به تلك العمليات الفيزيائية التي تحدث في منطقة المصب وهذه العملية في المصب هي خلط مستمر وامتزاج بالماء ولم يذكر القرآن مرج النهر والبحر بل البحر فقط.

وقد اكتشف علماء أمريكا عن هذه الظواهر في الزمن القريب. يعني أن الخلط يتم مع الأنهار ومع المياه المختلفة العذبة في الأرض والتي تتدفق من قاع المحيطات وهذه المياه أيضا من مياه البحر ولكن بحر عذب لا نشاهده ولا نفهمه، ولكن الله يراه.

وكلمة 'مرج' هي أيضا من أدق الكلمات عن طبيعة ما تحدث في منطقة امتزاج الماء المالح والعذب، ولقد حاول بعض العلماء لأن يستبدل هذه الكلمة بتمازج وخلط وحركة واختلاف واضطراب وغيرها، وجميع هذه المعاني تحققها اللفظ القرآني.

ووجود البرزخ، وهو تفصل منطقة ماء النهر بماء البحر، طبعا، يسميه العلماء علم الحديث هذا بإسم 'المصب'، هذا البرزخ يكون سبب القوانيين التي أودعها الله للماء، يعني أن القرآن أكد حقيقة علمية قبل أن يخترعها العلماء بقرون عديدة، وهذا سبق قرآني في علم المياه.

واستعمال حجر محجور يشير إلى أن هذه المنطقة مميزة معينة وذات خصائص عديدة وفيها كائنات محددة تختلط بكائنات النهر والبحر، يقول علماء الحديث عن الحجر، هذه المنطقة لا تسمح للماء العذب والماء أن يطغا على غيرهما، فهي كالحجرة أو الجدار المغلق والمنيع.

والأمواج الداخلية، يقول علماء البحار في دراستهم الجديدة التي جرت لأول مرة، في سنة 2013م، في جامعة واشنطن إن الدراسة تمت في منطقة عميقة ومظلمة وباردة في البحر

الهادئ، تم الكشف فيها عن أكبر أمواج عميقة حتى الآن، حيث تبلغ ارتفاع بعض الأمواج إلى 2000 متر وهذا ما يساوي ناطحة سحاب[137].

لقد كشف العلماء الحديث آلة لقدر ارتفاع الموج في عمق 5000 متر، وقاموا بهذا لتدوين مميز الماء وارتفاع الماء، وشدته وكثافته وغير ذلك، وتبين أن هذه الأمواج تشكل حوالى خمسة آلاف متر في عمق البحر تقريبا من سطح البحر، وتستغرق ساعة أو أكثر حتى تقطع، وهي عميقة ومظلمة جدا، والجهة التي تحتها من الماء كثيفة جدا.

وإن الأمواج العميقة والسطحية لازمة لمزج مياه المحيطات وعدم مشكلاتها عبر آلاف السنين، وتساعد هذا على الحفاظ على التعادل البيئي، وإن امتزاج الماء يساهم لبقاء الماء الكثيف في قاع البحار، كل من الكثافة ودرجة الحرارة والملوحة يحافظ هذا المحيط من الإمتزاج والاضطراب والاتلاط.

والظلمات في عمق البحر، ورأئه فيها، أن هذه الحقيقة لم تكن معلومة من قبل، وكان الإنسان عاجزا عن نزوله لأكثر من 10– 20 مترا، إن الضغط في عمق البحر يتضاعف كل عشر أمتار، لذا لا يمكن للإنسان أن ينزل في أعماق كبيرة، ولم يفهم العلماء عنها على هذه الحقيقة المعاصرة ظلمات في أعماق المحيط.

'البحر اللجي'، وعليه يغشاه موج من فوقه موج آخر، لدينا بحار مختلفة، يختلف بعضها عن الآخر الذي نعرفه ونراه، وبالفعل هذا ما قرر علميا حيث يؤكد العلماء أن المياه الموجودة تحت الأمواج العميقة تتفرق جميعا عن المياه الموجود فوق الأمواج[138].

---

[137] الشيخ عبد الدائم الكحيل، مرج البحرين يلتقيان، موقع عبد الدائم الكحيل للإعجاز القرآن 2010.

[138] الشيخ عبد الدائم الكحيل، مرج البحرين يلتقيان، موقع عبد الدايم الكحيل للإعجاز العلمي، 2010، www.kaheel7@gmail.com

الشيخ محمد راتب النابلسي: ولد الشيخ محمد راتب النابلسي سنة 1938 م في دمشق، وتخرج من جامعة دمشق في سنة 1964م، حيث حصل على الليسانس في آداب اللغة العربية وعلومها، وهو داعية إسلامي، له دروس ومحاضرات في الإعجاز العلمي والتفسير. وهو رئيس هيئة الإعجاز القرآني، وله العديد من المؤلفات وشارك في العديد من المؤتمرات العالمية.

يقول الشيخ محمد راتب النابلسي عن البرزخ بين البحرين والحجر المحجورِ، لكل بحر درجة ملوحة ثابتة وحرارة معينة وكثافة محددة، لا تزيد ولا تنقص، لاحظ علماء البحار أن المياه في البحر الأحمر إذا اتجهت في أثناء حركتها إلى المحيط الهندي، وعكسها يكون بينهما برزخ وخط وهمي، تنخفض نحو الأسفل، ترجع المياه إلى أصلها، لا يغطى هذا البرزخ إلى غيره، ولذا لا يمتزج الماء الهندي بالمحيط الأحمر. لأنه لكل منهما كثافة محددة، وكذلك حرارة ثابتة، وتكون هذه الظاهرة بين البحر الأبيض والبحر الأسود، وبين البحر الأبيض والمحيط الأطلسي.

"والحجر المحجور في قوله، برزخ، لكنه يكون في بعض الأحيان بين البحرين العذب والمالح، برزخ وحجر ومحجور، ترتفع كثافة بعضِ أنهارِ أمريكا عن ثلاثمئة ألف متر مكعب في الثانيةِ، وهي تصل إلى البحرِ الأطلسي، يمتد مسيرها في البحرِ، ثمانين كيلو متر، هذا الماء العذب يسير داخل الماء المالح، لايختلطان، لايتمازجان، بينهما برزخ لا يبغيان.

"وفوق البرزخِ بين الماء المالح والماء العذب، حجر محجور، يعني أنّ الأسماك التي تعيش في المياه العذبة، لا تدخل إلى المياه المالحة، وكذلك الأسماك التي تعيش في المياه المالحة، لا تدخل إلى المياه العذبة، ففي الحجر المحجور. ويشير ويسأل هذا من آيات اللهِ الدالة على عظمتِه، أي أنّ البحار لا تختلط مع أنّها متصلة"[139].

[139] الشيخ محمد راتب النابلسي، الحجز بين البيحرين، موقع النابلسي، 2003. www.nabulsi.com

الباب الرابع

دراسة مقارنة للفهم التقليدي والحديث لعلم البحر في تفاسير القرآن الكريم

- **الفصل الأول: التفاسير المختلفة للقرآن الكريم وأسلوبها في قرون مختلفة**
- **الفصل الثاني : الآيات في علم البحر وتفسيرها عبر القرون**
- **الفصل الثالث : المقارنة بين الدراسات التقليدية والحديثة عن علم البحر في تفاسير القرآن الكريم**

الفصل الأول

التفاسير المختلفة للقرآن الكريم وأسلوبها في قرون مختلفة

التفسير في اللغة: التفسير هو الإيضاح والتبيين، ومنه قوله تعالى "ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا" (25: 33)، وهو مأخوذ من الفسر وهو الإبانة والكشف، وفي لسان العرب: فسر: الفسر: البيان، فسر الشيئ يفسره، بالكسر، ويفسره بالضم، فسرا وفسره: أبانه، والتفسير مثله. ابن الأعرابي: التفسير والتأويل والمعنى واحد. وقوله عز وجل: وأحسن تفسيرا، الفسر: كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل: رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر[140].

فسر: الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيئ وإيضاحه، من ذلك الفسر، يقال: فسرت الشئ وفسرته. والفسر والتفسبر[141].

معنى التفسير هو الكشف عن معاني القرآن الكريم وبيان المراد منه، هذا المعنى يشتمل على بيان مفردات القرآن وتراكيبه سواءً بشرح اللغة أو استنباط حكم أو تحقيق مناسبة أو دفع إشكال ورد بالنص أو سبب النزول أو غير ذلك، وعُرف تفسير القرآن منذ عهد نزوله، حيث إنّ القرآن الكريم يفسّر بعضه البعض، وعندما يحتاج الصحابة بيان معنى نصّ فيه فيوافيهم به الرسول عليه الصلاة والسلام، كما ورد في قوله تعالى: "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم" (16: 44). ثمّ عرفه العلماء وذكروا ألواناً شتّى في تصانيفهم من تفسير القرآن، ثم تشكّلت

---

[140] ابن منظور، لسان العرب، ج 5، ص 55.

[141] أحمد فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج 4، ص 473

المدارس للتفسير في المدينة المنورة، ومكة، والعراق، والشام، ثمّ دوّنت هذه المصنّفات في التفسير كلّ تصنيف حسب مصدر صاحبه من حيث الفقه، والأحكام، واللغة، والبلاغة، وأمور العقيدة.

التفسير هو علم نزول الآيات وشؤونها، والأسباب النازلة فيها، وأقاصيصها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابها، ومطلقها ومقيدها، وخاصها وعامها، وحلالها وحرامها، ومجملها ومفسرها، وأمرها ونهيها، ووعدها ووعيدها، وعبرها وأمثالها. نزل القرآن الكريم على نبي أمي، وقوم أميين، ليس لهم إلا ألسنتهم وقلوبهم، وكانت لهم فنون من القول يذهبون فيها مذاهبهم ويتواردون عليها، وكانت هذه الفنون لا تكاد تتجاوز ضروبا من الوصف، وأنواعا من الحكم، وطائفة من الأخبار والأنساب، وقليلا مما يجري هذا المجرى، وكان كلامهم مشتملا على الحقيقة والمجاز، والتصريح والكناية والإيجاز والإطناب.

وجريا على سنة الله تعالى في إرسال الرسل، نزل القرآن بلغة العرب وعلى أساليبهم في كلامهم: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم"(14: 4) فألفاظ القرآن عربية، إلا ألفاظا قليلة، اختلفت فيها أنظار العلماء، فمن قائل: إنها عربت وأخذت من لغات أخرى، ولكن العرب هضمتها وأجرت عليها قوانينها فصارت عربية بالإستعمال. ومن قائل: إنها عربية بحتة، غاية الأمر مما تواردت عليه اللغات، وعلى كلا القولين فهذه الألفاظ لا تخرج القرآن عن كونه عربيا.

يُعدّ علم التفسير من أنفعِ العلومِ على الإطلاقِ؛ فهو يتعلّقُ بكتابِ الله تعالى، فعلمُ التفسير تُعرف من خلالهِ معاني القرآن الكريم، التي تُساعدُ المسلمَ على الاهتداء للعملِ الصالحِ، ونيلِ رضى الله سبحانهُ وتعالى، والفوز بجناتهِ، وذلك بالعمل بأوامرهِ التي وردت في كتابهِ الكريم، واجتناب نواهيه، وأخذ العبرة من قصصهِ، وتصديق أخباره، وبعلم التفسير يتبيّن الإنسان

الحق من الباطل، ويزول أيُّ لبسٍ في الوصولِ إلى معاني الآيات ودلالاتها الحقيقيةِ، ومن خلالهِ يصل الفقيه إلى استنباطِ الأحكامِ الشرعية؛ إذ يُعتبر القرآن الكريم الدليل التفصيليّ الأول للمعرفةِ والاستدلالِ على الأحكامِ الشرعية العملية.

وقال الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في مناهل العرفان في علوم القرآن: هو علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم، من حيث دلالته على مراد الله تعالي، بقدر الطاقة البشرية[142].

ذُكرت آياتٌ كثيرةٌ في مواضع عديدة في القرآن الكريم، تحثُّ المسلم على فهمِ القرآن الكريم فهماً صحيحاً، ومعرفة المطلوب منه والعملِ بمقتضاهُ، ولأجل هذه الأسباب يجب على المُفسّر أن يكون محيطاً ببعض العلوم، وأن تتوافر فيه شروط لا تتوافر في غيره من الناس، حتى يراعي وجه الله في تفسيره، وابتعادهِ عن تفسير القرآن الكريم حسب أهوائهِ ومعتقداتهِ، ومن العلوم التي يجب على المُفسّر أن يعرفها: علم الناسخ والمنسوخ، وعلم أسباب النزول، والأحكام الفقهيّة الموجودة في الآيات القرآنية، وعلوم اللغة، ومدلولات الألفاظ ومعانيها، ومصطلحاتها الكثيرة، والمشتهر منها لدى العرب، واستعمالاتها.

وقال أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط: التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك، فقولنا علم: هو جنس يشمل سائر العلوم، وقولنا: يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هذا هو علم القراءات. وقولنا: ومدلولاتها أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم. وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية هذا يشمل علم التصريف وعلم الإعراب وعلم البيان وعمل البديع، وقولنا: ومعانيها التي تحمل عليها حالة

[142] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، المكتبة الشاملة.

التركيب يشمل ما دلالته بالتحقيق، وما دلالته بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئا، ويصد عن الجمل على الظاهر صاد، فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر هو المجاز، وقولنا: وتتمات لذلك هو مثل معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضع بعض ما أبهم في القرآن[143].

وقال بدر الدين الزركشي في البرهان في علوم القرآن: هو علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ [144].

يقول الأستاذ محمد عبد العظيم الزرقاني في مناهل العرفان: "نهضة الأفراد والأمم لا يمكن أن تكون صريحة عن تجربة، ولا سهلة متيسرة، ولا رائعة مدهشة إلا عن طريق الإسترشاد بتعاليم القرآن وبديهي أن العمل بهذه التعاليم لا يكون إلا بعد فهم القرآن وتدبره والوقوف على ما حوى من نصح ورشد، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق الكشف والبيان لما تدل ألفاظ القرآن وهو ما نسميه بعلم التفسير"[145].

إن علم التفسير هو مفتاح هذه الكنوز والدخائر التي إحتواها القرآن الكريم المنزل لإصلاح البشر وإنقاذ الناس من الحضيض، وبدون التفسير لا يمكن الوصول إلى هذه المعارف والمعلومات. وأن تقدم المسلمين متعلق باهتداء هداية القرآن قبل كل شيئ. وهذا ما نرى في نجاح سلفنا الصالح بهذا القرآن نجاحا مدهشا. وفي جملة أخرى كان هممهم الأول هو القرآن

---

[143] أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، شبكة إسلام ويب.

[144] بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، شبكة إسلامية ويب.

[145] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، المكتبة الشاملة.

الكريم. وكانوا يفهمونه كما كانوا يحفظونه، ثم يعملون بتعاليمه بدقة ويهتدونه بهداية بوعي، وعلى كل حال إن آخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها ولذلك يجب معرفة القرآن حق المعرفة.

وعرفه الإمام محمد الطاهر بن عاشور في مقدمة تفسيره التحرير والتنوير فقال ما ملخصه: هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع، وموضوع التفسير: ألفاظ القرآن من حيث البحث عن معانيه وما يستنبط منه[146].

ثم بين النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فهم منه من هداية ورشد لأصحابه رضوان الله عليهم. ومن هذا يفهم أن أصحابه اتقوا القرآن من مبلغه صلى الله عليه وسلم والتقوا تفاسيره من مدرسته العالية.

ظهر علم التفسير بالتزامن مع نزول الآيات القرآنية على الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان يفسر الآيات للصحابة رضي الله عنهم، ثم صارَ علم التفسير من العلوم الدينية المهمة في الإسلام، حيث عملَ الصحابة رضي الله عنهم، على تفسير الآيات القرآنية للمسلمين، وخصوصاً الذين دخلوا في الإسلام حديثاً، ولم يكونوا على علمٍ كافٍ باللغة العربية، وقواعدها، وهذا ما يدل على وظيفة علم التفسير ببيان، وتوضيح ما لم يفهم من الآيات القرآنية، ومع مرور الوقت تحول علم التفسير إلى علم يدرس من قبل مجموعة من الأشخاص من أصحاب العلم الوافر، والذين اهتموا بتفسير الآيات القرآنية، وجمعوا تفاسيرهم في كتب للتفسير.

[146] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، شبكة إسلامية ويب.

التفسير في عهد الصحابة

إن الصحابة بعد عهد النَّبي صلى الله عليه وسلم استمرت بانتهاج نهجه القويم، في حرصهِ على تعليم النَّاس علم التفسير الذي يعد أشرف علم وأهم علمٍ من العلوم الأخرى، لاتصالهِ بأشرفِ كتابٍ، وهو كتاب الله، قال تعالى: وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (17: 102)، فكان بعض التابعين يجمعون التفسير من الصحابة، وربما فسر التابعون أيضاً بالاستنباط والاستدلال.

استطاع المسلمون بفضل الله فتح الكثير من بلاد العالم، سواء كان هذا في عهد الرسول أم في عهد من بعده، ولم يستقر الصحابة في بلد واحد، بل انتقل الكثير منهم إلى بلاد أخرى، ونشروا فيها أهم ما جُمع من علم التفسير من الرسول –عليه الصلاة والسلام– فاستطاعوا بحمد الله تعليم الكثير من التابعين، ونقل علم التفسير بشكل خاص لهم، فأنشؤوا المدارس القيمة لنشر ما تعلموه، في كثير من المناطق، فمنها ما أُنشئ بمكة والمدينة والعراق، فكانت هذه المدارس منبع علم التفسير، ومخرج كثير من المفسرين[147].

وفي الحقيقة أن هذا العصر جزء من عصر النبي صلى الله عليه وسلم لأن الصحابة هم الذي عاشوا مع النبي وعاشرواه وكانوا مخاطبي القرآن وقت نزوله ومتعلمي النبي صلى الله عليه وسلم في مدرسته ولا غرو اذن أنهم فهموا القرآن من مصدره السامي وشربوا من منهله الصافي حتى صاروا حملة القرآن في نواحي الدنيا أجمعين. ولا شك في أن دراستهم بالقرآن دراية عميقة وسعت كل نواحيه، ومعرفتهم بتفسيره ومعناه معرفة صافية لم يختلط فيه شيئ من الكدر لأنهم اقتبسوه من مفسره الأول هو النبي صلى الله عليه وسلم.

[147] الدكتور محمد السيد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، القاهرة: مكتبة وهبة، صفحة 5، جزء 1.

ولكنهم ليسوا في مرتبة واحدة في فهم القرآن الكريم، يقول الدكتور محمد حسين الذهبي: "ولو أننا رجعنا الى عهد الصحابة لوجدنا انهم لم يكونوا في درجة واحدة بالنسبة لفهم معاني القرآن. بل تفاوتت مراتبهم وأشكال على بعضهم ما ظهر لبعض آخر"[148]، كان من الصحابة من اشتهر بفن تفاسير القرآن كابن عباس وابن مسعود وعلي ابن أبي طالب رضي الله عنهم ومنهم من قل حظه فيها.

كان الصحابة يعتمدون في تفسيرهم القرآن الكريم على المصادر الآتية: القرآن الكريم، سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، الإجتهاد وقوة الإستنباط، اشعار الشعراء الجاهلية. ونادرا اعتمدوا على أهل الكتاب. إن الصحابة كانوا في علم تام عن تفسير القرآن الكريم. أولا اعتمدوا على القرآن، يفسر بعضها ببعض ان وجدوا في القرآن آيتين من هذا النوع. وان لم يجدوا في القرآن ما يفسر معناه اعتمدوا على السنة النبوية، لأن حياة النبي صلى الله عليه وسلم أمامهم واضحة كشمس النهار. وفهموا أن حياته هي أحسن تفسير للقرآن الكريم. وإذا لم يجدوا التفسر في كتاب الله تعالى، ولم يتيسر لهم اخده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا في ذلك الى اجتهادهم وأعمالهم رأيهم يستعينون على ذلك كثيرا من الأمور مثل معرفة أوضاع اللغة وأسرارها ومعرفة عادات العرب ومعرفة اشعار الجاهلية ومعرفة احوال اهل الكتاب وقت نزول القرآن الكريم وغيرها.

المفسرون من الصحابة

إشتهر بالتفسير عدد كبير من الصحابة وتيسر عليهم التفسير بما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة وبما شاهدوه من أسباب النزول وغيرها من التسهيلات. من اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة، الخلفاء الأربعة وعبد الله بن عباس وعبد الله ابن مسعود وأبي

[148] الدكتور محمد السيد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، القاهرة: مكتبة وهبة، صفحة 12، جزء 1.

كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم أجمعين. هناك غير هؤلاء من الصحابة اشتهروا أيضا بتفسير القرآن كأنس بن مالك وأبي هريرة وعبد لله بن عمر وعائشة وغيرهم، لا أنه ما نقل عنهم في التفسير قليل جدا. واختلف العلماء في مسألة من هو أشهر منهم، وقد روى أن أكثرهم تفسيرا هو عبد الله بن عباس ثم علي بن أبي طالب ثم أبي بن كعب.

التفسير في عهد التابعين

وقد سبق القول إن عصر الصحابة عصر زاهر للتفسير إن كان من اشتهر بالتفسير من الصحابة لا يزيدون على عشرة. وبعد انقراض ذلك العصر يليه عصر التابعين الذي نما وازدهر هذا الفن وأتى بأثمار يانعة من وجه، حتى كاد أن تتسرب إليه الإسرائيليات والقصص الباطلة التي أساءته وبدأ تشوه وجه التفسير وصار سببا للحط من شأنه.

وهؤلاء التابعون المفسرون كانوا تلامذ الصحابة ومتلقين غالب معلوماتهم عنهم ويعدون في العدد أكثر من الصحابة واشتهروا بشهرة واسعة ونبغ فيهم رجال اعتدوا عناية كبيرة في تفسير كتاب الله سبحانه وتعالى. يرجع كثير من الأئمة إلى أقوال التابعين إذا لم يجدوا التفسير في القرآن والسنة ولا في أقوال الصحابة. وقد وجد فيهم الأعلام كمجاهد بن جبر وسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن رباح والحسن البصري وأبي العالية وقتادة وغيرهم. وعنهم عدد أكثر من الصحابة وعنايتهم كبيرة في جانب التفسير. وعنهم نقل المفسرون معظم آراءهم. هذا هو عصر بني أمية.

قال السيوطي في كتابه الإتقان بعد أن ذكر أشهر المفسرين من التابعين ما نصه: "هؤلاء قدماء المفسرين وغالب أقوالهم تلقوها من الصحابة"[149].

هناك أمر مهم أحق أن يذكر ذلك أن من هؤلاء التابعين من فاق على أساتيذهم من الصحابة كمجاهد، وهو فاق أستاذة في استخراجه المقاصد الصحيحة للآيات القرآنية. هو أوثق من روى عن ابن عباس رضي الله عنه، شيخ القراء ويكفيه شهادة على ثقته وعدالته ما اهتم به الإمام الشافعي رحمه الله اهتماما وما يعتمد البخاري كثيرا على تفسيره كما يعتمد كثير من المفسرين على روايته. وقد انعكست فيه شخصية أستاذة ابن عباس بما يلازم حضرته وقت شغله وفراغه.

هكذا ظل التفسير يتضخم طبقة بعد طبقة وتروي الطبقة التالية ما كان عند الطبقات التي سبقتها. وأجدر بالذكر أن التفسير إلى هذا الوقت لم يتخذ له شكلا منظما ولم يفرد بالتدوين. بل كان يكتب على أنه باب من أبواب الحديث المختلفة يجمعون فيه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة وعن التابعين. ثم انفصل التفسير عن الحديث حتى يكون له تأليف خاص به، رياسته يرجع إلى علي بن أبي طلحة ثم وجد جزء أو أجزاء دونت في التفسير خاصة مثل الجزء المنسوب لأبي ورق وبعد ذلك وجدت موسوعات من الكتب المؤلفة في التفسير. جمعت من التفاسير المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابهم وتابعييهم كتفسير ابن جرير الطبري وبعد ذلك وجد من دونوا التفسير المأثورة بدون ذكر الأساتذة. ونقلوا في تفسيرهم الأقوال بدون تفرقة بين الصحيح والعليل لا يركن الناظر إليه فيما يداخله اللبس.

[149] الشيخ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 2، ص 190

وعلينا أن نبحث عن ميزة هذا العصر من الجانب العلمي. لأن العصر العباسي هو عصر الإسلام الذهبي الذي بلغ فيه المسلمون من العمران والسلطان ما لم يبلغوه من قبل ولا من بعد. أثمرت فيه الفنون الإسلامية. ومما ساعد على رقيتها نضج العقل الإنساني حتى وجد سبيلا إلى البحث والتفكر. وملوك الدولة ينتمون إلى العباس بن عبد المطلب كما ينسب ترجمان القرآن عبد الله بن العباس إليه. وجدير بنا أن نذكر أن معونة الفرس هي التي أهلتهم لإقامة العرش واصطبغت هذه الدولة العباسية بصباغة فارسية. ثم إطلاق الخلفاء أيدي الموالي في سياسية الدولة التي تسبب لإستقلالهم واستبدادهم بشؤونها. فضعفت العصبية العربية وقويت الشعوبية حتى دخلت العناصر المختلفة مثل الفارسية والتركية السريانية والرومية والبربرية في تكوين الدولة. شعارهم إطلاق الحرية في الدين وتعدد الفرق وشيوع الآراء المختلفة في الدين وكل ذلك أثر في التفسير.

وهذا نمو وتطور واتساع من جانب العلم والحضارة وما زال ينتشر وينمو في حمى الدين وظل الخلافة. لكن انحلت من الإيمان والتقوى قلوبهم التي تجب أن تتجاور بهما وتتزن بهما. ولا يجبد أن حرارة الإيمان خفيفة لدى المشتغلين بالتفسير. وظهر مجال التأويل واسعا في القرآن، حتى أخذ المفسرون عن أهل الكتاب قولهم مما يتعلق بالقصص في القرون الماضية بما يوجد في التورات تفاصيل قصة أوجزها القرآن. فلم يهتموا بأن التوراة والإنجيل تبدلا من الأصيل إلى الدخيل. ولم يقيموا أي وزن لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يصدقوا أهل الكتاب ولا يكذبرهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا"[150].

[150] الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج 8، ص 120

التفسير في عهد التدوين

ثم جاء عصر التدوين، انفصل فيه التفسير عن الحديث يقول أحمد أمين: "بعد هذه الخطوة خطا التفسير خطوة أخرى، انفصل بها عن الحديث فأصبح علما قائما بنفسه ووضع التفسير لكل آية من القرآن أو رتب ذلك حسب ترتيب المصحف"[151]، وبرز عدد من العلماء المشهورين قاموا بتفسير القرآن يضيف الى ذلك أحمد أمين: "وتم ذلك على أيدي طائفة من العلماء منهم ابن ماجة وابن جرير الطبري والنيسابوري وابو حاتم وابن حبان والحاكم وابن مردويه و غيرهم من أئمة هذا الشأن"[152]، وكان أشهرهم ابن جرير الطبري لأنهم هو الذي انتقل الى التفسير الرأي من التفسير المأثور.

انكبّ عدد من العلماء المسلمين عبر مراحل التّاريخ المختلفة على دراسة القرآن الكريم وتفسير آياته، فكان منهم الإمام الطبري، وكذلك الإمام ابن كثير، وقد اتبعوا في تفسيرهم منهجًا واضحًا يعتمد على نقل ما روي عن النّبي عليه الصّلاة والسّلام والصّحابة والتّابعين من تفسير لآيات القرآن الكريم ومن بيان لأسباب نزول الايات، وإنّ اهتمام علماء المسلمين بتفسير القرآن الكريم عائدٌ إلى مكانته العظيمة في الإسلام وكونه دستور ومنهج تهتدي به الأمّة وبالأخذ به تسير على الطّريق القويم، قال تعالى ‘إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم’؛ فقوام الدّين وصلاحه لا يتمّ إلا بالأخذ بكتاب الله تعالى بقوّة بتطبيق شرائعه وأحكامه والاستنان بهديه ونوره وتوجيهاته.

---

[151] الشيخ أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج 2، ص 141

[152] نفس المرجع ص 141

التفسير في العصر الحديث ومناهجه

قد قدمنا أن الأوائل من المفسرين في جهد كبير في تفسير كتاب الله والكشف عن معانيه ومراميه. والقرآن هو الدستور الإلهي، فتناوله هؤلاء المفسرون الأوائل من أول نزوله بدراستهم التفسيرية التحليلية دراسة سارت مع الزمن بألوان مختلف. والذي كتب التفسير على اختلاف ألوانها يتضح له أن كل ما يتعلق بالتفسير من الدراسات المختلفة قد وفاها هؤلاء المفسرون الأقدمون حقها من البحث والتحقيق بحيث لم يترك لمن جاء بعدهم من عمل جديد أو أثر مبتكر، يقومون به في تفاسيرهم التي ألفوها إلا عملا ضئيلا.

في العصر الحديث اتجهت أنظار العلماء الذين لهم عناية بدارسة التفسير إلى أن يتخلصوا من نطاق الجمود فنظروا إلى كتاب الله نظرة أثرت في الإتجاه التفسيري للقرآن تأثيرا. ذلك هو العمل على تنقية التفسير من القصص الإسرائيلية التي كادت تذهب بجمال القرآن وجلاله وتمحيص ما جاء فيه من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو على أصحابه رضوان الله تعالى. وإلباس التفسير ثوبا أدبيا اجتماعيا يظهر روعة القرآن ويكشف عن مراميه الدقيقة وأهدافه السامية والتوفيق بين القرآن وما جد من نظريات علمية صحيحة مع الزمن في جميع أطواره ومراحله.

وأهم ألوان التفسير في العصر الحديث: المنهج العلمي، المنهج الفقهي، المنهج الأدبي والإجتماعي، المنهج البياني، المنهج الإلحادي، المنهج الفقهي للتفسير.

المنهج البياني للتفسير

التفسير البياني يمثل الإتجاه الأدبي في تفسير القرآن الذي يهدف إلى فهمه وإيضاحه، إعتاز القرآن ونواحيه البلاغية بعيدا عن التأويل والأقاويل. وكان له جذر عريق الأصل لما سبق عدد من المفسرين الذين كانوا يهتمون به. ولم يكن هذا النوع من التفسير جديدا وقد كان الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنه ترجمان القرآن يعتمد على التفسير البياني طلبا إظهار أسرار القرآن البلاغية ليفهم منها غوامض القرآن بالتفسير البياني أو الأدبي ويستشهد عليها بالأشعار العربية من أمثاله أنه سأله نافع بن الأزرق أخبرني عن قوله تعالى عزين في الآية عن اليمين وعن الشمال عزين فأجاب ابن عباس ببيت الشاعر عبيد بن الأبرص أحد حكماء الجاهلية:

فجاءوا يهرعون إليه حتى

يكونوا حول منبره عزينا

وكلما سأله عن معاني ألفاظ القرآن أجابه ببيت من الأبيات الجاهلية.

وقد تطور التفسير البياني عبر الأجيال. وأول ما صنف في هذا المجال كتاب مجاز القرآن لصاحبه أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفي سنة 210 هـ وأعماله هي القدح المحلى في دراسات النواحي البيانية في القرآن.

من هذه الخصوصية التفسيرية كتاب دلائل الإعجاز لصاحبه عبد القاهر الجرجاني المتوفي سنة 471 هـ وتفسير الكشاف للزمخشري الذي تبحر وتوفق الجميع في استخراج النقاط البلاغية والبيانية من خلال آيات القرآن.

وفي القرن السابع والثامن والتاسع كثرت أعمال هذا النوع ولسنا في حاجة إلى بيان أسماء هؤلاء وخدماتهم. وأما في عصرنا الراهن فقد جددت معالم التفسير البياني وجددت رسومه بما ازداد الشغف العلمي من الناس مثل الأستاذ سيد قطب الذي ساهم في إحياء التفسير البياني وجذب قلوب القارئين إليه وكتابه في التفسير 'في ظلال القرآن'.

ورائد التفسير البياني في هذا العصر هو الأستاذ أمين الخولي وله جهود طيبة في هذا المجال. وتلميذته عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ قلدته في موقفه من تفسير القرآن، حتى إن تفسيرها سميت بالتفسير البياني للقرآن الكريم. وتبذل معظم جهودها لتخليص التفسير عن طريقه المتقدمين حيث تدخل مدخل التفسير البياني. ومن ميزتها الإهتمام بالعبرة التي تتضمن الآية بعموم لفظها بدون حصر على الأسباب.

وبعبارة أخرى يمكن القول إن التفسير البياني يتفق مع التفسير الموضوعي بما كانت عملية البيان والإيضاح بهذه الصورة تتطلب جمع الآيات الواردة في موضوع واحد. وفي خلال كل هذه العمليات يستطيع القارئ أو الباحث أن يدرك سر اللغة العربية في الآيات كلها.

المنهج الإجتماعي في التفسير

هذا المنهج يعتبر عملا جديدا في التفسير يرتكز على قضايا المجتمع والهدف الوحيد من تفسير القرآن وإرشاداته هو إصلاح المجتمع وإصلاح الفرد، وقد اهتم هذا المنهج في العصر الحديث بما يطبق النص القرآني على ما في الكون من سنن الإجتماعي ونظم العمران. لأن العلاقات الإنسانية تتفسخ فسخا عظيما ينبغي العلاج بمفاهيم القرآن. والمفسرون مثل

محمد عبده والسيد رشيد رضا ومحمد مصطفى المراغي انتهجوا منهجا عقليا اجتماعيا لتفسير القرآن لما وجدوا الناس في عدم الوعي من مفاهيم القرآن. وهذا اللون الجديد طارئ على التفسير وهو يظهر مواضع الدقة في التعبير القرآني.

يرجع الفضل في هذا المنهج التفسيري إلى مدرسة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده للتفسير. وهذه المدرسة التي قام زعيمها ورجالها من بعده بمجهود كبير في تفسير كتاب الله تعالى.

صارت هذه المدرسة محمودة بما نظرت إلى القرآن الكريم نظرة بعيدة عن التأثير بالمذاهب التي تجعل القرآن تابعا لمذهبه. نهجت بالتفسير منهجا أدبيا اجتماعيا كاشفة عن بلاغة القرآن وإعجازه. وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصة بما أرشد إليه القرآن من هداية وتاليم وجلت للناس أن القرآن كتاب الله الخالد الذي يستطيع أن يساير التطور الزمني والبشري.

مهما حسنت تأثيرا في شتى مجالاتها الإجتماعية فإنها ساءت بعيب فهو أنها أعطت العقل حرية واسعة حتى عدلت بتأويل الحقائق إلى المجاز أو التمثيلي.

المنهج الإلحادي

أصحاب هذه المنهج من التفسير يكيدون للإسلام ويعملون لهدمه بكل ما يستطيعون من وسائل الكيد وطرق الهدم. منها تأويلهم للقرآن على وجوه غير صحيحة بما سولت نفوسهم من نحل خاسرة وأهواء وآراء سخيفة ومزاعم منبوذة تقبلها بعض المخدوعين من العامة. هؤلاء نظروا إلى القرآن نظرة حرة لا تتقيد بأي أصل من أصول التفسير. ويتضح لمن يطلع عليه منه لا يستند إلى حجة ولا يعتمد على دليل. وحسبوا أنهم أرضوا ضمائرهم مع ما اتهموا المفسرين

جميعا بأنهم تأثروا في تفاسيرهم بعقائدهم، فأمالوا آيات القرآن نحو آرائهم في تعسف ظاهر وتكلف غير مقبول.

من ميزة هؤلاء تهمتهم الشريعة الإسلامية بالقسوة في أحكمها وحدودها. فأولوا آيات الحدود بما يوافق هواهم وهوى أصحابهم، فحملوا الأمر فيها على الإباحة وجعل الأمر في ذلك مفوضا إلى ولي الأمر وحده.

إنّ الأمّة العربيّة والإسلاميّة في عصرنا الحاضر تواجه حملات شرسة لإبعادها وتغريبها عن دينها، كما أنّ الفتن التي تموج وتعرض على القلوب تسبّب ابتعاد كثيرٍ من المسلمين عن دينهم وشريعتهم وهدي نبيهم، وبالتّالي يكون تفسير القرآن الكريم حاجة ملحّة لتوضيح معاني آيات القرآن الكريم للنّاس من جديد حتّى يتذاكروا دينهم باستمرار ويتعلّموا أحكام شريعتهم الشّاملة الكاملة التي تتلاءم مع كلّ عصرٍ وحين، فالقرآن الكريم لم يأت لزمان معيّن وإنّما أتى لكل الأزمان والعصور حتّى قيام السّاعة.

تفسير القرآن الكريم هو علم يكشف باستمرار عن الإعجاز العلمي والبياني في القرآن الكريم، فكثيرٌ من الآيات القرآنيّة لم يتبيّن النّاس أسرارها إلا حديثًا عندما اكتشفت النّظريات العلميّة وظهرت الاكتشافات الطبيّة، على سبيل المثال في قوله تعالى (ومن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنّما يصّعد في السّماء)؛ فعندما اكتشف العلم الحديث أنّ الإنسان كلما ارتفع في السماء نقصت كميّة الأكسجين التي تدخل رئتيه وبالتالي ضاق صدره، وهذا حتمًا ما تعنيه الآية الكريمة التي تدلّ على أنّ القرآن الكريم فيه من العجائب والآيات الكثير التي تدلّ على عظمة الخالق سبحانه.

تفسير القرآن الكريم في ضوء العلوم الحديثة موضوع هام شغل به رجال كثير من الباحثين والدارسين ولا شك أن القرآن باق أبدى مع أن نظامه موافق لكل زمان ومكان. لأنه يتحدث إلى عقول الناس جميعا منذ نزوله إلى أن يرث الأرض ومن عليها. وأحكامه صالحة لجميع الناس على اختلاف الزمان والمكان. والقرآن يساير حياتهم بما كان هو كتاب الشريعة الشاملة الكاملة. المسلم المؤمن يكون على علم يقين بأنه كتاب الله، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

قبل الدخول إلى البحث في هذا النوع من االتفسير يحسن بنا الوقوف قليلا عند موقف القرآن الكريم من الحقائق العلمية الحديثة. والحق للمسلم أن القرآن ليس كتاب علمي، والغرض الرئيسي منه هو هداية البشر كقوله تعالى: "الم، كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد" (14: 1)، فالهداية تحتاج إلى قلب مطمئن بالإيمان ومنشرح بنوره.

ولا يزال صاحب هذا القلب المطمئن بتلاوة هذا الكتاب يجد ضالته من الهداية. والهدف الوحيد الذي يهدف إليه القرآن هو الهداية وما يترتب عليها من تقويم الفكر الإنساني وتصحيح المفاهيم. ولا يقل من شأن المرء شيئ إذا كان جاهلا عن العلوم الحديثة مثل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بحيث كانوا كلهم مهتدين بهدى القرآن بدون أدنى معرفة عن هذه المعلومات العلمية. حتى إن جندب بن عبد الله رضي الله عنه يقول كنا مع النبي صلى الله عليه وسم ونحن فتيان حراورة أي في إبان شبابنا وقوتنا فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا.

ومن جانب آخر قام القرآن بتوجيه خطابه للتفكير في الآيات الكونية في خلق الإنسان إلى من له تأمل وتدبر. وعدها من أوصاف المؤمنين المخلصين كما نرى ذلك في الآية: "الذين

يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار" (3: 190،191)، الفهم من الآية أن الآيات والعجائب الكونية لا تتبادر إلا أذهان أصحاب العقل المدعم بالعبادات والخشوع إلى الله والسهر له آناء الليل.

كما يمدح القرآن هؤلاء الناس من أهل الإيمان يذم من ليس له حظ من هذا الجانب من الإيمان، فلا تنفعه العلوم والإكتشافات مهما عظمت بقوله تعالى: "قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون" (10: 101)، وأولائك الذين لا يستطيعون الإطلاع بعقولهم على تلك العجائب الكونية.

والقرآن ليس بكتاب علمي وفي نفس الوقت يشير إلى العديد من الحقائق العلمية المختلفة باعتبارها حقائق كونية التي أبدعها الله. وعلى هذا استطاع الأولون أن يدركوا عظمة الخلق قائمين على إيمانهم لا على علومهم. فالعلم مجاله العلق والفهم كما أن الإيمان مجاله النفس والقلب، والإيمان ينبغي أن يكون أولا مستقرا في النفس حتى يكون حبيبا للمرء ثم يكون زينة له كما قال تعالى: "ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولائك هم الراشدون" (49: 7).

فإن التفسير القرآني هو واجب إيماني، وتكليف شرعي يخدم كتاب الله، وللتفسير مناهجه وألوانه الكثيرة والمتعددة، وإن التوافق بين الحقائق العلمية والآيات القرآنية هو لون من ألوان التفسير القرآني، وهو دليل قاطع على الوحي والنبوة وأن القرآن كلام الله ومن عنده وهو سبيل لهداية الذين لا يتكلمون العربية، ولا يدركون ذلك الوجه اللُغوي في القرآن الكريم.

ومعلوم أن لغة اليوم هي لغة العلم والكشف والاختراع، فهي الأساس والمعتمد والمحور الرئيس للتفاهم وتبادل الآراء، وقد نالت هذه اللغة الصدارة في معظم الميادين والأصعدة، وقد أثبتت جدارتها وأصالتها في الوصول إلى الأهداف والغايات التي يصبو إليها كل طموح مقدام.

والتفسير العلمي هو أحد فروع هذه اللغة النابعة من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهي لغةٌ عامة لكل من طرق أبواب العلم والمعرفة، ليدرك الجميع ذلك الدليل القاطع الذي يُثبت بلا شك ولا ريب أن القرآن كلام الله ومن عند الله ويستحيل على الإنس والجن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً، قال تعالى: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ(41: 53).

وهذه والحقيقة يقرُّ بها كلُّ عاقل حكيم لا يركن إلى إفراط أو تفريطٍ، ومع ذلك فقد وُجد مَن أنكر هذا الأمر ولعل ذلك نتيجةً لإفراط المسرفين الذين تجاوزوا الحد المعقول في الميل إلى التفسير العلمي القرآني فكانت ردة الفعل المعاكسة المتمثلة في موقف المنكرين.

ومن الحق والإنصاف في هذا المقام أن نستعرض أبرز الأقوال والآراء للفريقين المتقابلين في هذا الميدان لنرى مدى ذلك القبول أو الرد من خلال ما كتبوا وقالوا، ليكون ذلك أقرب للتقوى، وأبعد عن التقول على أحد.

أما قواعد العلوم وما تقوم عليها من النظريات فلا قرار لها ولا بقاء. لأن نظرية علمية قال بها عالم اليوم ثم رجع عنها بعد الغد فهو يخطئ في نظريته. وأمام سمعنا وبصرنا من المثل ما يشهد بأن كثير من جوامع العلوم لا يضبطها اليوم أحد إلا يغير ضبطه بعد ذلك عنده أو عند غيره. وقد وجد بين نظريات العلوم الحديثة من تناف وتضاد، ويكون القرآن محتملا لجميع هذه النظريات والقواعد العلمية على ما بينهما من التنافي والتضاد وهذا غير معقول. والقرآن لا يعني بهذا اللون من حياة الناس ولا يتعهده بالشرح ولا يتولاه بالبيان.

فمثلا أشار القرآن الكريم إشارات صريحة إلى دوران الأفلاك والنجوم السماوية خلافا لما يتوقعها العلماء المتقدمون وحتى المتأخرين منهم وكان بطليموس الرائد الأول في الدراسات الفضائية وعلم الأفلاك يزعم أن الأرض ثابتة لا تتحرك، وأن الأفلاك والنجوم لما فيها الشمس

تدور حولها. حتى جاء العالم كوبر نكس وغليليو وقاما بتنفيذ تلك المزاعم وصدعا لما لم يجترأ عليه الأسلاف. وقالوا إن الأرض هي التي تدور حول الشمس وأن الشمس ثابتة مستقرة. والقرآن لا يقف إلى جانب هؤلاء ولا أولئك حيث يقول: "الشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم" (36:38)، كما أنه أثبت دوران جميع النجوم والأفلاك قائلا وكل في فلك يسبحون.

يبدو لنا أن أنصار هذه الفكرة – فكرة التفسير العلمي – لم يقولوا بها ولم يعملوا على تغييرها حتى ينظروا إليها كوجه من وجوه الإعجاز القرآن الكريم، وبيان صلاحيته للحياة. فلا يجحج أن إعجاز القرآن غني عن أن يسلك في بيانه هذا المسلك الذي هو يذهب بالإعجاز. ولكن القائلين من أرباب هذا المنهج في التفسير يستندون ما تناولوا بعض آيات القرآن من حقائق الكون ومشاهده التي بثها الله في الآفاق وفي أنفسهم إلى دعواهم بأن القرآن قد جمع علوم الأولين والآخرين فهؤلاء في رأيهم مخطئون.

وهناك وجه آخر يجدر بالذكر، أن الآيات القرآنية الكونية هي مدار إثبات وجود الله سبحانه وتعالى ووحدانيته بدلالة قطعية برهانية، وبعبارة أخرى يمكن القول إن الآيات القرآنية الكونية لها مكانة خاصة في الدعوة إلى الله خصوصا في هذا العصر، عصر العلوم حتى كشف من الأسرار ما كشف وبلغ من المادية ما بلغ.

والمقصود بالآيات الكونية، الآية القرآنية المتعلقة بالكون المشهود من حيث هو روح وعقل واختيار، ولا يخفى على من يلقى السمع وهو شهيد – كما قدمنا من قبل – أن الله لم ينزل كتابه بما فيه آيات كونية وغير كونية إلا لهداية النفس الإنسانية، وليس فيه شيئ يضل الناس عن دينهم، وعن ليس في القرآن حركة ولا حرف إلا لمغزي كما أشار إلى ذلك الأستاذ الفخر الرازي حين قال في أثناء تفسيره قصة لوط في سورة العنكبوت وما من حرف ولا حركة

في القرآن إلا وفيه فائدة ثم إن عقول البشرية تدرك تعضها ولا تصل إلى أكثرها وما أوتي البشر من العلم إلا قليلا.

وأسلوب القرآن الكريم، معجز ظاهر محكم باطنه لكن النظر في الآيات الكونية في القرآن الكريم ابتغاء الإهتداء إلى ما أودعه الله فيها من أسرار الفطرة والطبيعة يحتاج من الإحتياط في البحث، ومن الدقة في المطابقة والإستنباط منا هو دأب علماء الفطرة في البحث عن أسرار الفطرة.

ومما يلفت نظر الباحث أن تفسير آيات القرآنية الكونية في كل عصر بعد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم يكون على قدر علم أهله. منه ما هو أقرب إلى التخمينات منه إلى الحقائق، ومنه ما فيه من تعظيم قدرة الله وحكمته ما يكفي لحمل السامع على تسبيح الله وتمجيده حتى يقول ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار.

الإشارات العلمية بآيات القرآن الكونية ليست من الوضوح بحيث يدرك مدلولاتها العلمية غير المتخصصين في العلوم الكونية الذين لم تتوفر لهم المعارف والحقائق والعلوم. ولم يكن من السهل على المسلمين الأوائل أن يتعرفوا عليها كإشارات علمية قابلة للبحث والاستقصاء العلمي.

المسار العلمي للتعرف على ما تحمله الإشارات العلمية للقرآن من معارف كونية لا يبدأ من النصوص القرآنية ثم يتجه إلى المعامل للبحث والتجريب، ولكنه يبدأ من الكشوف الكونية على أيدي العلماء – مسلمين وغير مسلمين – ثم يتجه إلى الآيات القرآنية لتطابقها وتوضحها وتشرحها، مصداقاً لقوله تعالى: ‘ولتعلمنّ نبأه بعد حين’ سورة صاد، وتمشياً مع سنن الله سبحانه وتعالى في إظهار آياته الكونية التي يشير إليه قوله سبحانه وتعالى: سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق... (سورة فصلت) فالبحث العلمي يبدأ من الكون

المنظور، ثم يتجه إلى آيات الله المسطورة وهي القرآن الكريم ويشرح معانيها، فيما يعرف بالتفسير العلمي للقرآن الكريم.

الفصل الثاني

تفسير الآيات البحرية عبر القرون

التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبين محمد صلى الله عليله وسلم، ولبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والصرف وعلم البيان وأصول الفقه والقرراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

فإذا كان كل عصر من العصور له سماته وخصائصه، فان المنهج العلمي هو السمة البارزة من سمات عصرنا الحاضر، أن تكثر الدراسات العلمية المتعلقة بآيات القران الكريم والسنة المطهرة في مجالات الحياة وبصورة عامة : طبية ...فلكية ...نباتية ...حيوانية.

ولا عجب في ذلك فإن القران الكريم يقوم على العلم، ولا تتناقض أية آية من آياته مع أية حقيقة علمية ثابتة، وهذا الجانب العلمي له أثر بالغ الأهمية لدى مثقفي عصرنا الحاضر فقد أولوه من الاهتمام أعظمه، بعد تلك الفترات المظلمة التي كان المسلمون فيها مقلدين لكل ما جاء به الغرب من نظريات صحيحة أو غير صحيحة .

التفاسير المختلفة عبر القرون

لا شكّ أنّ الصحابة، ممّن رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ كانوا هم مراجع الأمّة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذ كانوا حاملي لوائه ومصادر شريعته إلى الملأ، نعم كانوا على درجات من العلم والفضيلة، ولا يشكّ أحد بأنّ الإمام عليّ عليه السلام الّذي ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير كان في صدارة هؤلاء الصحابة والتلامذة النجباء لرسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم ، وعرف من أسباب النزول ما لا يعرفه أحد لملازمته للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

اشتهر بالتفسير من الصحابة أربعة، لا خامس لهم في مثل مقامهم في العلم بمعاني القرآن، وهم؛ عليّ بن أبي طالب عليهما السلام: وكان رأساً وأعلم الأربعة، وعبد الله بن مسعود، وأُبيّ بن كعب، وعبد الله بن عباس، كان أصغرهم وأوسعهم باعاً في نشر التفسير.

نمى التفسير بعد عصر الصحابة، وذلك بحاجة الناس إليه بأسباب بعد إنتشار الإسلام، واتسع رقعة الدولة الإسلام، ودخل العجم إلى الإسلام. إن جميع مؤلفي علوم القرآن اعتبر التابعين ثلاث طبقات، طبقة أهل مكة، وطبقة أهل المدينة، وطبقة أهل العراق.

تفسير الإمام مجاهد بن جبر

هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر، ويقال: ابن جبير المكي أبو محمد، القرشي المخزومي، مولاهم، الفارسي أصلا. ولد بمكة المكرمة في خلافة أمير المؤمنين عمر الخطاب رضي الله عنه سنة 21 هجرية. وبولادته في هذه الفترة التي هي فترة انتشار الصحابة في البلاد، وبأخذه عن جملة منهم كما يأتي بحول الله، فإنه يعد من طبقة التابعين. توفي الإمام مجاهد بن جبربمكة المكرمة، وكانت وفاته بين عامي 104 هـ.

اشتهر هذا التفسير بما نقله عنه أئمة الحديث والتفسير منذ عهد البخاري إلى عهد المفسر الطبري، إلى ما بعدهما، وكان الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – بصفة خاصة قد اعتمد على تفسير مجاهد بواسطة روايته المتصلة بصاحبه، بحيث يمكننا أن نستخرج جل نصوص تفسير مجاهد من تفسير الطبري مع عدة روايات.

فتفسير مجاهد من التفاسير التي نقلت عن أصحابها بواسطة الرواة، ومجاهد يروي ما يمليه على تلاميذه مما سمعه من حبر الأمة ابن عباس وغيره من الصحابة، ثم يستعمل رأيه في تفسير بعض الكلمات اعتمادا على ما يعرفه من المعاني اللغوية، كما يستعمل رأيه في توضيح بعض الدلالات لحملها على محمل معروف من الحقيقة والمجاز. وبذلك عُد مجاهد في تفسيره هذا المروي عنه من أوائل من جمع بين المأثور في التفسير وبين شيء من الرأي والتأويل والإشارة إلى المعاني البلاغية.

وقد فسر المفسر مجاهد بن جبر عن الآية "مرج البحر يلتقيان، وبينهما برزخ لا يبغيان" يفسر عن البرزخ والحجر المحجور بين البحرين لآية سورة الفرقان 53 البرزخ يعني المحبس وكذلك "أنهما يلتقيان ولا يختلطان" و"لا يختلط المر باالغذب"[153].

ويفسر عن الآية البحر المسجور يعني الموقد وفي رواية أخرى يقول "بحر تحت العرش، وهذا رأي بعيد"[154]، ويفسر كذلك عن تسخير البحر للسفر كما قال تعالى وترى الفلك مواخر فيه: تمخر الرياح السفن، ولا تمخر فيها إلا الفلك العظام[155].

من عصر التدوين إلى العصر الحديث

وقد مضى عصر الصحابة والتابعين، وكان التفسير في حياتهم كما وجدنا تناول الرواية بعضهم عن بعض، وهذه كانت الخطوة الأولى للتفسير، وبعد مضيء عهدهم خطا التفسير

---

[153] الإمام مجاهد بن حجر، تفسير الإمام مجاهد بن حجر، ج1، ص 505، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مدينة نصر.

[154] نفس المرجع ص 623

[155] نفس المرجع ص 420

خطوة ثانية، وذلك ابتدأ تابعوا التابعين، تدوين ما حصل عليهم من أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصحابة الكرام، والتابعين الأجلاء. وهذه الخطوة يعني التدوين ممتدة إلى عصرنا الحاضر مع تضمن الأفكار والآراء والإجتهاد التي جرت بعد التابعين، أما في بداية هذه الخطوة أو المرحلة نجد التدوين هو رواية التدوين من تفسير منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أو إلى الصحابة، أو إلى التابعين..

جامع البيان في تأويل القرآن للطبري

هو محمد بن جرير بن غالب الطبري، والمعروف باسم أبو جعفر الطبري، والذي يعتبر واحداً من أهم أئمة الإسلام، فقد كان مفسراً، وفقيهاً، ومؤرخاً، أصيلاً وبعيداً عن التقليد، ومجتهداً في أحكامه التي يصدرها، ويشار إلى أنّه صاحب أكبر، وأفضل كتابين في مجال التاريخ، والتفسير، وهما: تفسير الطبري، وتاريخ الطبري، وفي هذا المقال سنعرفكم بشكلٍ أكبر على هذا الإمام المسلم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن أو جامع البيان في تأويل القرآن المعروف بـ"تفسير الطبري" للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري، هو من أشهر الكتب الإسلامية المختصة بعلم التفسير القرآن الكريم عند أهل السنة والجماعة، ويُعِدَه البعض المرجع الأو للتفسير المأثور، حيث يذكر الآية من القرآن الكريم، ثم يذكر أقوال الصحابة والتابعين في تفسيرها، ويهتم بالقراءات المختلفة في كل آية ويرجح إحداها، ويذكر الأحاديث النبوية والأحكام الفقهية، ويشتهر عنه كثرة القصص الإسرائيلي أو ما يُسمى الإسرائيليات ، واعتني به العلماء والباحثون كثيرًا.

يعد تفسير الطبري من أشهر الكتب الإسلامية المختصة بعلم التفسير، ويُعِدَه البعض المرجع الأول للتفسير بالمأثور، فمن العلماء من يضعه أفضل كتب التفسير، ومنهم من يُفضّل تفسير ابن كثير عليه.

وفي قول عن البحر المسجور: "اختلف أهل التأويل في معنى البحر المسجور، فقال بعضهم: الموقد، وتأول ذلك: والبحر الموقد المحمي"[156]

وأخيرا وهو يقول "فإذا كان ذلك الأغلب من معاني السجر، وكان البحر غير موقد اليوم، وكان الله تعالى ذكره قد وصفه بأنه مسجور، فبطل عنه إحدى الصفتين، وهو الإيقاد صحت الصفة الأخرى التي هي له اليوم، وهو الإمتلاء، لإنه كل وقت ممتلئ"[157].

وهكذا يفسر مرج البحرين والبرزخ بين البحار في تفسيره : وقوله: مرج البحرين يلتقيان، يقول تعالى ذكره: مرج رب المشرقين ورب المغربين البحرين يلتقيان، يعني بقوله: مرج: أرسل وخلى، من قولهم، مرج فلان دابته: إذا خلاها وتركها. واختلف أهل العلم في البحرين الذين ذكرهما الله جل ثناؤه في هذه الآية، أي البحرين هما؟ فقال بعضهم: هما بحران: أحدهما في السماء، والآخر في الأرض"[158].

وقوله: بينهما برزخ لا يبغيان، يقول تعالى ذكره: بينهما حاجز وبعد، لا يفسد أحدهما صاحبه فيبغي بذلك عليه، وكل شيئ كان بين شيئين فهو برزخ عند العرب، وما بين الدنيا والآخرة برزخ[159].

---

[156] إمام الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تاويل آي القرآن، ج7، ص 127، مؤسسة الرسالة، بيروت

[157] نفس المرجع ص 128

[158] نفس المرجع ص 182

[159] نفس المرجع ص 183

يقول تعالى ذكره: والله الذي خلط البحرين، فأمرج أحدهما في الآخر وأفاضه فقه، وأصل المرج الخلط، ثم يقال للتخلية مرج، وقوله: هذا عذب فرات، الفرات: شديد العذوبة، يقال: هذا ماء فرات: أي شديد العذوبة. وقوله: وهذا ملح أجاج، يقول: وهذا ملح مر، يعني بالعذب الفرات، مياه الأنهار والأمطار، وبالملح الأجاج: مياه البحار. "وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا" معناه: إنه جعل بينهما حاجزا من الأرض أو من اليبس"[160]

تفسير الكشاف للزمخشري

أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، برع في الآداب، وصنف التصانيف، وَرَدَ العراق والخراسان ما دخل بلدا إلا واجتمعوا عليه، وتتلمذوا له، وكان علامة نسابة.

كما استخدم الزمخشري في تفسيره لكتاب الله نفس المنهج الذي استخدمه في تنقيح السنة النبوية، حيث قام باستخدام وتحكيم العقل في تفسير آيات كتاب الله وتتلمذ على يده في علم التفسير العديد من العلماء. برع الزمخشري أيضا في الشعر حيث له بيوت شعر عديدة كتبها في عدة مناسبات مختلفة وتم نقلها عن تلامذته والمؤرخين.

سلوكه فيما يقصد إيضاحه طرق السؤال والجواب كثيراً، ويعنون السؤال بكلمة "فإن قلتَ" ويعنون الجواب بكلمة "قلتُ".وهكذا نجد الأئمة الذين تكلموا على الإمام الزمخشري وعلى تفسيره

[160] إمام الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تاويل آي القرآن، ج5، ص 478، مؤسسة الرسالة، بيروت

من الناحية الاعتزالية قد أثنوا عليه من الناحية الأدبية والبلاغية واللغوية. حشوه لكتابه بالاعتزاليات، حتى قال البلقيني:" أخرجت من الكشاف اعتزاليات بالمناقيش[161].

ومن محاسن القدر والعلم والتحرير، أن اعتنى كثير من علماء الأمة بهذا الكتاب، سواء من ناحية الرد على ما بألفاظه من اتجاهات اعتزالية، وتقريرات مذهبية نحو المعتزلة، أو تخريج أحاديثه وتحقيقها.

يقول الزمخشري عن إختلاط البحر والحجر بينهما، ويقول: سعى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة والأجاج نقيضه، ومرحعهما خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم، وبحران أحدهما مع الآخر ممزوج وماء كقوله تعالى: بغير عمد ترونها، يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته، وقرئ ملح على فعل وقيل: كأنه حذف من مالح تخفيفا كما قال: وصلينا بردا يريد باردا"[162]. وكذالك يقول عن البحر المسجور: والبحر المسجور، المملوء، وقيل: الموقد، من قوله تعالى: وإذا البحار سجرت، وروى أن الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار كلها نارا تسجر بها نار جهنم[163].

ويفسر عن اللؤلؤ والمرجان في تفسيره "اللؤلؤ الدر، والمرجان هذا الحجز الأحمر وهو البسذ، وقيل: اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره"[164]

---

[161] شرح العقيده الطحاوية للبراك، الباقلاني

[162] الإمام ابن عمر الزمخشري الخوارزمي، تفسير الكشاف ج2، ص 749، دار المعرفة، بيروت، لبنان

[163] نفس المرجع ص: 1055

[164] نفس المرجع ص: 1070

ويفسر عن اللحوم البحار عن موضع آخر: قال الله تعالى في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه ‘ومن كل’ أي ومن كل واحد منهما ‘تأكلون لحما طريا’ وهو السمك ‘وتستخرجون حلية’ وهي اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه في كل ‘مواخر’ شواق للماء بجريها يقال: مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب بذات مخر لأنها تمخر الهواء والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر لأنها تسفن الماء كأنها تقشره كما تمخره من فضله أي من فضل الله[165].

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي

محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح كنيته أبو عبد الله ولد بقرطبة بالأندلس إذ تعلم القرآن وقواعد اللغة العربية وتوسع بدراسة الفقه والقراءات والبلاغة وعلوم القرآن وغيرها كما تعلم الشعر أيضا، وهو يعتبر من كبار المفسرين وكان فقيهًا ومحدثًا ورعًا وزاهدًا متعبدًا.

الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمَّنه من السنة وآي الفرقان: وهو كتاب التفسير المعروف، والذي أصبح ذكره لصيقًا بذكر الإمام القرطبي؛ ذلك أن هذا التفسير هو أبرز مؤلفاته، هذا من جهة، ومن جهة أخرى؛ فإنه من أعظم كتب التفسير – كما شهد بذلك العلماء – وهذه نُبذ منها: قال عنه ابن فرحون: جمع في تفسير القرآن كتابًا كبيرًا في اثني عشر مجلدًا، سماه: "كتاب جامع أحكام القرآن، والمبين لما تضمن من السنة وآي القرآن"، وهو من أجلِّ التفاسير وأعظمها نفعًا، أسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن، واستنباط الأدلة، وذكر القراءات، والإعراب، والناسخ والمنسوخ[166]، وقال عنه العلامة الصفدي: "وقد

---

[165] نفس المرجع ص: 883

[166] الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (ص: 407.(

سارت بتفسيره الركبان، وهو تفسير عظيم في باب[167]"، وقال عنه ابن العماد: و"التفسير الجامع لأحكام القرآن" الحاكي مذاهب السلف كلها، وما أكثر فوائده [168]

قال الإمام القرطبي في تفسيره عن البرزخ بين البحار: مرج البحرين يلتقيان وبينهما برزخ لا يبغيان، أي مرج أي خلى وأرسل وأهمل، يقال: مرج: خلط. وقال الأخفش، ويقوم قوم، أمرج البحرين، مثل مرج، فعل وأفعل بمعنى. البحرين، قال ابن عباس: بحر السماء وبحر الأرض، قاله مجاهد وسعيد يلتقيان في كل عام، وقيل: يلتقي طفاهما[169].

وكذلك وهو يقول عن اللؤلؤ والمرجان: أي يخرج لكم من الماء اللؤلؤ والمرجان، كما يخرج من التراب الحب والعصف والريحان[170]، وقال: منهما: وإنما يخرج من الملح لا العذب، لأن العرب تجمع الجنسين ثم تخبر عن أحدهما.

ويقول الإمام عن لحوم البحار: ومن كل تأكلون لحما طريا، لا اختلاف في أنه منهما جميعا، وقد مضى في النحل، الكلام فيه. والثانية قوله تعالى وتستخرجون حلية تلبسونها، منهب أبي اسحاق أن الحلية إنما تستخرج من الملح، فقيل: منهما، لأنهما مختلطان. وقال غيره: إنما تستخرج الأصداف التي فيهاالحلية – من الدر وغيره – من المواضع التي فيها العذب والملح نحو العيون، فهو مأخوذ منهما، لأن في البحر عيونا عذبة، وبينهما يخرج اللؤلؤ عند التمازج. وقيل من مطر السماء[171].

---

[167] الوافي بالوفَيَات 2 / 87.

[168] شذرات الذهب في أخبار من ذهب 5 / 335.

[169] الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج20، ص 127، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان

[170] نفس المرجع ص 129

[171] الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج20، ص 363، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان

تفسير القرآن العظيم لابن كثير

هو العلامة الإمام الشيخ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع القرشي عالم مسلم ومفت ومحدث وفقيه وحافظ ومفسر ومؤرخ والده عمر بن كثير كان خطيب في مسجد جامع بمدينة بصرى حيث كان يعود أصله إلى البصرةالمكان الذي نزح منه. لقد توفي ابن كثير في سنة 774 هـ بدمشق حيث كان عمره 74 سنة.

تفسير القرآن العظيم المشهور بـ"تفسير ابن كثير" لإبن كثير، هو من أشهر الكتب الإسلامية المختصة بعلم تفسير القرآن الكريم، ويُعدُّ من أشهر ما دُوِّن في موضوع التفسير بالمأثور أو بعلم تفسير القرآن الكريم، فيعتمد على تفسير القرآن بالقرآن والسنة النبوية وكذلك يذكر الأحاديث والآثار المسندة إلى أصحابها، وأقوال الصحابة والتابعين، كما اهتم باللغة العربية وعلومها، واهتمبالأسانين ونقدها، واهتم بذكر القراءات المختلفة وأسباب نزول الآيات، كما يشتمل على الأحكام الفقهية، ويعتني بالأحاديث النبوية، ويشتهر بأنه يخلو من الإسرائيليات تقريبًا، ويضعه البعض بعد تفسير الطبري في المنزلة، ويفضله آخرون عليه.

يعد تفسير ابن كثير من أشهر الكتب الإسلامية المختصة بعلم تفسير القرآن الكريم، وخاصة التفسير بالمأثور أو تفسير القرآن بالقرآن، ويضعه البعض بعد تفسير الطبري في المنزلة، ويفضله آخرون عليه، وشهرته تعقب شهرة تفسير الطبري عند المتأخرين.

يقول ابن كثير عن تسخير البحر للإنسان: فترى الفلك فيه مواخر، أي تمخره وتشقه بحيزومها، وهو مقدمها المسنم الذي يشبه جؤجؤ الطير. وقال مجاهد: تمخر الريح السفن، ولا يمخر الريخ من السفن إلا العظام[172].

[172] ابن كثير، تفسيرالقرآن العظيم، ج6 ص 540، دار طبية للنشر والتوزيع.

وكذلك وهو يفسر عن لحوم البحار والحلية التي تأخذ من البحر: ومن كل تأكلون لحما طريا يعني السمك، وتستخرجون حلية تلبسونها، كما قال تعالى: يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان[173].

وقوله: مرج البحرين يلتقيان: قال ابن عباس: أي أرسلهما، يلتقيان: قال ابن زيد: أي منعهما أن يلتقيا، بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما. والمراد بقوله: البحرين: الملح والحلو، فالحلو هذه الأنهار السارحة بين الناس[174].

ومن تفسير ابن كثير عن ظلمات البحر: فمثل الكفار كالبحر العميق، قال تعالى: أو كظلمات في بحر لجي، قال قتادة: وهوالعميق، يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها، أي لم يقارب رؤيتها من شدة الظلام، فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يدري أين يذهب[175].

تفسير الجلالين

ألف القسم الأول منه جلال الدين المحلي حيث بدأ بالتفسير من سورة الكهف إلى سورة الناس، إضافة إلى سورة الفاتحة، وتوفي المحلي سنة 864 هـ قبل أن يكمل باقي التفسير، فأتمه بعد وفاته السيوطي، فابتدأ بتفسير سورة البقرة حتى سورة الإسراء ومن هنا جاء اسمه 'تفسير الجلالين'.

---

[173] نفس المرجع، ص 540

[174] ابن كثير، تفسيرالقرآن العظيم، ج7 ص 492، دار طبية للنشر والتوزيع.

[175] ابن كثير، تفسيرالقرآن العظيم، ج6 ص 71، دار طبية للنشر والتوزيع.

وتفسير الجلالين متن متين متقن محرر، يمكن أن يربى عليه طالب علم في التفسير، إلا أنه في مسائل الاعتقاد له مخالفات في التأويل في الصفات وغيرها ينبه عليها الطالب ويقرأه على حذر.

ومنهج المؤلِّفين في هذا التفسير كان يقوم على ذِكْرِ ما تدل عليه الآيات القرآنية، وما يُفهم منها، ومن ثَمَّ اختيار أرجح الأقوال وأصحها. ويقوم كذلك على إعراب ما يحتاج إلى إعراب، دون توسُّع أو تطويل يُخرج عن القصد، بل في حدود ما يفي بالغرض، ويوضح المقصود والمطلوب .

ومما يُؤخذ على هذا التفسير أنَّ مؤلِّفيه لم يلتزما منهج أهل السنة والجماعة في مسائل الأسماء والصفات، التي أجمع السلف على إثباتها، دون تحريف، أو تعطيل، أو تكييف، أو تمثيل.

اللؤلؤ والمرجان في تفسير الجلالين: خرز أحمد أو صغار اللؤلؤ، ويقول لإمتزاج البحرين، مرج يعني أرسل البحرين أي العذب والملح، يلتقيان: في رأي العين، وبينهما برزخ لا يبغيان أي حاجز من قدرته تعالى لايبغي واحد منطهما على الآخر فيخطلت به[176]. ويقول عن ظلمات البحر العميق، ويقول: كظلمات في بحر لجي أي عميق، يغشاه موج من فوقه أي الموج موج من فوقه أي الموج الثاني، سحاب أي غيم هذه ظلمات بعضها فوق بعض أي ظلمات البحر، ظلمة الموج الأول وظلمة الثاني وظلمة السحاب[177].

وكذالك يقول: وما يستوي البحران هذا عذب فرات، شديد العذوبة، سائغ شرابه أي شربه، وهذا ملح أجاج أي شديد الملوحة، ومن كل أي منهما، تأكلون لحما طريا هو السمك

[176] جلال الدين المحلي، تفسير الجلالين، ج1، ص 631، القاهرة.

[177] جلال الدين المحلي، تفسير الجلالين، ج1، ص 355، القاهرة.

تستخرجون من الملح وقيل: منهما حلية تلبسونها هي اللؤلؤ والمرجان، وترى الفلك أي تبصر السفن فيه في كل منهما مواخر أي تمخر الماء أي تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة[178].

الجواهر في تفسير القرآن الكريم لطنطاوي جوهري

حكيم الإسلام الشيخ "طنطاوي جوهري، العالم الفيلسوف صاحب "الجواهر في تفسير القرآن الكريم" من العلماء الموسوعيين الذين جمعوا بين علوم كثيرة يبدو بعضها متناقضا، فكان من علماء الأزهر، وصاحب منهج تفسيري في كتابه "الجواهر" حول العلاقة بين آيات القرآن والعلم، وكان من دعاة السلام العالمي، و من المناضلين الوطنيين ضد الاستعمار ومن المنضمين لغالبية الحركات والجمعيات الإسلامية التي نشأت في تلك الفترة من التاريخ، ووصفه الزعيم مصطفى كامل بأنه "حكيم الإسلام."

فاهتم البارون 'كراديفوا' به في كتابه "مفكرو الإسلام" ووصفه بأنه واحد من المصلحين الذين ربطوا بين جوهر الإسلام وبين النهضة الحديثة ، يقول "كراديفو": إن الأزهر أظهر ثلاثة مصابيح: محمد عبده ورفاعة الطهطاوي وطنطاوي جوهري.

وفي هذا التفسير طبق الشيخ طنطاوي جوهري القرآن على النظريات الحديثة، أو استخراج النظريات العلمية من نصوص كتاب الله؛ فجاء مزيجاً من علوم الأمم قديمها وحديثها. مع التوفيق بين الآراء الحديثة والأفكار الدينية.

[178] جلال الدين المحلي، تفسير الجلالين، ج1، ص 435، القاهرة.

يتحدث في مقدمة التفسير عن البواعث التي دفعته لتأليفه فيقول: أما بعد فإني خلقت مغرما بالعجائب الكونية معجبا بالبدائع الطبيعية مشوقا إلى ما في السماء من جمال وما في الأرض من بهاء وكمال آيات بينات وغرائب باهرات، ثم إني لما تأملت الأمة الإسلامية وتعاليمها الدينية ألفيت أكثر العقلاء وبعض جلة العلماء عن تلك المعاني معرضين، وعن التفرج بها ساهين لاهين فقليل منهم من فكر في خلق العوالم وما أودعت من الغرائب فأخذت أؤلف لذلك كتابي[179].

سمى تفسيره "الجواهر في تفسير القرآن الكريم" لأنه يجعل الجوهرة بدل الباب أو الفصل والجوهرة يتفرع عنها الماسة الأولى والماسة الثانية وهكذا.

طريقته في تفسير القرآن أن يبدأ بالتفسير اللفظي للآيات التي يعرض لها ثم يتلوه بالشرح والإيضاح، أي أنه يشرح متوسعا في الفنون العصرية المتنوعة. كان يضع في تفسيره كثيرا من صور النباتات والحيوانات ومناظر الطبيعة وتجارب العلوم بقصد التوضيح والبيان.

يقول الشيخ طنطاوي جوهري عن اللؤلؤ والمرجان من القرآن الكريم: اللؤلؤ هو الدر المخلوق في الصدف، والمرجان الجرز الأحمر، وهما يختلطان من الملح وحده، وانما تكون عبر بقوله منهما لأن العذب والملح بحر واحد لا ينفصل أحدهما عن الآخر، لأن الأنهار والجداول إنما تكون من ماء الأمطار، وماء الأمطار من البخار، والبخار من البحار، والبحار إليها يرجع ماء الأنهار في جريه فاذن الملح والبخار والسحاب والأنهار كرة واحدة تحيط الأرض[180].

---

[179] الشيخ طنطاوي جوهري، مقدمة تفسير الجوهري، مصطفي الحبلي، مصر

[180] الشيخ طنطاوي جوهري، تفسير الجوهري، ج 24، ص 18، مصطفي الحبلي، مصر

وكذلك يقول طنطاوي جوهري عن إختلاط البحر والبرزخ بينهما، يقول: مرج البحرين أي أرسلهما، يقال مرجت الدابة أرسلتها: أي أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاوين متلاقيين، فترى العذبة يخرج من الجبال كنيل مصر يجري من جبال القمر وراء خط الإستواء فيمر شمالا حتى يصب في البحر الأبيض المتوسط، فلا الملح يطغى على العذب فيجعله ملحا، ولا العذب يجعل البحر الملح مثله، يلتقيان: ومع هذا الإلتقاء منعهما الله عما في تطبعهما بالبرزخ، وهو ما يحجزهما ويصدهما عن الإختلاط والإمتزاج وهو قوله بينهما برزخ أ حاجز إلهي لا يبغيان أي لا يختلطان ولا يتغيران[181].

[181] الشيخ طنطاوي جوهري، تفسير الجوهري، ج 24، ص 17، مصطفي الحبلي، مصر

الفصل الثالث

المقارنة بين الدراسات التقليدية والحديثة عن علم البحر في تفاسير القرآن الكريم

إن لكان كل عصر من العصور له سماته وخصائصه ان المنهج العلمي هو السمة البارزة من سمات عصرنا الحاضر، وفي هذا العصر تكاثرت الدراسات العلمية المتعلقة بآيات القران الكريم والسنة المطهرة في مجالات الحياة المختلفة: طبية، فلكية، نباتية، حيوانية وغيرها. ولا عجب في ذلك فإن القران الكريم يقوم على العلم، ولا تتناقض أية آية من آياته مع أية حقيقة علمية ثابتة، وهذا الجانب العلمي له أثر عميق أهمية كبرى لدى علماء عصرنا الحاضر.

البرزخ بين البحار

فسر بعض من المفسرين في قديم الزمان مرج البحرين والبرزخ بين البحار في تفسيرهم : قائلين: مرج البحرين يلتقيان، يقول تعالى ذكره: مرج رب المشرقين ورب المغربين البحرين يلتقيان، يعني بقوله: مرج: أرسل وخلى، من قولهم، مرج فلان دابته: إذا خلاها وتركها. واختلف أهل العلم في البحرين الذين ذكرهما الله جل ثناؤه في هذه الآية، أي البحرين هما؟ فقال بعضهم: هما بحران: أحدهما في السماء، والآخر في الأرض"[182]، كالإمام الطبري والمجاهد وغيرهما.

[182] إمام الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تاويل آي القرآن، ج7، ص 127، مؤسسة الرسالة، بيروت

أما بعضهم كالإمام الزمخشري وطنطاوي جوهري وغيرهما وصفوا هذا الإختلاط في البحر في تفسيرهم ولكنهم ما استطاعوا لتصويره الحقيقي وتبيين كيفية هذا الإختلاط هذا وكذلك البرزخ أو الحجر المحجور بينهما.

أما في العصر الحديث قد اكتشف العلم الحديث في قوله تعالى: وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً، سورة الفرقان، الآية:53، ومرج البحرين يلتقيان وبينهما برزخ لا يبغيان" أن هذا هو وصف لنظام المصب، وتوضيح لامتزاج الماء العذب وماء البحر، وأن منطقة الامتزاج محمية ببعض القيود على ما يدخل إليها أو يخرج منها. وقد برهن العلم الحديث على خواص المصب بهذه. كما برهنت علوم الأحياء الحديثة على أن هذه المنطقة هي منطقة محصورة تعيش فيها بعض الحيوانات الخاصة بهذه البيئة.

وبالإضافة إلى بيان وجود هذه الحواجز بين الماء العذب والماء البحر المالح فقد ذكر القرآن الكريم أيضاً وجود حواجز مماثلة في البحار نفسها قال تعالى: مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان، سورة الرحمن، الآية: 19،20 وتشبه هذه الحواجز الحدود المائية بين مياه المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط، وبين مياه البحر الأحمر وخليج عدن وفي مواقع أخرى في بحار العالم.

ظلمات البحر العميق

وقد فسر المفسرون في العصور الماضية عن الآية التي ورد فيها القرآن الكريم عن ظلمات البحر العميق أن هذه ظلمة تحت البحار، بسبب أنه ليس عندهم أي دليل عن كيفية هذه الظلمة تحت البحار. وقد فسر المفسر الإمام ابن كثير في تفسيره عن ظلمات البحر: مثل الكفار كالبحر العميق، قال تعالى: أو كظلمات في بحر لجي، قال قتادة: وهوالعميق، يغشاه

موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها، أي لم يقارب رؤيتها من شدة الظلام، فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يدري أين يذهب[183].

كشفت علوم البحار الحديثة في النصف الثاني من القرن العشرين عن أسرار عجيبة في أعماق البحار والمحيطات، وهذه ظلمات في البحر العميق، وقاع البحر المنحدر يتغير لونه بصورة تدريجية إلى الأرزق حتى يختفي تماما مع تزايد العمق، كما أن نفاذ ألوان طيف الضوء إلى البحار تتناسب عكسيا مع ازدياد العمق، فكلما نشأ العمق تزداد ظلمة. ولذلك قال الله تعالى ظلمات ولم يقل ظلمة وقال: ظلمات بعضها فوق بعض.

الأمواج الداخلية

قال الله تعالى في القرآن الكريم في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، إذا كشفنا التفاسير القديمة لا نفهم هذه الآية كاملة بسبب قلة معرفتهم، أي ما فسر المفسرون هذه الآية بجهة علمية. لأنه ليس لهم أي علم كامل عن البحر او المحيطات العميقة والأمواج الداخلية في ذلك العصر.

اما العلم الحديث يقول عن الأمواج الداخلية أن هناك أمواج سطحية وأمواج داخلية وإن الأمواج تغشى البحر اللجي هذا ما أكده علماء البحار الحديث حيث قالوا إن البحر اللجي العميق يختلف عن البحر السطحي وإن الأمواج الداخلية لا تتكون إلا في منطقة الانفصال بين البحر السطحي والبحر العميق. وهذه الأمواج الداخلية أنواع مختلفة أهمها ما ينشأ في المضايق

[183] ابن كثير، تفسيرالقرآن العظيم، ج6 ص 71، دار طبية للنشر والتوزيع.

والقنوات، فمثلاً عند مضيق جبل طارق، يتسبب التدفق الداخلي للتيار السطحي القوي، والتدفق الخارجي للتيار السفلي، في دخول الأمواج الداخلية من المحيط الأطلسي إلى المضيق، كأنها أمواج متكسرة، مثل الأمواج المزبدة على الشاطىء، وهي تتسبب في قدر كبير من الاضطرابات الداخلية.

هذه الظلمات في أعماق البحار متراكمة فوق بعضها فوق بعض، ووجود أمواج داخلية في البحار والمحيطات العميقة والتي غالباً ما تغطي هذه البحار والمحيطات سحب ركامية تحجب قدراً مهماً من أشعة الشمس، وهذا ما كشفت عنه دراسات علماء البحار في أواخر القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين.

البحر المسجور

وقد يفسر بعض المفسرين أن البحر المسجور أنها المملوء أو الموقد كما فسر الإمام الزمخشري في تفسير الكشاف: يقول عن البحر المسجور: والبحر المسجور، المملوء، وقيل: الموقد، من قوله تعالى: وإذا البحار سجرت، وروى أن الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار كلها نارا تسجر بها نار جهنم[184]. وكما قال الإمام الزمخشري يقول بعض من المفسرين في قديم الزمان أن هذا مملوء أم موقد، ولكنهم عاجزين لتبيين هذه الآية بقلة معرفتهم. ولكن في العصر الحديث، العلم الحديث يشير إليه بعض من الأشياء الحديدة.

يقول العلم الحيدث: تمتد التصدعات الأرضية لتشمل قاع البحار والمحيطات، ففي قاع البحار هنالك تصدعات للقشرة الأرضية وشقوق يتدفق من خلالها السائل المنصهر من باطن

[184] الزمخشري، تفسير الكشاف.

الأرض. وقد اكتشف العلم الحديث هذه الشقوق حيث تتدفق الحمم المنصهرة في الماء لمئات الأمتار، والمنظر يوحي بأن البحر يحترق! هذه الحقيقة حدثنا عنها القرآن عندما أقسَم الله تعالى بالبحر المسجور أي المشتعل، يقول عز وجل: والبحر المسجور.

يخرج من البحر اللؤلؤ والمرجان

إذا كشفنا التفاسير القديمة فنجد في تفسير الآية التي تتحدث عن اللؤلؤ والمرجان، أنهما تأخذان من البحر المالح فقط. ولكن الله تعالى يقول في القرآن الكريم: يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان. ويفسر عن اللؤلؤ والمرجان في تفسيره "اللؤلؤ الدر، والمرجان هذا الحجز الأحمر وهو البسذ، وقيل: اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره"[185]، ويفسر القرطبي عن اللؤلؤ والمرجان: أي يخرج لكم من الماء اللؤلؤ والمرجان، كما يخرج من التراب الحب والعصف والريحان[186]، وقال: منهما: وإنما يخرج من الملح لا العذب، لأن العرب تجمع الجنسين ثم تخبر عن أحدهما.

وفي العصر الحديث أمّا عن استخراج اللؤلؤ فإنّ أفضل أنواعها يوجد في محار الماء المالح ومحار الماء العذب، كما إنّ أكبر منطقةٍ في العالم لاستخراج اللؤلؤ وأكبرها هي في الخليج العربي والذي يتم فيها إنتاج أجود أنواع اللؤلؤ في العالم، كما تتواجد اللآلئ في أماكن أخرى من العالم كالهند، والصين، واليابان، وأستراليا، والبحر الأحمر قديماً، أمّا زراعة اللؤلؤ فإنّها تكثر في اليابان حيث أتقنوا في تلك المناطق زراعة اللؤلؤ في المياه المالحة.

---

[185] الإمام ابن عمر الزمخشري الخوارزمي، تفسير الكشاف ج2، ص 749، دار المعرفة، بيروت، لبنان

[186] الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج20، ص 127، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان

وإذا نستنتج من هذه الدراسة أن علوم البحار قد تغيرت كثيرا في هذا العصر الحديث من فهم التقليدي وذلك بعد بداية قسم وبحث خاص لهذا العلم، وبعد ذلك تكاثرت المعارف عن البحار ومزاياها بسبب ارتفاع المعلومات والآلات التكنولوجيا، وإذا علينا أن نفهم أن هذه الآيات التي تتحدث عن العلوم المتعددة خاصة بعلم البحر بدراسات مختلفة مع تبيين واكتشافات العصر الحديث.

يتضح لنا من هذا البحث ان علوم البحر قد تقدم كثيرا في عصرنا الراهن عما كان من قبل كسائر العلوم والفنون. وتولد منها علوم جديدة قيمة عديدة لم تسمع قبل، والفضل في ذلك يعود غالبا إلى الآلات والاجهزة التقنية الدقيقة الحديثة علاوة عن حرص العلماء والباحثين في استقصاء العلوم. وإذا تدبرنا الآيات القرآنية المتعلقة بالعلوم بمساعدة المكتشفات بهذه الآلات يتضح لنا كثيرا من الحقائق التي لم تكن معلومة قبل. ويظهر أمامنا آيات الله الباهرة مصداقا لقوله تعالى: ‘سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق’، تشير هذه الآية الكريمة الى أن العلوم والتقنية ستتدرج وتتقدم في المستقبل ويتولد منها آيات الله الباهرة في آفاق الأرض وحتى في انفسهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ومع ذلك علينا أن نفهم ان عقل الإنسان وعومه مهما تقدم بمساعدة الأجهزة والتقنية الدقيقة لن يقدر عليه أن يجلب جميع انحاء العلوم بل انما يبتين له انه لم يصل الا بطرف حقير منه، وان امامه بحر واسع فيه لن يقدر على ان يحيط به ولو اوتي الف ولادة كما ذكر الله تعالى: ‘وما اوتيتم من العلم إلا قليلا’، و‘كما قال وفق كل ذي علم عليم’، الا وهو الله سبحانه تعالى الذي هو القاهر فوق عباده.

الخاتمة

الحمد لله الذي أفاض علي نعمه لاتمام هذه الأطروحة المتواضعة، والصلوة والسلام على سيدنا محمد أرسل لإنقاذ الخلائق من رزايا جهنم المتراكمة، وعلى آله وصحبه أهل الصبر عند المصائب المتلاطمة. وبعد :

لقد لخصت من هذه الدراسة بعض النتائج العلمية تتعلق بآيات القرآن والعلم الحديث، ومن أهمها: في علم الفلك يقول الله سبحانه وتعالى **{كانتا رتقا وفتقناهما}** (سورة الأنبياء: 30) اكتشف علم الحديث عن هذا الأمر قبل سنوات قليلة وفقط. ومنها حركة الشمس **{والشمس تجري لمستقر لها}** (سورة يس: 38)، والشمس مضيئ والقمر نور كما قال تعالى: **{وجعلنا سراجا وهاجا}** (سورة النبأ: 13)، ومنها كروية الأرض، توسيع الكون وانتهاء الشمس وغيرها كثير، أشار القرآن الكريم إشارات متغيرة في القرآن الكريم، وهذه الأشياء التي اكتشفها وأقر بها العلم الحديث قبل سنوات قليلة. ومن العلم الفيزيائي الذي اكتشف العلم الحديث هي اكتشاف المادة هي أصغر من الذرة، العلماء كانوا لا يزالون يؤكدون بأن أصغر شيئ في العالم هي الذرة، ولكن القرآن قد أشار إلى مادة هي أصغر من الذرة، قال تعالى: **{وما يعذب عن ربك مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك}** (سورة يونس: 61، سورة سبأ: 3). وقد أكدت العلوم الجغرافية الحديثة أن الجبال ثابتة كالأوتاد للأرض، أشار الله إليه **{والجبال أوتادا}** (سورة النبأ: 7)، واكتشف العلماء الجغرافيون أن سطح الجبال شديد ثابت بالقوة، أشار الله إليه **{والجبال أرساها}** (سورة النازعات: 32)

ومن العلوم البيولوجيا، أشار القرآن إلى أن كل شيئ حي خلق بالماء **{والله خلق كل دابة من ماء}** (سورة النور: 45)، اكتشف علماء البيولوجي أن 80 % من حشوة خلقت

بالماء، وهذا أصل وأساس الحياة. وكذلك خلق الله كل شيئ أزواجا، من الإنسان، والحيوان، والنبات، وغيرها الأشياء الموجودة في العالم أشار القرآن إليها **{ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين}** (سورة الرعد: 3) قد أقر العلم الحديث هذه الأشياء بدلائل واضحة في هذا العصر فقط. إن العلوم اكتشفت في القرون الأواخرة هي علم الجنين، وقد بين القرآن الكريم هذه الأشياء واضحة في آيات مختلقة، منها: **{خلق من ماء دافق}** (سورة الطارق: 6)، **{ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة}** (سورة الحج: 5) وغيرها. ومن الاكتشافات الحديثة التي اخترعها العلم الحديث، الطائر وطيرانه، والنحل وخصائصه، وبيوت العنكبوت، وعيشة النمل، وكل هذا اكتشف في العصور الأخيرة بالأجهزة الحديثة المتطورة الدقيقة، ولكن الله قد أشار إلى هذه الحقائق العلمية كلها في القرآن الكريم في آيات مختلفة.

ومن علوم البحار أظهرت دراستي ستة أشياء تتعلق بالآيات القرآنية، واكتشفها العلم قبل سنوات قليلة فقط. ومنها:

أولا: البرزخ بين البحرين بين الماء العذب الواردة من الأنهار واللمطر والماء الملح الثابت بالبحر، ومنها قول الله تعالى: **{وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا}** (سورة الفرقان: 53)، **{مرج البحرين يلتقيان، وبينهما برزخ لا يبغيان}** (سورة الرحمن: 19،20) إن لكل بحر درجة ملوحة ثابتة، مع أن البحرين متصلان، وله كثافة، وله حرارة، وكلها لا تنقص ولا تزيد، وقد أجرى الله الأنهار والبحار في مساريها ومجاريها بعيدة عن بعضها، مع أنها لا تلتقي معا لدى مصبات الأنهار في البحار. ولو أن الأنهار العذبة تسيل في هذا البحر المالح بمتابعة وباستمرار، وأن منطقة الامتزاج مدافعة عن بعض القيود على ما يدخل إليها أو يخرج منها. كما ثبتت علوم الأحياء الحديثة على أن في هذه المنطقة المحصورة تعيش بعض الحيوانات الخاصة لهذه البيئة. وتماثل هذه

الحواجز الحدودة المائية بين ماء المحيط الأطلسي وماء البحر الأبيض المتوسط، بين ماء البحر الأحمر وماء خليج عدن وفي مواضع أخرى من بحار العالم.

وثنيا: ومنها ظلمات في البحر العميق: **{أو كظلمات في بحر لجي..}** (سورة النور: 40) قد اكشفت علوم البحار الحديثة في القرن الماضي عن أسرار عجيبة في أعماق البحار والمحيطات، واقتصرنا على ذكر ظاهرتين فقط، فهما: ظلمات البحر العميقة وحركة الأمواج الداخلية. وقد ذكر العالم جيرلوف (N.G.Jerlov) أنه ينخفض مستوى الإضاءة في مياه المحيط المكشوفة إلى نسبة 10% من مستواه عند السطح على عمق 35 متراً، وإلى 1% على عمق 85 م، وإلى 0.1% على عمق 135م، وإلى 0.01% على عمق 190م. ويشتد الظلام بعد عمق 1000 متر حتى إذا أخرج الإنسان يده لا يراها.

وثالثا:الأمواج الداخلية: **{..يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب..}** (سورة النور: 40) وصل العلم الحديث إلى اكتشاف ظاهرة الموج الداخلي في عام 1904م، كما تحدث عنها علماء كثيرون في العصر الحديث حيث تطورت وسائل الغوص ومراقبة حركة المياه في البحر. يقول الأستاذ عبد المجيد الزنداني في مقال رائع، إن الأمواج الداخلية التي تحدث في عمق المحيط معروفة أيضا، غير أنها لم تعرف علميا إلا منذ أقل من مئة سنة وهي تحدث داخل البحر، إلا في حالات قليلة معروفة، وعلى امتداد سطوح طبقات المياه المختلفة الكثافة والمتفاوتة في درجة حرارتها وملوحتها، وتشير الآية الكريمة، على ما يبدو، إلى هذه الأنواع من الأمواج.

ورابعا: عن حقيقة البحر المسجور: أو المشتعل وهذا أصبح يقينا ثابتا، تمتد التصدعات الأرضية لتشمل قاع البحار والمحيطات، ففي قاع البحار هنالك تصدعات للقشرة الأرضية، وقد اكتشف العلم الحديث هذه الشقوق حيث تتدفق الحمم المنصهرة في الماء لمئات

الأمتار، والمنظر يوحي بأن البحر يحترق، هذا ما أشار الله إليه بقوله: **{والبحر المسجور}** (سورة الطور: 6).

وخامسا: عن إخراج اللؤلؤ من المائين العذب والملح، كقوله تعالى: **{يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان}** (سورة الرحمن: 22)، اللؤلؤ يستخرج من الماح العذب والماء المالح، كما قال تعالى 'يخرج منهما'، وكان العلماء يعتقدون أن هذا يستخرج فقط من الماء المالح، لكن تم اكتشاف إخراج اللؤلؤ من الماء العذب والماء المالح في أواخر القرن العشرين. ومنها: تسخير البحر، وبناء السفن، ومن خصائص الإنسان قدرته على أن يسافر في المراكب ولا يستطيع لأية دابة في الأرض صنع المراكب واستعمالها سواء كان بريا أو بحريا أو هوائيا. يؤيد هذا قوله تعالى: **{ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر..}** (سورة الإسراء: 70)، **{الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله..}** (سورة الجاثية: 12)

وقد لاحظت في بحثي بعض الأشياء التي وردت في القرآن الكريم ولكن ما اكتشفت بالعلم الحديث حتى الآن، عسى أن يكون مكتشفا في العصور القادمة باكتشافات العلم الحديث المتطورة. ومنها:

الحياة خارج الأرض، كما أشار تعالى: **{ومن الأرض مثلهن}** (سورة الطلاق: 12)، **{ولله يسجد مافي السماوات والأرض من دابة}** (سورة النحل: 49)، يشير الله منهما إلى شيئ مثل الأرض، والدابة في السماوات. وكذلك المساحة بين السماء والأرض، من قوله تعالى: **{يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون}** (سورة السجدة: 5) ما المساحة بين السماء والأرض، يشير الله إليه في موضع آخر **{كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون}** (سورة المعراج: 4). وكذلك معنى سبع سماوات، يقول الله في مواضع مختلفة عن سبع سماوات، ما هي سبع سماوات؟. أين يتركز أعمال النفس؟ في

العقل أم في الصدر؟، يشير الله في القرآن الكريم بآيات عديدة إلى أعمال النفس في الصدر، في العلم الحديث، أن العلماء يبحثون هذه الأشياء يسمى هذا القسم بالنيرو كارديولوجي. وكذلك ماذا يحدث في النوم؟ يقول الله تعالى في القرآن الكريم عن هذا الأمر **{الله يتوفى الأنفس حين موتها، والتي لم تمت في منامها}** (سورة الزمر: 42)، يبحث العلماء عن هذه القبضة. وكذلك إرادة الروح؟ ما وجدت شيئا عن هذا في العلم الحديث، ولكن الله يشير في القرآن الكريم إلى أشياء عجيبة وعديدة لم يكشفها العلم العصري.

هناك فرصة كبيرة لطلاب البحث في المستقبل لاكتشاف العلوم الكثيرة التي لم نرها حتى الآن من المعلومات قدمتها العلوم الحديثة، ولذا لا ينتهي هذا البحث عن العلوم الحديثة والآيات القرآنية في عصر خاص بل سيبقي حيا غير واقف في العصور القادمة، كما قال تعالى: **{سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق}** (سورة فصلت: 53). وأرجو أن يفتح هذا البحث مجالا للمناقشة ويمهد السبيل للمزيد من البحوث حول هذا، والله هو الموفق، وهو نعم المولى ونعم الوكيل.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

إبراهيم، المستشار مدحت حافظ: *الإشارات العلمية في القرآن الكريم*، مكتبة غريب بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1993 م.

إبراهيم، محمد إسماعيل بن: *القرآن وإعجازه العلمي*، دار الفكر العربي، بمصر، الطبعة الأولى، 1977 م.

ابن خلدون، عبد الرحمن: *المقدمة*، بتحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي، دار الشعب بالقاهرة.

ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس: معجم *مقاييس اللغة*، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979 هـ.

ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر: *تفسير التحرير والتنوير*، تونس، 1984 م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، لبنان.

أبو الخير، الدكتور عادل، *اجتهادات في التفسير العلمي للقرآن الكريم*، بدون جهة نشر، القاهرة، الطبعة الأولى 1988 م.

أبو العطاء، الدكتور نظمي خليل: *إعجاز النبات في القرآن الكريم*، مكتبة النور بالقاهرة، الطبعة الأولي، 1987 م.

أبو سعدة، *العلم الأعجمي في القرآ ن مفسرا باقرآن: من إعجاز القرآن*، جزءان، دار الهلال بمصر، الطبعة الأولى، 1994 م.

أحمد، الشيخ حنفي: *التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن*، دار المعارف بمصر، 1960 م.

أحمد، يوسف الحاج: *موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة*، مكتبة دار ابن حجر بدمشق، الطبعة الثانية، 2003 هـ.

أرناؤوط، الشيخ محمد السيد: *الإعجاز العلمي في القرآن الكريم*، مكتبة مدبولي بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1989 م.

آزاد، مولانا أبو الكلام: *تفسير سورة الفاتحة* (الملیالمية)، الألف للنشر، ترفاندرم، الطبعة الأولى، 1983 م.

إسماعيل، الدكتور شعبان محمد: *مع القرآن الكريم في رسمه وضبطه وأحكام تلاوته*، مكتبة الحرمين ودار التأليف بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1994 م.

الإصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب: *المفردات في غريب القرآن*، مكتبة نزار مصطفى الباز.

الامامي، طبرس: مجمع البياني في تفسير القرآن، دار المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

أماني، المولوي محمد: *تفسير القرآن الكريم*(الملیالمية)، ندوة المجاهدين، كيرالا، الهند، الطبعة الثانية، 1987 م.

البار، الدكتور محمد على: *خلق الإنسان بين الطب والقرآن*، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة السادسة، 1986 م.

بدر، أحمد عبد اللطيف: *الفتوحات الربانية في الربط بين السور القرآنية*، مطابعة دار التأليف بالقاهرة، 1978 م.

البغدادي، الشيخ علي بن محمد: *المدارك*، دار أحياء الكتب العربي بمصر، 1985 م.

بنت الشاطئ، الدكتور عائشة عبد الرحمن: *التفسير البياني للقرآن الكريم*، جامعة القرويين، بيروت، الطبعة الثانية 1968م.

البوطي، الدكتور محمد سعيد رمضان: *هكذا فلندع إلى الإسلام*، صوت الأزهر الشريف، بدون تاريخ.

بوكاي، الدكتور موريس: *التورات والإنجيل والقرآن والعلم*، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1987 م.

بوكاي، الدكتور موريس: *دراسة الكتب المقدسة في ضوء العلم الحديث*، تعريب وطبع دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى، 1987 م.

البيومي، الدكتور محمد رجب: *نظرات قرآنية*، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر، الطبعة الأولى، 1980 م.

الجازي، محمد محمود: *تفسير الواضح*، مطبعة الإستقلال الكبرى، مصر، الطبعة الثانية 1964 م.

الجوزية، ابن قيم: *التبيان في أقسام القرآن*، مكتبة المتنبي بالقاهرة.

جوهري، الشيخ طنطاوي: *تفسير الجواهر*، الطبعة الأولى، مصطفي الباقي احلبي وأولاده، مصر ، 1984م.

الذهبي، الدكتور محمد حسين: *التفسير والمفسرون*، مكتبة وهبية، عبدين، القاهرة.

رضا، الشيخ سيد رشيد: *تفسير المنار*، مطبعة المنار بمصر، الطبعة الأولى، 1353 هـ.

الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر: *تفسير الكشاف*، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة 2009 هـ.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني: *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

الشوكاني، محمد على محمد: *فتح القدير*، دار المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1229 هـ.

الطباطبي، السيد محمد حسين: *الميزان في تفسير القرآن*، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1407 هـ.

الطبري، محمد بن جرير: *تفسير الطبري*، بولاق، مصر، الطبعة الأولى، 1338هـ.

علي، عبد الله يوسف: *ترجمة القرآن والتفسير* (الإنجليزية)، كتب خانة اشاعة الإسلام، دلهي، الطبعة الثالثة 1985 م.

غنيم، الدكتور كارم السيد: *الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة التطبيق*، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى 1995 م.

القرشي، اسماعيل بن كثير: *تفسير ابن كثير*، دار القلم، بيروت، الطبعة الثانية 1980م.

القرطبي، أبو عبد الله محمد: *تفسير القرطبي*، دار أحياء التراث العربي ببيروت، 1985 م.

قطب، الشيخ سيد: *في ظلال القرآن*، دار الشروق، مصر، الطبعة العاشرة، 1983م.

المحلى، جلال الدين: السيوطي، جلال الدين: *تفسير الجلالين*، دار الشروق، مصر، الطبعة الأولى 1986م.

المراغي: احمد مصطفى: *تفسير المراغي*، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1974 م.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين به علي: *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

المطعى، الدكتور عبد العظيم ابراهيم محمد: *خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية*، مكتبة وهبية، القاهرة، مصر 1992 هـ.

المودودي، أبو الأعلى: تفهيم القرآن (الملیالمية)، لمنشورات الإسلامية، كاليكوت، كيرالا، الهند.

النسفي، الإمام: *تفسير النفسي*، دار أحياء الكتب العربي، مصر.

الوهاب، الدكتور قاسم وعبد: *ترجمة سورة الرحمن* (الملیالمية)، مؤسسة البحث الأساسي، كاليكوت 1987 م.

توفيق، الدكتور طاهر: *القرآن والإعجاز في خلق الإنسان*، الشركة المصرية للتسويق الإعلامي بالقاهرية، ط1، 1988م.

الجابري، عبد المتعال: *شطحات مصطفي محمود في تفسراتة العصرية للقرآن*، دار الاعتصام، ط2، بدون تاريخ.

جاد الحق، جاد الحق على: *مع القرآن الكريم*، في سلسلة قضايا إسلامية معاصرة، الأزهر الشريف، ط1، 1991م.

جلبي، الدكتور خالص: *الطب محراب الإيمان*، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1985 م.

الجندي، الدكتور أنور: *الطريق امام الدعوة الإسلامية*، دار الإعتصام بالقاهرة، 1984 م.

الجندي، عبد الحليم: *القرآن والمنهج العلمي المعاصر*، دار المعارف بمصر، ط1، 1984 م.

حسب النهي، الدكتور منصور محمد: *الكون والإعجاز العلمي للقرآن*، دار الفكر العربي بالقاهرة، ط1، 1981م,

الحكيم، الدكتور السيد محمد: *إعجاز القرآن*، مطبعة دار التأليف بالقاهرة، ط1، 1978 م.

خان، وحيد الدين: *الإسلام يتحدى*، المختار الإسلامي بالقاهرة، ط7، 1977 م.

خان، وحيد الدين: *الدين في مواجهة العلم*، المختار الإسلامي بالقاهرة، ط4، 1978 م.

_____: الإسلام والعصر الحديث، المختار العلمي، بالقاهرة، ط2، 1978 م.

الخشت، محمد عثمان: *وليس الذكر كالأنثى*، دراسة من منظور الإسلام والعلوم الحديثة. مكتبة القرآن بالقاهرة، ط1، 1978 م.

خضر، الدكتور عبد العليم عبد الرحمن: *المدخل الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم*، دار السعودية للنشر والتوزيع بجدة، ط1، 1984 م.

الخطيب، عبد الكريم: *الإعجاز في دراسات السابقين*، دار الفكر العربي بالقاهرة، ط1، 1974 م.

خليفة، الدكتور محمد محمد: *مع آيات الله في كتاب الله*، مكتبة النهضة المصرية، ط ذ 1983 م.

الدباغ، مصطفى: *وجوه من الإعجاز القرآني*، مكتبية المنار بالزرقا الأردن، ط ذ، 1985 م.

الدروبي، عبد الوكيل: *ترجمة القرآن وكيف ندعو غير العرب إلى الإسلام*، مكتبة الإرشاد، حمص، ط1، بدمشق، 1984 م.

الذهبي، الدكتور محمد حسين: *الإتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم*، مؤسسة علوم القرآن بدمشق، 1984 م.

الراجحي، الدكتور عبد الغني: *الأرض والشمس في منظور الفكر الإسلامي*، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر، ط1، 1981 م.

الرافعي، مصطفى صادق: *إعجاز القرآن والبلاغة النبوية*، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.

رمضان، الدكتور محي الدين: *وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن*، دار الفرقان، بعمان – الأردن، 1982 م.

الزنداني، الدكتور عبد المجيد عزيز: *توحيد الخالق*، دار السلام بالقاهرة، ط1، 1985 م.

زيدان، الدكتور عبد الكريم: *أصول الدعوة*، دار عمر بن الخطاب بالاسكندرية، ط3، 1976 م.

السعيد، الدكتور عبد الله عبد الرزاق: *الرطب والنخلة – في الإعجاز الطبي للقرآن والأحاديث النبيوية* – دار السعودية للنشر والتوزيع بجدة، ط1، 1985 م.

سعيدان، الدكتور أحمد سليم: *مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام*، سلسلة عالم المعرفة بالكويت، ط1، 1988 م.

سليمان، أحمد محمد: *القرآن والعلم*، دار المعرفة، ط1، 1968 م.

سيد الأهل، عبد العزيز: *من إشارات العلوم في القرآن*، دار النهضة ببيروت، 1972 م.

سيد الأهل، عبد العزيز: *من الأشباه والنظائر في القرآن الكريم*، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر، ط1، 1980 م.

الشاطبي، الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى: *الموافقات في أصول الأحكام*، المطبعة السلفية بمصر، 1341 هـ.

الشحات، علي أحمد: *مكانة العلم والعلماء في الإسلام*، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، ط1، 1972 م.

شرف، الدكتور حنفي محمد: *إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق*، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر، ط1، 1982 م.

شريف، الدكتور محمد إبراهيم: *اتجاهات التجديد في تفاسير القرآن الكريم في مصر*، دار التراث بالقاهرة، ط1، 1982.

_____: *هداية القرآن في الآفاق والأنفس*، بدون جهة، نشر، القاهرة، ط1، 1986 م.

الشعراوي، محمد متولى: *معجزات القرآن*، المختار الإسلامي بالقاهرة، ط1، 1978 م.

الشنقيطي، محمد الأمين الجنكي: *دفع الإسلام في الاضطرابات عن آيات الكتاب*، مكتبة ابن تيمية بدون تاريخ.

الصابوني، محمد علي: *التبيان في علوم القرآن*، مكتبة الصابوني بمكة المكرمة، ط2، 1986 م.

طهماز، عبد الحميد محمود: *المعجزة والإعجاز في سورة النمل*، دار القلم بدمشق، دار المنار ببيروت، ط1، 1987 م.

عبد الباقي، محمد فؤاد: *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*، دار الشعب القاهرة، بدون رقم الطبعة وتاريخها.

عبد الحميد، الدكتور محسن: *تجديد الفكر الإسلامي*، دار الصحرة بالقاهرة، ط1، 1985 م.

عبد العظيم، علي: *في ملكوت السماوات والأرض*، مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، ط1، 1980 م.

العدوي، محمد أحمد: *آيات في الآفاق*: مطبعة المنار بمصر، ط1، 1933 م.

العريض، الدكتور علي حسن، *تاريخ علم التفسير ومناهج المفسيرن*، دار الاعتصام بالقاهرة، 1980 م.

عزام، الدكتور محفوظ علي: *نظرية التطور عند مفكري الإسلام*، دراسة مقارنة، دارالهداية بالقاهرة، ط1، 1986 م.

عزالدين، أحمد، *القرآن يتحدي*، دار السعادة، ط1، 1973م.

عز الدين، توفيق أحمد: دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، دار السلام بالقاهرة، ط1، 1986 م.

العقاد، عباس محموج: *التفكير فريضة إسلامية*، دار الهلال بمصر، ط1، بدون تاريخ.

علوان، عبد الله ناصح: *ثقافة الداعية*، دار السلام بالقاهرة، ط2، 1986 م.

العمري، الدكتور أحمد جلال: *مفهوم الإعجاز القرآني*، حتى القرن السادس الهجري، دار المعارف، بمصر، ط1، 1984 م.

الغزالي، الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد: *إحياء علوم الدين*، إحياء الكتب العربية بالقاهرة، 1957 م.

الغزالي، محمد: *الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس* عشر، ذات السلاسل بالكويت، ط1، 1980 م.

مجمع اللغة العربية بالقاهرة: مجمع *ألفاظ القرآن الكريم*، الهيئة المصرية العامة للكتب، ط2، 1970 م.

محي الدين، المستشار حسين ناجي محمد: *تسعة عشر ملكا*، الزهراء للإعلام العربي بالقاهرة، ط1، 1981 م.

محي الدين، محمد: القرآن الكريم: *المعجزة الخالدة لخاتم الأنبياء والمرسلين*، مطبعة العاصمة بالقاهرة، ط1، 1981م.

النجار، الدكتور زغلول راغب: *قضية التخلف العلمي والتقنيفي العالم الإسلامي المعاصر*، كتاب الأمة بقطر، ط1، 1988 م.

النجار، عبد الوهاب: *قصص الأنبياء* : مؤسسة الحلبي وشركاه بمصر، ط1، 1966 م.

الحديدي، مصطفى محمد: *اتجاه التفسير في العصر الحديث*، معمع البحوث الإسلامي، الأزهر، القاهرة بدون تاريخ.

الرمي، الدكتور فهد بد عبد الرحمن سليمان: *اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر*، ادارة البحوث العليمة والدعوة، الرياض، ط1، 1986 م.

الإمام السيوطي: *الإتقان في علوم القرآن*، شركة مكتبة مطبعة مصطفي البابي الحلبي بمصر بدون تاريخ.

الذهبي، الدكتور محمد حسين: *التفسير والمفسرون*، دار احياء التراث العربي ببيروت، ج1 بدون تاريخ.

الرافعي، مصطفى الصادق: *اعجاز القرآن*، المكتبة التجارية الكبرى، شارع محمد علي، مصر، ط4، 1940م.

الندوي، ابو الحسن علي: *التفسير السياسي للإسلام*، دار القلم بالكويت، بدون تاريخ.

الدباغ، مصطفى: *وجوه من الإعجاز القرآني*، مكتبة المنار الزرقاء، الأردن، ط1 بدون تاريخ.

المراجع الإنجليزية والمليالمية

Ali, Dr. Salim: *The Book of Indian Birds*. Bombay Natural History Society – 1977.

Beeran, Pro. N V: *Plate tectonics*. Salafi University, Pulikkal, Kerala, India, 1983.

Berlitz, Charles: *The lost ship of Noah.* Ballantine Books, NewYork 1967.

Bucaille, Maurice: *Bibe, Quran and Science*. D.Pannel and the auther, Delhi.

Bucaille, Maurice: *Quran and Modern Science*. Ashraf Publishers, Karachi, 1976.

Kammath, Dr. A Rajagopal, *Shasralakathe puthiya munnettanhal* (Malayalam), Progress publishers, Kozhikode, 2014.

Khan, Hamid Khan Ahamed: *Quest for Science.* Delhi

Naik, Dr. Zakir: *Quran and Modern Science* (Malayalam), Insaf Publishers Manjeri, 2001

Pasha, Dr. Musthafa Kamal, *Quranile Shasra Paramarahsanhaliloode*, Blossom Books, Edayur, 2010.

Peter K. Weyl, *Oceanography: an introduction to the marine environment*, 1970.

Sardar, Ziauddin: *Exploration of Islamic Science*, Mansell Publishing Ltd. London.

Sverdrup, Harald Ulrik, *The oceans, their physics, chemistry and general biology*, New York: Prentice Hall, 1942.

Yaminov, Boris Vrontosov Vel: *Essays about the universe*. Mir Publishers – Moscow.

MODERN SCIENCE IN THE HOLY QURAN:

WITH SPECIAL REFERENCE TO OCEANOGRAPHY

Thesis submitted to the Jawaharlal Nehru University in partial fulfillment of the requirements for the award of the degree of

DOCTOR OF PHILOSOPHY

By

ABDULLA NAJEEB M

Centre for Arabic and African Studies

School of Language, Literature and Cultural Studies

Jawaharlal Nehru University

New Delhi – India 110067

2017